

ديوان

أبي القاسم الشبلي

قدّم له وترجمه
الأستاذ أحمد حسن نسج

منشورات
مجمع بحوث بيروت
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مستشارات المحاماة والعلوم القانونية



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيق الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الرابعة

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0806-9



9 782745 108067

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أبو القاسم الشابي، شاعر تونس في النصف الأول من القرن العشرين، عاش في زمن، كانت فيه بلاد المغرب العربي تعاني أثقال الاحتلال الأوروبي، وتغوص في بحور الظلم والجهل والتخلف، على كل صعيد. وقف الشابي إزاء ذلك كله، موقف الرفض للاحتلال، المتمرد على رموزه وأدواته، داعياً إلى مقاومته. وفي الوقت نفسه يتمرد على كل شكل من أشكال الجمود، في الميادين المختلفة، سواء في المجتمع أو في الأدب والفكر، فيطرح طرائق جديدة وجريئة في التفكير والتعبير، تتناول الأساليب والموضوعات، ولم يقصد في ذلك أن يتكرر للقديم، لكنه أراد لأهل الفكر والأدب أن لا يتوقفوا عند مجموعة من القوالب والأنظمة والمعاني الموروثة، فلا يتجاوزونها. كما ودعا إلى التعمق في معالجة الظواهر المختلفة، لتنفيذ المعالجات إلى ما وراء الماديات والمحسوسات، وصولاً إلى المدلولات المعنوية بارتباطاتها الروحية والإنسانية والجمالية. إلا أنه وصل في انتقاداته إلى حد التجريح بأبناء شعبه، إذ اتهمهم بالجهل والجبن والخضوع، مع العلم أن الغاية من انتقاداته أساساً، كانت تهدف إلى تقويم المجتمع بالكشف عن عيوبه، وإثارته ضد الاحتلال، فلم يكن التجريح غاية ولا هدفاً. وقد ذهب، في بعض قصائده، أبعد من ذلك، إلى حد مخاطبة الله عز وجل بطريقة غير لائقة، فيها تهكم واستخفاف فألفت نظر القراء الأعزاء إلى توخي الحذر.

هذا الديوان، الذي نضعه اليوم، بين يدي القارئ الكريم، هو جماع ما جادت به قريحة أبي القاسم الشابي في سني عمره القصير. والديوان من حيث المحتوى، يمثل مجمل آراء الشاعر وخلاصة مذهبه في القضايا الإنسانية العامة، وهو أيضاً، نتيجة لتجربة الشاعر مع الناس والمجتمع والاحتلال، ولا ننسى تجربته مع ذاته، مع مرضه وآلامه، وما أصيب به من نكبات ليس أقلها وفاة أبيه الذي كان يجد فيه سنداً قوياً عند الشدائد.

ويدور ما قمتُ به، بأن اعتمدت ديوان الشاعر الأصلي، الذي كان سميّه «أغاني الحياة»، فأضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي كان الشابي نفسه قد استبعدّها، عندما أعدّ ديوانه للطبع قبيل وفاته، فضلاً عما كان زاده عليه محمد الأمين الشابي، عندما نشر الديوان، لأول مرة سنة ١٩٥٤ م، وقد ذكرت تلك القصائد بأسانئها في غير هذا الموضع. وقد أشرت إلى ما

أضفته، كل في موضعه. ومن الجدير بالذكر أن هذه الزيادات، بمعظمها مأخوذ من كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»، لصديق الشابي، زين العابدين السنوسي، وكان معجباً بشعر الشابي، وقد نشر بعض أشعاره في صحيفته «العالم الأدبي» التي أنشأها سنة ١٩٢٥ م. أما الكتاب المذكور آنفاً، فقد نُشر سنة ١٩٢٧ م، وتضمن طائفة كبرى من أشعار الشابي. وعلاوة على ما ذكرت، فإن بعض الزيادات يُعزى إلى جريدة «النهضة» التونسية، علماً أن مجلة «أبولو» المصرية كانت نشرت بعض قصائد للشابي في حياته.

وبعد، فإني راعيت، في إخراج هذا الديوان الترتيب الألفبائي للقصائد، باعتبار قافية البيت الأول من القصيدة، ثم فسّرت من الكلمات ما رأيته ضرورياً من أجل تقريب المعنى، كما وضبطت ما يلزم من الحروف والكلمات، فضلاً عن ذكر البحر العروضي لكل مقطوعة، مع الفصل بين الشطرين المتداخلين حيث لزم الأمر.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وفّقت، في ما بذلته من جهد، لينال عملي هذا القبول والرضا. وإن كنت قصّرت أو أخطأت، فعذراً أيها القارئ العزيز، وأدعو الله أن يلهمني الصواب، ويوفّقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

والحمد لله وحده

أحمد حسن بسّج

السبت ٨ صفر ١٤١٥ هجرية

الموافق ١٦ تمّوز ١٩٩٤ رومية

أبو القاسم الشابي

مولده ونشأته:

ولد أبو القاسم في ٢٤ شباط فبراير من سنة ١٩٠٩ م، في بلدة الشابة، وهي من ضواحي توزر^(١).

وكان والده الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي، الذي يتحدث من أسرة الشابية، قد تخرج في الجامع الأزهر، بعد دراسة سبع سنوات، في أوائل القرن العشرين، ثم التحق بجامع الزيتونة في تونس، ونال في نهاية المطاف ما كان يُسمى شهادة التطويع^(٢)، ويعين قاضياً شرعياً متنقلاً في المناطق التونسية. في هذه الأثناء كان أبو القاسم حديث عهد في هذه الدنيا، يتنقل برفقة والديه حيث يستقر بهما المقام، فلم ينعم في قضاء سنوات طفولته في بلدته التي ولد فيها.

وما يُذكر أنه لم يأت لزيارة هذه البلدة إلا مرتين حيث قضى نحواً من ثلاثة أشهر^(٣)، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية أتى فيها بعد ذلك زائراً. ومن الجدير بالذكر أن جولة هذه الأسرة استغرقت عشرين سنة في بلاد تونسية مختلفة فمن قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فرغوان. وهذه البلاد تفصل بينها المسافات الطوال جغرافياً، كما أنها تتميز بمناخاتها وعاداتها ولهجات أبنائها أيضاً، فرغوان مثلاً منطقة جبلية، ورأس الجبل غنية بالبساتين، وقابس ذات مناخ حار، بينما تتساقط الثلوج في تالة، والناس في قابس يعتمدون على صيد الأسماك، بينما، تعتبر الزراعة والفلاحة في مجاز الباب المورد الرئيسي للسكان هناك، وتبعاً لهذا كله تختلف الطبائع والعادات...

دراسته:

تلقى أبو القاسم دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى الكتاب^(٤) في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره، قدم^(٥) إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠ م،

(١) تعتبر توزر من أكبر بلاد الجريد في جنوب تونس، وتُعرف بأشجار النخيل.

(٢) هي شهادة إنهاء الدروس في جامع الزيتونة.

(٣) أغاني الحياة: ٩.

(٤) أبو القاسم الشابي. عبد المجيد الحر: ٥٥.

(٥) أغاني الحياة: ١٠.

حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، حيث تهيأت له الفرصة الحقيقية من أجل التحصيل العلمي وخصوصاً العلوم الدينية، ف قضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنه كان لا يخفي تبرمه وتضجره من إقامته في مكان لا تلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد «كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية»، إلا أنه اطلع على آداب الغرب من خلال ما كانت تنشره الدور العربية من تلك الآداب والحضارات.

وفي سنة ١٩٢٧ م وفي شهر يونيو/حزيران نال الشابي شهادة التطويق حيث أنهى دروسه في جامع الزيتونة. وفي العام التالي ١٩٢٨ م انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق ونال إجازتها سنة ١٩٣٠ م.

نشاطه الأدبي أثناء دراسته:

ذكرنا أن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريقة ما قرأه من ترجمات ونقول عن الآداب الغربية، لذلك تفتحت قرائحه الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره وما يروى^(١) في ذلك أن قصيدة «يا حب» التي نظمها سنة ١٩٢٣ م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة، كل اثنين، سنة ١٩٤٢ هـ/١٩٢٦ م. وظهر شعره مطبوعاً ضمن كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»^(٢)، سنة ١٣٤٤ هـ/١٩٢٧ م. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قداماء الصادقية عنوانها: «الخيال الشعري عند العرب»، كانت مادة الكتاب الذي حمل العنوان نفسه فيما بعد.

وكان يساهم في شعره بتلك الفترة في مساندة حركات التجديد، وبعث حركة المسلمين، وعمل على مناصرة حركة تحرير المرأة، وما يجدر ذكره، دعوته إلى التجديد في الأدب من خلال «الخيال الشعري عند العرب»، مما جعله يتعرض إلى حملة شعواء، شنّا عليه ناقده وخصوم التجديد، ولكن وقوف والده إلى جانبه في كثير من آرائه في التحرير والتجديد، أكسبه قوة في الاستمرار والصمود أمام معارضيّه. ولكن هذا الوالد سرعان ما يقع فريسة للمرض، ويداهمه الموت سنة ١٩٢٩ م، وهو في الخمسين من عمره، وقد رافقه الشابي من زغوان إلى مسقط رأسه توزر.

رتبت عليه هذه الفاجعة أعباء جديدة عائلية كبيرة، خصوصاً وأن نفسه العالية أبت عليه أن يقف أمام أبواب ذوي السلطة والنافذين، فرضي بالبساطة، واقتنع بالمقسوم له، هو وأسرته

(١) أغاني الحياة: ١٠.

(٢) أغاني الحياة: ١٠.

في توزر. وما قيل^(١) في هذا: «كنا نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه».

مرضه وزواجه:

أصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب، في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهى الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعراً ونثراً، مما زاد في خطورة وضعه.

أما زواجه، فإنه، وبناء على رغبة والده، وبعد استشارة الطبيب^(٢) أقدم على الزواج سنة ١٩٢٩ م، قبل وفاة والده بقليل، ولكن حالته بعد الزواج لم تتحسن، بل على العكس ازدادت سوءاً خصوصاً وأنه كان يرهق نفسه أكثر مما يطيق قلبه المتعب، فتكاثرت بعد سنة ١٩٣٠ م النوبات القلبية الحادة، ومع أن عدة أطباء أشرفوا على معالجته، ومنه الطبيب الفرنسي «كالو»، فلم يسفر كل ذلك عن أي فائدة تذكر، علماً أنه أخذ بنصائحهم بعد ذلك في قضاء الوقت في المصايف والمنتجعات سنة ١٩٣٢ م، وكان رزق بولده البكر^(٣). وفي سنة ١٩٣٣ م، اضطر بعد اشتداد المرض أن يلازم الفراش ويمتنع عن الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى مكان يُدعى «حامة توزر» حيث يوجد فيها عين ماء حار يستشفى بها من بعض الأمراض. وفاته:

اشتد عليه المرض سنة ١٩٣٤ م، فترجعه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في ٢٦ أغسطس آب بقي فيها حتى توفي سحر يوم ٩ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٣٤ م، ونقل جثمانه إلى بلده توزر حيث دفن فيها. آثاره^(٤):

تعود شهرة الشابي إلى ديوانه بالدرجة الأولى، ثم إلى كتابه الموسوم «الخيال الشعري عند العرب». ولكن بالإضافة إلى هذين الأثرين الكبيرين، فإن للشابي أعمالاً أخرى نذكر منها:

١ - قصة الهجرة النبوية، وقد نشرتها مجلة العالم في تونس.

(١) أغاني الحياة: ١١، عن مجلة العالم الأدبي شعبان ١٣٥٣ هـ / نوفمبر ١٩٣٤ م.

(٢) هو الدكتور محمد الماطري النطاسي.

(٣) ورزق بمولود آخر بعد ذلك. أبو القاسم الشابي: حياته وأدبه: زين العابدين السنوسي: ٢٧. وما يذكره السنوسي أن الشابي كان سعيداً في زواجه، وقد يكون ذلك من باب امتداح زوجة الشابي التي وصفها بالفاصلة، ولكن الشابي ومن خلال شعره ظل يحمل في قلبه ذكرى الفتاة الأولى التي أحبها وأخلص لها وماتت وهي صبية.

(٤) أبو القاسم الشابي - عبد المجيد الحر: ٦٥.

- ٢ - «في المقبرة» وهي رواية.
- ٣ - «السكير» وهي مسرحية.
- ٤ - مجموعة رسائل، توجه بها إلى أصدقائه ومنهم: البشروش، والحليوي، وأبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلي ناصر، وآخرون.
- ٥ - «مذكرات» بدأ بتدوينها سنة ١٩٣٠.
- ٦ - الأدب العربي في العصر الحاضر، وهي دراسة أدبية قصيرة قدم بها ديوان «الينبوع» للشاعر أبي شادي.
- ٧ - «شعراء المغرب»، دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، ولم يلقها فتركت مخطوطة.
- ٨ - «جميل بثينة» وقصص أخرى.
- ٩ - «صفحات دامية».
- ١٠ - مقالات مختلفة.

ديوانه:

جمع الشابي ديوانه في صيف ١٩٣٤ م وسماه «أغاني الحياة» وقد رتبته بنفسه، واختار ما يريد من القصائد وأهمل البعض الآخر، وكان يعدّه بذلك للطبع، ولكن الموت منعه من ذلك، فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٥٤ م. وتميّزت تلك الطبعة بأنها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشاعر نفسه لقصائده، فلم يطرأ أي تعديل على الديوان، إلا بإضافة بعض قصائد لم يشتهاها الشاعر. وهي: «نظرة في الحياة»، «أنشودة الرعد»، «في الظلام»، «أيها الليل»، «شعري»، «أيها الحب»، «أغنية الأحزان»، «جدول الحب».

شعره وأغراضه:

ليست العملية الشعرية عند الشابي عملية فنية مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجتمعه، فهو يريد لأمته أن تهب من رقدتها، يريد أن يشهد نهاية الظلم في بلاده، فكان يتغنى بالحياة وبيجهاها من أجل ترغيب الآخرين في أن يتوجهوا إلى ذواتهم أولاً فيصلحون من أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي يلفت أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهمية الحرية. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتألم من أجل الآخرين، رأينا أن الاستجابة لدعواته لم تكن بالحجم الذي أراد، من هنا كانت ردود الفعل عنده عنيفة أحياناً فينهال على الخاملين والكسالى بالتقريع، وينصرف عنهم متوجهاً إلى الطبيعة بكلية، متأثراً بالرومنطيقين، لعله يجد راحة لنفسه المتمردة، ففي الغاب الذي توجه إليه، عودة إلى الفطرة، وعالم الغاب بالمفهوم الرومنطقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة، وهو بين أهله وقومه، هذا

الإحساس، يتطور مع مرور الزمن إلى ملل ويأس واشمئزاز من الذين يتمسكون بأعراف بالية لا يُقرّها عقل ولا تتوافق مع الدين. إذًا، جعل الشابي من الشعر منطلقاً ليعبر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس ومنطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعاني، وسهولة الألفاظ. فالمعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، لينة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقرب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة والمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية رشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخى الشاعر أن يقدم معانيه عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتطربه حيناً، وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراض الشاعر وتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.

قافية الهمزة

نشيد الجبار^(١)

أو هكذا غنى بَرُوْمِيثُوس

[من الكامل]

كَالنُّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ ^(٢)	سَأَعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ وَالْأَغْدَاءِ
بِالسُّحُبِ، وَالْأَمْطَارِ، وَالْأَنْوَاءِ ^(٣)	أَرْنُو إِلَى الشَّمْسِ الْمَضِيَّةِ... هَارِثاً
مَا فِي قَرَارِ الْمَوْتِ السُّوداءِ ^(٤)	لَا أَرْمُقُ الظِّلَّ الْكَثِيبِ... وَلَا أَرَى
غَرْداً - وَتِلْكَ سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ	وَأَسِيرُ فِي دُنْيَا الْمَشَاعِرِ، حَالِماً،
وَأَذِيبُ رُوحَ الْكَوْنِ فِي إِنْشَائِي	أَصْنِي لِمَوْسِقَى الْحَيَاةِ، وَوَحْيِهَا
يُحْيِي بِقَلْبِي مَيِّتَ الْأَصْدَاءِ ^(٥)	وَأَصِيخُ لِلصَّوْتِ الْإِلَهِيِّ، الَّذِي
عَنْ حَرْبِ آمَالِي بِكُلِّ بَلَاءٍ:	وَأَقُولُ لِلْقَدْرِ الَّذِي لَا يَنْشِي
مَوْجُ الْأَمَى، وَعَوَاصِفُ الْأَرْزَاءِ ^(٦)	«لَا يُظْفِيءُ اللَّهَبَ الْمُؤَجَّجَ فِي دَمِي
سَيَكُونُ مِثْلَ الصُّخْرَةِ الصَّمَاءِ»	«فَاهْدَمْ فَوَادِي مَا اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّهُ
وَضِرَاعَةُ الْأَطْفَالِ وَالضَّعْفَاءِ ^(٧)	«لَا يَعْرِفُ الشُّكْوَى الذَّلِيلَةَ وَالْبُكَاءَ،
بِالْفَجْرِ... بِالْفَجْرِ الْجَمِيلِ، النَّائِي ^(٨)	«وَيَعِيشُ جَبَّاراً، يَحْدُقُ دَائِماً

(١) نظمها في ٢٧ شعبان ١٣٥٢ هـ/ ١٥ ديسمبر/ كانون أول ١٩٣٣ م.

(٢) الداء: المرض. القمة الشَّمَاء: القمة العالية الشاخنة.

(٣) أرنو، من الرُّنُو: إدامة النظر بسكون الطَّرْف. الأنواء: جمع النُّوء: النجم مال للغروب.

(٤) أرمقه: الحظه لحظاً خفيفاً. المَوْت: ما انهبط من الأرض.

(٥) أصيخ: أستمع. الأصداء: جمع الصدى: الجسد من الأدمي بعد موته، أو الرجل اللطيف الجسد.

(٦) الأرزاء: جمع الرُّزء: المصيبة.

(٧) الضراعة: الاستكانة والخضوع.

(٨) النائي: البعيد.

«إملاً طريقي بالمخاوف، والدُّجى،
«وانشُرْ عليه الرُّعب، وانثُرْ فوقه
«سَاطِلُ أمشي رغم ذلك، عازفاً
«أمشي بروحِ حالمٍ، متوهِّجٍ
«النور في قلبي وبينَ جوانحي
«إني أنا النَّايُّ الذي لا تنتهي
«وأنا الخِصْمُ الرَّحْبُ، ليس تزيدهُ
«أما إذا خمدت حياتي، وانقضى
«وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي
«فأنا السَّعيدُ بأنني متحوِّلٌ
«لأذوبَ في فجر الجمالِ السرمديِّ
«أقولُ للجَمْعِ الَّذِينَ تَجَشَّمُوا
«ورأوا على الأشواك ظليَّ هامِداً
«وغدوا بِشُبُونِ اللَّهيبِ بكلِّ ما
«ومضوا يَمْدُونِ الخَوَانَ، ليأكلوا
«إني أقول - هُمْ - ووجهي مُشرقٌ
«إنَّ المعاولَ لا تَهْدُ مناكبي

وزوابحِ الأشواك، والخصباء»^(١)
رُجْمَ الردى، وصواعقِ البأساء»^(٢)
قيشارقي، مترنماً بغنائتي
في ظلمةِ الآلامِ والأدواء»^(٣)
فَعَلَامَ أَخشى السَّيرَ في الظلماء»^(٤)
أنغامُهُ، ما دامَ في الأحياء»^(٥)
إلا حياةً سَطَوَتْ الأنواء»^(٦)
عُمري، وأخرستِ المنيةُ نائي»^(٧)
قد عاشَ مثْلَ الشُّعلةِ الحمراء»^(٨)
عَنْ عَالَمِ الآثامِ، والبغضاء»^(٩)
وأرتوي من مَنهلِ الأضواء»^(١٠)
هَدمي وودُّوا لو يخرُّ بنائي»^(١١)
فتخيَّلُوا أَني قضيتُ دِمائي»^(١٢)
وجدوا...، ليشووا فوقه أشلائي»^(١٣)
لحمي، ويرتشفوا عليه دِمائي»^(١٤)
وعلى شفاهي بِسْمَةٌ استهزاء
والنَّارَ لا تأتي على أعضائي»

- (١) الدُّجى: ظلمة الليل. الخصباء: الوحيدة: حَصْبَة.
(٢) الردى: الهلاك. الرُّجْم: النجوم التي يُرجم بها، ومجارة تُنصب على القبر، أو هي العلامة.
(٣) الأدواء: جمع الداء: المرض.
(٤) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر.
(٥) الناي: من آلات الموسيقى.
(٦) الخِصْم: السيّد الحمول المعطاء، والبحر. الأنواء: جمع النوء: النجم مال للغروب.
(٧) خمدت النار: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. خمدت حياتي: انتهت. نائي، يعني نوّتي.
(٨) خبا: سكن وطفئ.
(٩) الآثام: جمع الإثم: الذَّنْب. قوله: عالم الآثام، يعني عالمه الحاضر في الدنيا.
(١٠) السرمد: الدائم. المنهل: المورد والتمشرب.
(١١) تَجَشَّمُوا: تكلَّفُوا.
(١٢) الدِّماء: بقية النفس.
(١٣) الأشلاء: جمع الشَّلْو: العضو.
(١٤) الخوان: ما يؤكل عليه الطعام. يرتشف: يمتص.

«فارموا إلى النار الحشائش...، والعبوا
«وإذا غرّدت العواصف، وانتشى
«ورأيتموني طائراً، مترنماً
«فارموا على ظلي الحجارة، واختفوا
«وهناك، في أمن البيوت، تطارحوا
«وترنموا - ما شتتم - بشتائمي
«أنا أنا فأجيبكم من فوقكم
«من جاش بالوحي المقدس قلبه
يا معشر الأطفال تحت سمائي،
بالهول قلب القبة الزرقاء»^(١)
فوق الزوابع، في الفضاء النائي»^(٢)
خوف الرياح الهوج والأنواء...»^(٣)
غث الحديث، وميت الأراء»^(٤)
وتجاهروا - ما شتتم - بعِدائي
والشمس والشمس والشفق الجميل إزائي :
لم يحتفل بحجارة الفلتاء»^(٥)

أيها الحب^(٦)

[من الخفيف]

أيها الحب أنت سرّ بلائي ونحولي،
وَمُومِي، وَرَوْعِي، وَعَنَائِي^(٧)
وَسُقَامِي، وَلَوْعِي، وَشَقَائِي

أيها الحب! أنت سرّ وجودي
وَشُعَاعِي مَا بَيْنَ دُجُورٍ وَفُورِي
يَا سُلَافَ الْفُؤَادِ! يَا سُمَّ نَفْسِي
وَحَيَاتِي، وَعِزِّي وَإِبَائِي
وَأَلْفِي، وَفُرِّي، وَرَجَائِي^(٨)
فِي حَيَاتِي يَا شِدَّتِي! يَا رَحَائِي!^(٩)
فَيَطْفِئِي، أَمْ أَنْتَ نُورُ السَّاءِ؟

-
- (١) انتشى: سكر. الهول: المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه. القبة الزرقاء، يعني السماء.
(٢) الزوابع: جمع الزوبعة: الإعصار. النائي: البعيد.
(٣) هُوج: جمع هوجاء. الريح الهوجاء: الريح تقلع البيوت. الأنواء: جمع النوء: النجم مال للغروب، ويريد بالأنواء ما يثقله.
تطارحوا الحديث: تبادلوه، غث الحديث: الفاسد منه.
يقال: جاش الوادي: زخر. جاشت العين: فاضت. الفلتة: الفجأة.
(٦) نظمتها في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٢ هـ / غرة أوت - أغسطس آب ١٩٢٤ م.
(٧) العناء: المشقة.
(٨) الديجور: الظلام. أَلْفِي: صاحبي. قُرّة العين: جرجير الماء.
(٩) السلافة والسلاف: الحمرة، أو أولها والخالصة منها.

أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ جَرَعْتُ بِكَ الْحُزَّ
فَبِحَقِّ الْجَمَالِ، يَا أَيُّهَا الْحُزُّ
لَيْتَ شِعْرِي! يَا أَيُّهَا الْحُبُّ، قُلْ لِي:
نَ كُؤُوساً، وَمَا اقْتَنَصْتُ ابْتِغَائِي
بُ حَنَائِكَ يَا وَهُونُ بِلَاتِي^(١)
مِنْ ظَلَامٍ خُلِقْتُ، أَمْ مِنْ ضِيَاءٍ؟

(١) حنائيك، أي: تحنن عليّ مرة بعد مرة وحناناً بعد حنان.

قافية الباء

يا شعر^(١)

[من الكامل]

يَا شِعْرُ أَنْتَ فَمُ الشُّعْرُ حور، وَصَرَخَةُ الرُّوحِ الْكَئِيبُ
يَا شِعْرُ أَنْتَ صَدَى نَحْبِ بِ الْقَلْبِ، وَالصَّبُّ الْفَرِيبُ^(٢)

يَا شِعْرُ أَنْتَ مَدَامُعُ عَلِقْتُ بِأَهْذَابِ الْحَيَاةِ
يَا شِعْرُ أَنْتَ دَمٌ، تَفَجَّرُ رَمِيزَ كُلُّومِ الْكَائِنَاتِ

يَا شِعْرُ قَلْبِي - مِثْلَمَا تَدْرِي - شَقِيٌّ، مُظْلَمٌ
فِيهِ الْجِرَاحُ، النَّجْلُ، يَفُ طَرٌّ مِنْ مَغَاوِرِهَا الدَّمُ^(٣)

جَمَدْتُ عَلَى شَفَتَيْهِ أَرْ زَاءُ الْحَيَاةِ الْعَابِسَةِ^(٤)
فَهُوَ التَّعِيسُ، يُذِيبُهُ نَوْحُ الْقُلُوبِ الْبَائِسَةِ

أَبْدَأُ يَنْوَحُ بِحُرْقَةٍ، بَيْنَ الْأَمَانِي الْمَاوِيَةِ

(١) نظمها في ١٤ رجب ١٣٤٥ هـ / ١٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٧ م.

(٢) الصدى: ما يسمعه المصوت في الجبل أو في غيظه. الصب: المشتاق العاشق.

(٣) النجل: جمع النجلاء: الواسعة. المغاور: جمع المغارة: القعر. كلوم: جمع كلم: جرح.

(٤) الأرزاء: جمع الرزء: المصيبة.

كَالْبُلْبُلِ الْغَرِيدِ مَا بَيْنَ الزُّهُورِ الذَّائِبَةِ^(١)

كَمْ قَدْ نَصَحْتَ نَهْ بِأَنْ يَسْأَلُوا، وَكَمْ عَزَّيْتَهُ
فَأَبَى، وَمَا أَصْفَى إِلَى قَوْلِي، فَمَا أَجْدَيْتَهُ^(٢)

كَمْ قُلْتُ: «صَبْرًا يَا قُوًّا ذَا لَا تَكُفُّ عَنِ النَّجِيبِ؟»
«فَإِذَا تَجَلَّدَتْ الْحَيَاةُ تَبَلَّدَتْ شَعْلُ اللَّهِيْبِ»^(٣)

«يَا قَلْبُ! لَا تَجْزَعْ أَمَّا مَ تَصْلُبِ الدُّفْرَ الْمَصُورَ»^(٤)
«فَإِذَا صَرَخْتَ تَوَجُّعًا هَزَّاتِ بِصَرَخَتِكَ الدُّهُورَ»

«يَا قَلْبُ! لَا تَسْخُطْ عَلَى الْيَامِ، فَالزُّهُرُ الْبَدِيعُ»
«يُضْيِي لَضْجَاتِ الْعَوَا صَفِ قَبْلَ أَنْغَامِ الرَّبِيعِ»

«يَا قَلْبُ! لَا تَقْنَعْ بِشَوْكِ الْبَاسِ مِنْ بَيْنِ الزُّهُورِ»
«فَوَرَاءَ أَوْجَاعِ الْحَيَاةِ عُذُوبَةُ الْأَمَلِ الْجَسُورِ»^(٥)

«يَا قَلْبُ! لَا تَسْكُبْ دُمُورَ عَكَ بِالْفَضَاءِ فَتَنْدَمِ»
«فَعَلَى ابْتِسَامَاتِ الْفَضَاءِ قَسَاوَةُ الْمُتَهَكِّمِ»

لَكِنْ قَلْبِي وَهُوَ مُخَضٌّ لُ الْجَوَانِبِ بِالدُّمُوعِ^(٦)

(١) الزهور الذائبة: الزهور الذابلة.

(٢) أجديته: أعطيته. والجدًا: العطية.

(٣) الجَلْد: الأرض الصلبة. قوله: تجلّدت الحياة، يعني اشتدت وتقوت.

(٤) المَصُور: الذي يهصر، أي: يميل ويدفع ويكسر.

(٥) الجسور: الشجاع الضخم.

(٦) مخضّل: مبتل.

جَاشَتْ بِهِ الْأَحْزَانُ، إِذْ طَفَحَتْ بِهَا تِلْكَ الصُّدُوعُ^(١)

تَبْكِي عَلَى الْحُلُمِ الْبَعِيدِ دِ بِلَوَعَةٍ، لَا تَنْجَلِي
غَرْدًا، كَصَدَاحِ الْهَوَا تَفِ فِي الْفَلَا، وَيَقُولُ لِي: ^(٢)

«طَهَّرْ كُلُّوْمَكَ بِالْذُّمْرِ ع، وَخَلِّهَا، وَسَبِّلْهَا»^(٣)
«إِنَّ الْمَذَامِعَ لَا تَضِيحُ حُ حَقِيرَهَا وَجَلِيلَهَا»

«فَمِنْ الْمَذَامِعِ مَا تَذْفُ ع جَارِفًا حَسَكَ الْحَيَاةُ»^(٤)
«يُرْمِي لَهَاوِيَةَ الْوُجُرِ دِ بِكُلِّ مَا يَبْنِي الطُّفَاةُ»

«وَمِنْ الْمَذَامِعِ مَا تَأَلُّ حُ فِي الْغِيَاهِبِ كَالنُّجُومِ»^(٥)
«وَمِنْ الْمَذَامِعِ مَا أَرَا حُ النَّفْسَ مِنْ عَبْءِ الْمُسُومِ»

فَأَرْحَمُ تَعَاسَتَهُ، وَنَحْ مَعَهُ عَلَى اخْلَامِهِ
فَلَقَدْ قَضَى الْحُلُمُ الْبَدِيدُ عُ عَلَى لَطْفِ الْآلِمِ ^(٦)

يَا شِعْرًا! يَا وَحْيَ الْوُجُرِ دِ الْحَيِّ، يَا لُغَةَ الْمَلَائِكِ ^(٧)
غَرْدًا، فَأَيَّامِي أَنَا تَبْكِي عَلَى إِيقَاعِ نَائِكِ ^(٨)

(١) جاش: غل، جاشت العين: فاضت. الصُّدُوع: جمع الصُّدْع: الشق.

(٢) صَدَح الطائر: رفع صوته بغناء. الهواتف: جمع الهاتف: ما تسمع صوته. الفلا والفلاة: القفر، أو المقاعة لا ماء فيها.

(٣) الكُلُوم: جمع الكلْم: الجرح.

(٤) الحَسَك: نبات له شوك، والحَسَك: العداوة والحقد. ويريد: كل مصاعب الحياة، المادية والمعنوية.

(٥) الغِيَاهِب: جمع الغَيْهَب: الظلمة. تَأَلَّق: التمع.

(٦) اللَّطْفَى: النار، أو لهبها.

(٧) المَلَائِك، أي: الملائكة.

(٨) النَّاي: من الآلات الموسيقية.

رَدَّدَ عَلَى سَمْعِ الدُّجَى أَنَاتِ قَلْبِي الْوَاهِيَةَ^(١)
وَأَسْكَبَ بِأَجْفَانِ الزُّهْرِ رِ دُمُوعَ قَلْبِي الدَّامِيَةَ

فَلَعَلَّ قَلْبَ اللَّيْلِ أَرْ حَمَ بِالْقُلُوبِ الْبَاكِيةَ
وَلَعَلَّ جَفْنَ الزُّهْرِ أَحْ فِظَ لَلدُمُوعِ الْجَارِيَةِ

كَمْ خَرَّكَتْ كَفَّ الْأَسَى أَوْتَارَ ذِيكَ الْحَنِينِ
فَتَهَامَلْتُ أَحْزَانُ قَدْ جِي فِي أَغَارِيدِ الْأَنِينِ^(٢)

فَلَكُمُ ارْقُتْ مَذَامِعِي، حَتَّى تَقَرَّحَتْ الْجُفُونَ
ثُمَّ التَّفَتُّ، فَلَمْ أَجِدْ قَلْبًا يُقَاسِمُنِي الشُّجُونَ

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيْلُ أَرْ حَمَ، فَهُوَ مِثْلِي يَنْدُبُ
وَعَسَى يَصُونُ الزُّهْرُ دَمَ عِي، فَهُوَ مِثْلِي يَسْكُبُ

قَدْ قَنَعَتْ كَفَّ الْمَسَا وَ الْمَوْتَ بِالصَّنَةِ الرَّهِيْبِ،
فَقَدْ كَأَعْمَاقِ الْكُھُورِ فِ، بِلا ضَجِيجٍ أَوْ وَجِيبِ^(٣)

يَأْتِي بِأَجْنِحَةِ السُّكُورِ نِ، كَأَبْهُ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
لَكِنْ طَيْفَ الْمَوْتِ قَا سِ، وَالِدُّجَى طَيْفَ رَجِيمِ

مَا لِمَنْيَةِ لَا تَرِ قُ عَلَى الْحَيَاةِ النَّائِحَةِ؟

(١) الدجى: ظلمة الليل. أنات: جمع أنه من الأنين. الواهية: الضعيفة.

(٢) تهملت، وانهملت، أي: فاضت. وانهملت السماء: دام مطرها في سكون.

(٣) الوجيب: الخفقان.

سَيَّانٍ أَفْئِدَةً، تَدْنِي، أَوْ الْقُلُوبَ الصَّادِحَةَ^(١)

يَا شِعْرًا هَلْ خُلِقَ الْمُنُو نُ بِلا شعورٍ كالجَمَادِ؟
لا رَغْشَةً تَغْمُرُو يَدَيْهِ إِذَا تَمَلَّقَهُ الْفُؤَادُ؟^(٢)

أَرَأَيْتَ أَزْهَارَ الرَّبِيعِ حِ، وَقَدْ ذَوَتْ أَوْرَاقُهَا^(٣)
فَهَرَّتْ إِلَى صَدْرِ الثَّرَا بِ، وَقَدْ قَضَتْ أَشْوَاقُهَا؟^(٤)

أَرَأَيْتَ شُخْرُورَ الْفَلَا، مُتَرَنِّمًا بَيْنَ الْغُصُونِ^(٥)
جَمَدَ النَّشِيدِ بِصَدْرِهِ، لَمَّا رَأَى طَيْفَ الْمُنُونِ؟^(٦)

فَقَضَى، وَقَدْ غَاضَتْ أَغَا رِيْدُ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ^(٧)
وَهَوَى مِنْ الْأَغْصَانِ، مَا بَيْنَ الزُّهُورِ الْبَاسِرَةِ؟^(٨)

أَرَأَيْتَ أُمَّ الطُّفْلِ تَبْ كَيْ ذَلِكَ الطُّفْلِ الْوَحِيدِ
لَمَّا تَنَاوَلَهُ، بَعْنَفٍ، سَا عِدُّ الْمَوْتِ الشَّدِيدِ؟

أَسَمِعْتَ نَوْحَ الْعَاشِقِ الِ وَلَهَانٍ، مَا بَيْنَ الْقُبُورِ

(١) سَيَّانٍ: يثْلان، الصادح: الذي يرفع صوته بغناء.

(٢) تَمَلَّقَهُ: تودد إليه. قوله: تمر يديه، أي تغشاهما.

(٣) ذَوَتْ: ذبلت.

(٤) هَرَّتْ: في الأصل هَرَّتْ فخففها الشاعر. هَرَّتْ وهَرَّتْ، يعني: يبست وتنفشت. وقد تكون مخففة من قولهم: هراه البرد إذا قتله.

(٥) الشُخْرُور: طائر. الفلا والفلاة: الفقر، والمغازاة لا ماء فيها.

(٦) الطَّيْف: الخيال الطائف في المنام. المنون: الدهر، والموت.

(٧) قضى، أي: هلك. غاض الماء: نقص وقل.

(٨) هوى: سقط. الباسرة، من البَسَر: ابتداء الشيء.

يَبْكِي حَبِيبَتَهُ؟ فَيَا لِمَصَارِعِ الْمَوْتِ الْجَسُورِ! (١)

طَفَحَتْ بِأَعْمَاقِ الرَّجْوِ دَسَكِينَةُ الصُّبْرِ الْجَلِيدِ (٢)
لَمَّا رَأَى عَذْلَ الْحَيَاةِ يَضُمُّهُ اللَّحْدُ الْكَنُودُ (٣)

فَتَذَفَّقَتْ لَحْنًا، يُرَدُّ دُهُ عَلَى سَمْعِ الدُّهُورِ
صَوْتُ الْحَيَاةِ بِضَجَّةٍ...، تَسْعَى عَلَى شَفَةِ الْبُحُورِ

يَا شِفْرًا أَنْتَ نَشِيدُ أَمْ حَاجِ الْخِضَمِّ السَّاحِرِ (٤)
النَّاصِعَاتِ، الْبَاسِمَاتِ، الرَّاغِصَاتِ، الطَّاهِرَةِ

السَّافِرَاتِ، الصَّادِحَا مَعَ الْحَيَاةِ إِلَى الْآبِذِ؟ (٥)
كَعَرَائِسِ الْأَمَلِ الضُّحُو كِ، يَمْنَنُ مَا طَالَ الْأَمْدُ (٦)

هَآ إِنِّ أَزْهَارَ الرَّبِّ ح تَبَسَّمَتْ أَكْثَامُهَا
تَرْنُو إِلَى الشَّفَقِ الْبَعِيدِ، تَغْرُهَا أَحْلَامُهَا (٧)

فِي صَدْرِهَا أَمَلٌ، يَحْدُّ ق نَحْوَهَا تِيكَ النُّجُومِ
لَكِنَّهُ أَمَلٌ، سَتُلْحِدُهُ جَبَابِرَةُ الْوُجُومِ (٨)

(١) الجسور: الشجاع الضخم.

(٢) طفع: امتلأ وارتفع. الجليد، أي: الشديد.

(٣) اللحد: القبر. الكنود: الكافر بالنعمة.

(٤) الخضم: البحر.

(٥) الصادحات: الرافعات الصوت بغناء. السافرات: المسافرين. أو المشرقات المضيئات. يُقال: سَفَر الصبحُ: أضاء وأشرق.

(٦) يمس: يتأيلن، يتبخترن.

(٧) رنأ، من الرنؤ وهو إدامة النظر بسكون الطرف.

(٨) تلحده: تدفنه، تضعه في اللحد أي القبر. جبابة: جمع جبار. الوجوم: العبوس. والسكوت على غيظ.

فَلَسَوْفَ تُفِيضُ جَفْنَهَا، عَنْ كُلِّ أَضْوَاءِ الْحَيَاةِ
حَيْثُ الظَّلَامُ غَيِّمَ فِي جَوْ ذِيكَ السُّبَاتِ

هَا إِنَّمَا هَمَسَتْ بِأَذَانِ الْحَيَاةِ غَرِيدَهَا
قَتَلْتَ عَصَافِيرُ الصَّبَا حِصَادَاحَهَا وَنَشِيدَهَا^(١)

يَا شِعْرُ! أَنْتَ نَشِيدُهَا نَيْكَ الزُّهُورِ الْبَاسِمَةِ
يَا لَيْتَنِي مِثْلُ الزُّهُورِ، بِلا حَيَاةٍ وَاجِهَةٍ

إِنَّ الْحَيَاةَ كَثِيبَةٌ، مَغْمُورَةٌ بِدُمُوعِهَا!!
وَالشَّمْسُ أَضْجَرَهَا الْأَسَى، فِي صَحْوِهَا وَهَجُوعِهَا

فَتَجَرَعْتَ كَأْساً دَهَا قَا، مِنْ مُشْعَشَعَةِ الشَّفَقِ^(٢)
فَتَمَايَلْتَ، سَكْرَى إِلَى كَهْفِ الْحَيَاةِ.. وَلَمْ تُفِقْ

يَا شِعْرُ! أَنْتَ نَحِيبُهَا لَمَّا هَوَتْ لُسْبَانِهَا^(٣)
يَا شِعْرُ! أَنْتَ صَدَاحُهَا، فِي مَوْتِهَا وَحَيَاتِهَا

أَنْظُرْ إِلَى شَفَقِ السَّمَاءِ، يَفِيضُ عَنْ تِلْكَ الْجَبَالِ
يَشْعَاعِهِ الْخَلَائِفِ، يَغْمُرُهَا بِبَسْمَاتِ الْجَمَالِ

فَيُثِيرُ فِي النَّفْسِ الْكَثِيرِ جَهْدَ عَاصِفٍ لَا يَزْكُدُ

(١) الصَّدَاحُ: رفع الصوت بغناء.

(٢) كَأْسُ دَهَاقٍ: ممتلئة أو متتابعة.

مشعشع: متفرق. وقوله مشعشعة الشفق، يعني الشمس الغاربة.

(٣) النَحِيبُ: أشد البكاء. السُّبَاتُ: النوم وخفته.

وَيُؤْجِجُ الْقَلْبَ الْمَدَّ لَذَبَ شُعْلَةٍ لَا تَحْمَدُ^(١)

يَا شِعْرًا أَنْتَ جَمَالُ أَضَىٰ هَوَاءِ الْفُرُوبِ السَّاحِرَةِ
يَا هَمْسَ أَمْوَاجِ السَّمَاءِ، الْبَاسِمَاتِ الْحَائِرَةِ

يَا نَائِي أَحْلَامِي الْحَبِيبِ يَا رَفِيقَ صَبَابَتِي^(٢)
لَوْلَاكَ مَتُّ بِلَوْعَتِي، وَيَشْفَوَتِي، وَكَأَبَتِي

فِيكَ أَنْطَوْتُ نَفْسِي، وَفِيكَ نَفَخْتُ كُلَّ مَشَاعِرِي
فَأَصْدَحُ عَلَى قِمَمِ الْحَيَاةِ بِلَوْعَتِي، يَا طَائِرِي

نشيد الأمل^(٣)

[من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لَيْلٍ لِي النَّفْسُ مِنْ صُبْحٍ قَرِيبٍ؟
فَتَقَرُّ عَاصِفَةُ الظُّلَا، وَتَجْعَلُ الرُّغْدَ الْغُضُوبَ^(٤)؟
وَيُرْتَلِّ الْإِنْسَانُ أَغْدَ خِيَةَ مَعَ الدُّنْيَا، طُرُوبَ

مَا لِلرِّيَّاحِ تَهَبُّ فِي الدُّنْيَا، وَيَدْرِكُهَا الْغُضُوبُ^(٥)؟
إِلَّا رِيَّاحِي، فَهِيَ جَاءَتْ، تَمَرَّدُهَا عَصِيبُ^(٦)؟
مَا لِي تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ؟ كَأَنِّي خَلَقْتُ غَرِيبٌ؟
وَتَهْدُ مِنْ قَلْبِي الْجَمْبُ؟ لِي؟ فَهَلْ لِقَلْبِي مِنْ ذُنُوبِ؟

(١) الأجيح والتأجج: تلهب النار.

(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. الصبابة: رقة الشوق.

(٣) نظمها في ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ / ٢٨ أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٨ م.

(٤) تقر: تستقر. المجوع: النوم ليلاً.

(٥) الغيوب: الحمق، والضعف.

(٦) جاعة: غالبة.

وَإِذَا سَأَلْتُ: وَلَمْ أَسْأَلِ الْجَوَّ
قَالَتْ: «تَوَامِسُ السَّيَاءِ قَضَتْ،
أَوْ عَلَى قَلْبِي وَإِنْ شَقِيَّ
أَنْقَى مِنَ الْمَوْجِ الْوَضِي
لَمْ تَفْتَرَفْ إِثْمَ الْحَيَا

دُ، وَكَلَّةُ هُمْ مُذِيبٌ؟
وَمَا لَكَ مِنْ هُرُوبٍ؟^(١)
تُ كَشَفَقَتِهِ قُلُوبُ
ء، وَمِنْ نَشِيدِ الْعَتَدَلِيْبِ
ة، وَكَانَ مَاوَاهَا اللَّهْيَبِ



يَا مُهَجَّةَ الْغَابِ الْجَمِيلِ
يَا وَجْنَةَ الْوَرْدِ الْأَنِيْقِ
يَا جَذُولَ الْوَادِي الطَّرُوبِ
يَا غَيْمَةَ الْأَفْقِ الْخَضِيْبِ
يَا كَوْكَبَ الشَّقَى الضُّحُوكِ
هَ أَنْتَ ذَا فِي الْأَفْقِ تَضُ
تُلْقِي عَلَى قُنَنِ الْجَبَا
لِتَنَامَ أَوْرَادُ الْجِبَالِ الشُّ
وَلَكِي تَغْنِيكَ الْجَدَا
وَتَرَى جَمَالَكَ مِنْ بِنَا
مَمْشُوقَةً، فِي فَرْعِهَا
تَتَلَوُ أَنْاشِيدَ الرَّبِّ
يَا كَوْكَبَ الشَّقَى الضُّحُوكِ
لُحْ فِي السَّمَاءِ وَغَنُّ أَبِ
أَنْشُودَةً تَهْبُ الْقَرَا

أَلَمْ يُصَدِّعْكَ النَّحِيْبُ؟
أَلَمْ تَشَوْفَكَ النُّدُوبُ؟^(٢)
أَلَمْ يُرْنِّقْكَ الْقَطُوبُ؟
أَلَمْ تُمَزِّقْكَ الْخَطُوبُ؟
أَمَا أَلَمْ بِكَ الشُّحُوبُ؟
حَكَ، لَا تَهْمُ، وَلَا تَحْيَبُ
لِ رِدَاءٍ لِّلْأَلَاءِ قَشِيْبِ^(٣)
مُ، فِي مَهْدٍ عَجِيْبِ^(٤)
وَلِ لَحْنِهَا الْعَذْبُ الْحَيِيْبِ
بِ الْغَابِ مِعْطَارُ، لَعُوبِ
تَلَجُ مِنَ الْوَرْدِ الْخَضِيْبِ^(٥)
ع، كَأَنَّا نَجْوَى الْقُلُوبِ
كِ! وَأَنْتَ مُبْتَهَلُ الْكَئِيْبِ
نَاءِ الشَّقَاوَةِ وَالْخَطُوبِ^(٦)
ءَ لِكُلِّ مُبْتَشِّرٍ غَرِيْبِ

- (١) التواميس: جمع التاموس، وهو صاحب السر، وأراد أسرار الساء.
(٢) النُّدُوب: جمع النَّدْبَة: أثر الجرح الباقي على الجلد.
(٣) قُنن: جمع قَنَّة: أعلى الجبل، والجبل الصغير. قشيب: جديد، وخلق، ضد. والقشيب: الأبيض والنظيف، وهذا المعنى أراد.
(٤) أوراد: جمع وَرْد، والورد من الشجرة: نورها. والورد من الخيل: بين الكُميت والأشقر. الشُّم: المرتفعة والواحد أشم.
(٥) الفرع من كل شيء: أعلاه. والفرع: الشمر التام. الخضيب: والمألون المصبوغ.
(٦) قوله: لُحْ، يعني أظهر. الخطوب: جمع الخطب: الشأن، والأمر صغر أو عظم.

كَتَّ صَوْتَهَا اللَّيْلُ الْهَيُوبُ^(١)
 دَ، فَإِنَّهُ عَذَّبَ، خَلُوبُ
 مَ، كَأَنَّهُ حُلْمٌ طَرُوبُ
 لِيُنِيرَ أَعْمَاقَ الْقُلُوبِ
 حَزَانٍ دَقِيقُورُ رَهِيْبُ^(٢)

فَالطَّرِيقُ قَدْ اغْفَتَ، وَأَنْدَ
 وَابْسَطَ جَنَاحَكَ فِي الْوُجُوبِ
 مُتَأَلِّقٌ بَيْنَ النُّجُوبِ
 وَانْشَرَّ ضِيَاءُكَ سَاطِعاً،
 فَعَلَى جَوَانِبِهَا مِنَ الْأَ



لِي، وَتُنْبِئُونِي مَشُوبُ؟^(٣)
 نِيَا، وَصُبْحِي لَا يَزُوبُ؟^(٤)
 دَ، وَلَكُ مَا حَوْلِي رَجِيْبُ؟
 فِي الْغَابِ مُغْتَرِدُ طَرُوبُ؟
 فِي الْكُونِ أَخَاذُ عَجِيْبُ:
 حَ تُلَامِسُ السَّهْلَ الْجَدِيْبُ^(٥)
 بِيَتْ رَائِقُ الزُّمَرِ الرُّطِيْبُ
 رِ تَطْلُ مِنْ خَلْفِ الْغُرُوبِ
 فَاقُ، وَالْجَبَلُ الْخَضِيْبُ
 غَابَاتُ، وَالْأَفَقُ الْخَضِيْبُ
 قِيَامُ، فَعَاذَها الْقَطُوبُ^(٦)
 وَاللَّيْلُ مُرَيْدُ، رَهِيْبُ^(٧)
 فَعِشْتُ سُخْرِيَةَ الْخَطُوبِ...

مَا لِلْمَيَا نَقِيَّةَ حَوْ
 مَا لِلصُّبْحِ يَعُودُ لِلدَّ
 مَا لِي يَضِيقُ بِي الْوُجُوبِ
 مَا لِي وَجَعْتُ وَكُلُّ مَا
 مَا لِي شَقِيْتُ، وَكُلُّ مَا
 فِي الْأَرْضِ أَقْدَامُ الرَّبِيبِ
 فَإِذَا بِهِ يَحْيَا، وَيُنْذِ
 وَهَنَاكَ أَنْوَارُ النُّهَا
 فَتَخَضَّبُ الْأَمْوَاجُ، وَالْأَ
 إِنَّ الْوُجُودَ الرَّحِيْبَ، وَالْأَ
 لَمْ تَحْبُ أَشْوَاقُ الْحَيَا
 أَمَا أَنَا فَقَدْ ذُتُّهَا،
 وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ بِالرُّورُودِ...



هُ فَإِنِّي أَبْدَأُ كَتِيْبُ
 بَ لَا تُجِيْبُ

مَنْهَا تَضَاحَكْتَ الْحَيَا
 أَضْفِي لِأَوْجَاعِ الْكَأ

(١) الهيوب: ذو الهيبة.

(٢) الدقيبور: الظلام.

(٣) مشوب: مخلوط. يريد: «متكرر».

(٤) يزوب: يعود.

(٥) الجدب: الماحل.

(٦) القطوب: العبوس.

(٧) مريد: مغبر.

فِي مَهَجَتِي تَتَأَوُّهُ الْبَدُ وَیَعْتَلِجُ النَّحِيبُ^(١) سَوَى،
 وَيَضُجُّ جَبَّارُ الْأَسَى، وَتَجِيشُ أَمْوَاجُ الْكُرُوبِ^(٢)
 إِنِّي أَنَا الرُّوحُ الَّذِي سَيَظُلُّ فِي الدُّنْيَا غَرِيبُ
 وَيَعِيشُ مُضْطَلَعًا بِأَحْ زَانِ الشُّبَيْبَةِ وَالْمُثِيبِ

فِي سَكُونِ اللَّيْلِ^(٣)

[الرَّمْلُ]

أَيُّهَا اللَّيْلُ الْكَثِيبُ أَيُّهَا اللَّيْلُ الْغَرِيبُ
 مِنْ وَرَاءِ الْهَوْلِ مِنْ خَلْفِ نِقَابِ الظُّلُمَاتِ
 فِي خَلَايَاكَ تَرَاءَتْ لِي أَحْزَانُ الْحَيَاةِ
 هَا أَنَا أَرْنُو فَالْفَيْدِ لَكَ كَجَبَّارٍ حَاطِمٍ^(٤)
 سَاكِنًا جَلَّلَكَ الْحُزْنَ وَأَضْنَاكَ الْوُجُومَ^(٥)
 نَاجِعًا طَافَتْ بِأَعْشَا رَكَ أَحْلَامُ غَضَابٍ^(٦)
 صَامِتًا، تَصْغِي لَأَنَا تِ الْأَسَى، وَالْإِنْتَحَابِ
 رَابِضًا كَالْهَوْلِ فِي إِحْدَى زَوَايَا الْهَاوِيَةِ
 سَاكِبًا فِي رَاحَةِ الدِّ فَجَرِ، الدَّمُوعِ الدَّامِيَةِ
 ضَلَّ مِنْ سَمَّاكَ يَا لَيْلُ بَنِي الْحُزَنِ، بِهِيْمٍ
 إِنَّمَا أَنْتَ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ شَجْوٍ، رَحِيمٍ
 مَا الَّذِي خَلَفَ الْغَيْومَ مَا الَّذِي خَلَفَ النُّجُومَ
 مَا الَّذِي يَكْتُمُهُ الدَّهْرُ وَيُخْفِيهِ السُّفْدُ
 مَا الَّذِي يَحْجِبُهُ غَيْمُ الْحَيَاةِ الْأَرْبَدُ؟^(٧)
 مَا الَّذِي خَلَقَكَ يَا لَيْلُ! أَوَيْلَ أَمْ سَلَامُ

(١) المهجة: الدم أو الروح. يتعلاج: يتلاطم. النحيب: شدة البكاء.

(٢) الكروب: جمع الكروب.

(٣) ليست في أصول الديوان.

(٤) أرنو: أديم النظر يسكون طرف، أو أعجب. ألقى: وجد.

(٥) الوجوم: العبوس.

(٦) الأعشار: القطع. والواحد عُشر.

(٧) الأربد: المغر.

ما الذي خلفك؟ يا	ليلًا أَسودُّ، أم ظلام؟
هل سيبدو الفجرُ	بَسامًا، كمدراء المخلوِّد
تاليًا أنشودة الـ	حبِّ، هل سمع الوجوِّد؟
أم سيبدو من وراء	الأفق، جَبَّارًا عنيِّد
ينذرُ الأيام بالشرِّ	وبالمهل والمريِّد؟
هل سيبدو الفجر	يا ليلًا إذا جاء الغدُّ
وجناحاه إذا رفَّ	اللهيبُ الأسود؟
أيها القلب الدهاقُ	بشجون لا تُطاق ^(١)
أيها المحزون	يا شاعرَ الدهر الكئيب
أيها أنشودة الدهر	نواح، ونحيب
هيا يا ليل لنسعى	نحو هاتيك الفلاة
حيث تقضي بسكون	زاهرات ناضرات
إنَّ ما بين أزاهير	الفلاة الواجدة
شاعراً	حُزنُ الحياة السامدة
وصل التُّرب الذي	اخضل بأنداء الفقام
خطاً: دعني في سباتي	وعلى الدنيا السلام

الكأبة المجهولة^(٢)

[من المنسرح]

أنا كئيب،

أنا غريب،

كأبي خالفت نظائرها	غريبة في عوالم الحرِّ
كأبي فكرةً مفردةً	مجهولةً من مَساميع الزَّمن
لكنني قد سمعتُ رنَّتها	بمُهَجَّتِي، في شَبَابِي السَّيل ^(٣)
سمعتها، فأنصرفتُ مكتئبًا	أشدُّ يحزني، كطائرِ الجبل

(١) الدهاق: الكثير.

(٢) نظمها في ٢٧ محرم ١٣٤٥ هـ / ٧ أوت ١٩٢٦ م.

(٣) تَجل: سكران.

سَمِعْتُهَا أَنَّهُ يَرْجِعُهَا
سَمِعْتُهَا صَرْخَةً مُضْغَضَةً
سَمِعْتُهَا زَنَةً، يَعَانِقُهَا
ضَعِيفَةً مِثْلَ أَنَّهُ صَعَدَتْ
كَأَبَةُ النَّاسِ شُعْلَةً، وَمَتَى
أَمَّا اكْتِسَابِي فَلَوْعَةً سَكَنْتُ
أَنَا كَثِيبٌ، أَنَا غَرِيبٌ

وَلَيْسَ فِي عَالَمِ الْكَأَبَةِ مَنْ
كَأَبَتِي مَرَّةً، وَإِنْ صَرَخْتُ
كَأَبَتِي ذَاتَ قَسْوَةٍ صَهَرْتُ
لَمْ يَسْمَعْ الدَّهْرُ مِثْلَ قَسْوَتِي
كَأَبَتِي شُعْلَةً مُوَجَّجَةً،
سَيَقْلَمُ الْكَوْنُ مَا حَقِيقَتُهَا
كَأَبَةُ النَّاسِ شُعْلَةً، وَمَتَى
أَمَّا اكْتِسَابِي فَلَوْعَةً، سَكَنْتُ

يَحْمِلُ مِعْشَارَ بَعْضِ مَا أَجِدُ^(١)
رُوحِي فَلَا يَسْمَعُهَا الْجَسَدُ
مَشَاعِرِي فِي جَهَنَّمَ الْأَلَمِ
فِي يَقْظَةٍ قَطْ، لَا، وَلَا حُلْمِ
تَحْتَ رَمَادِ الْكَوْنِ تَسْتَعْرِ^(٢)
وَيُطْلَعُ الْفَجْرُ يَوْمَ تَنْفَجِرُ
مَرَّتْ لَيَالٍ خَبَتْ مِنَ الْأَمَدِ
رُوحِي، وَتَبْقَى بِهَا إِلَى الْأَبَدِ

السَّامَةُ^(٥)

[من المتقارب]

سَمِئْتُ الْحَيَاةَ، وَمَا فِي الْحَيَاةِ
سَمِئْتُ اللَّيَالِي، وَأَوْجَاعُهَا
فَحَطَمْتُ كَأْسِي، وَالْقَيْتُهَا
وَمَا إِنْ تَجَاوَزْتُ فَجَرَ الشَّبَابِ
وَمَا شَفَعْتُ مِنْ رَحِيقِ بَصَابِ^(٦)
بِوَادِي الْأَسَى وَجَحِيمِ الْعَذَابِ

(١) المهجة: الدم أو الروح.

(٢) مضغضة: خاضعة وذليلة.

(٣) معشار: يريد جزءاً من عشرة.

(٤) مَوْجَّجَةٌ: ملتفة. تستمر: تشتعل.

(٥) نظمها في ١٥ رمضان ١٣٤٥ هـ / ١٩ مارس آذار ١٩٢٧ م.

(٦) شَعِيقُ الشَّرَابِ: مزجه. الرِّحِيقُ: الخمر أو أطيبها. الصَّبَابُ: جمع الصَّابَةِ: ضرب من الشجر مر، والمصيبة.

فَأَنْتِ، وَقَدْ غَمَرَتْهَا الدُّمُوعُ وَقَرَّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الْحَبَابُ^(١)
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْأَسَى ثَوْبَهُ وَأَقْبَرَهَا الصُّمْتُ وَالْإِكْتِبَابُ

فَأَيْنَ الْأَمَانِي وَأَلْحَانُهَا؟ وَأَيْنَ الْكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابُ
لَقَدْ سَحَقَتْهَا أَكْفُ الظَّلَامِ وَقَدْ رَشَفَتْهَا شِفَاهُ السَّرَابِ^(٢)
فَمَا الْعَيْشُ فِي حَوْمَةٍ بِأَسْهَأَ شَدِيدُ، وَصَدَّاحُهَا لَا يُجَابُ^(٣)
كَثِيبٌ، وَجِيدٌ بِأَلَامِهِ وَأَحْلَامِهِ، شَدْوُهُ الْإِنْتِحَابُ^(٤)
ذَوْتُ فِي الرَّبِيعِ أَزَاهِيرُهَا فَيُثْنِ، وَقَدْ مَصَّهْنُ التُّرَابِ^(٥)
لَوْنُ النُّحُورِ عَلَى ذَلَّةِ وَمُثْنِ وَأَحْلَامُهُنَّ الْعَذَابُ^(٦)
فَحَالَ الْجَمَالَ، وَغَاضَ الْعَبِيرُ وَأَدْوَى الرَّدَى سِحْرَهُنَّ الْعُجَابُ^(٧)

قبضة من ضباب^(٨)

[من مجزوء الكامل]

مَهْمَا تَأَمَّلْتُ الْحَيَا وَجُبْتُ تَجْهَلُهَا الرَّهِيْبُ
وَنَظَرْتُ حَوْلِي، لَمْ أَجِدْ إِلَّا شُكُوكَ السُّتْرِيبِ
حَتَّى دَهَشْتُ، وَمَا أَفِدْ تَ بَدَهَشْتِي رَأْيَا مُصِيبِ
لَكِنِّي أَجْهَدْتُ نَفْسِي، وَفِي بَادِيَةِ اللَّغُوبِ^(٩)
وَدَفَعْتُهَا وَفِي الْهَزْبِ لَهْ فِي مُغَالَبَةِ الْكُرُوبِ^(١٠)

(١) حباب الماء والرَّمَل: معظمه، أو طرائقه، قَرَّتْ: ثَبَتَتْ.

(٢) رَشَفَ: اِمْتَصَّ.

(٣) حومة الشيء: معظمه. الصَّدَّاح: الذي يرفع صوته بغناء.

(٤) الانتحاب: البكاء الشديد.

(٥) ذوت: ذبلت.

(٦) النحور: تحوّل وتغيّر إلى العوج،

(٧) وغاض العبير: نقص وقل. أدوى: ذبل. عُجَاب: عَجِيب.

(٨) نظمها في ٥ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ / ١٢٠ أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٨ م.

(٩) اللغوب: الضعف والحقاقة.

(١٠) الكروب: جمع الكَرْب: الحزن يأخذ بالنفس.

فِي مَهْمِهِ مُتَقَلِّبٌ، تُحْشَى
 فَلِذَا أَصَابَتْ مِنْ مَنَا
 أَرَوْتُ جَوَانِحَهَا، وَذ
 وَمَنْ ارْتَوَى فِي هَذِهِ الدُّ
 أَوْ لَا فَقَدْ رَكِبَتْ مِنْ الْأ
 وَقَضَتْ كَمَا شَاءَ الْخُلُو
 غَوَائِلُهُ، جَدِيدٌ (١)
 هَلِهُ شَرَاباً تَسْتَطِيبُ (٢)
 لَكَ حَسْبُهَا كَيْمَا تَوُوبُ (٣)
 نِيَا تَسْنَمَهَا خَطِيبُ؟
 يَامَ مَرْكَبَهَا الْعَصِيبُ..
 دُ، وَفِي جَوَانِحَهَا الْأُهَيْبُ!

من حديث الشيوخ (٤)

[من الطويل]

أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الشَّبَابِ ضَيِّلَةٌ
 سَأَلْتُ الدِّيَاجِي عَنْ أَمَانِي شَبِيبِي
 وَلَمَّا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْهَا أَجَابَنِي:
 «فَصَارَتْ عَفَاءً، وَاضْمَحَلْتُ كَذْرَةً»
 تُحْطِمُهَا بِثُلُ الْغُصُونِ الْمَصَائِبُ
 فَقَالَتْ: «تَرَامَتْهَا الرِّيحُ الْجَوَائِبُ» (٥)
 «تَلَقَّفَهَا سَيْلُ الْقَضَا، وَالتَّوَائِبُ» (٦)
 عَلَى الشَّاطِئِ الْمَحْمُومِ، وَالتَّوَجُّ صَاخِبُ (٧)

أيها الليل (٨)

[من الخفيف]

أَيُّهَا اللَّيْلُ! يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْهَوِ
 فِيكَ تُجْثَرُ عَرَائِشُ الْأَمَلِ الْعَذْ
 ل، يَا هَيْكَلَ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ!
 ب، تُصَلِّي بِصَوْتِهِ الْمَحْبُوبِ (٩)

- (١) المهمة: المفازة البعيدة، والبلد المقفر. الغوائل: جمع الغائلة: الحقد الباطن والشر. جديد: مجدب ماحل.
- (٢) مناهل: جمع منهل: مورد الماء مشرب.
- (٣) الجوانح: جمع الجانحة: الضلع تحت الترائب مما يلي الصدر. تورب: تعود.
- (٤) نظمها في ١٥ محرم ١٣٤٤ هـ/ ٥ أوت أغسطس آب ١٩٢٥ م. وهي مما نشره زين العابدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن ١٤».
- (٥) دياجي الليل: حنادسه أي ظلمته وكأنه جمع دجاجة. الجوائب: أي التي تحبب البلاد.
- (٦) تلقف: تناول بسرعة. التوائب: جمع النائبة: المصيبة.
- (٧) عفاء: دارة. المحموم: الذي أصابته الحمى.
- (٨) نظمها في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ/ جوان - حزيران ١٩٢٧ م.
- (٩) تجثر: تجلس على ركبتيها.

حَجَبَتْهَا غَيُومٌ ذَهَرُ كَثِيبٍ
بُسْكُونٍ، وَهَيْبَةٍ، وَقُطُوبٍ^(١)
يَكُونُ، مِنْ مَوْطِئِ الْجَحِيمِ الْغَضُوبِ
فِي شَفَاةِ الدُّهُورِ، بَيْنَ النُّحَيْبِ^(٢)
فِي صَدْرِكَ الرُّكُودِ، الرَّحِيبِ^(٣)
رَنَّةَ الْحَقِّ، وَالْجَمَالَ الْخَلُوبِ^(٤)
تَهْزُ الْحَيَاةَ هَزُّ الْخُطُوبِ^(٥)
سَ، فَتَبْكِي، بِلَوَعَةٍ وَنَحِيبِ
وَعَوِيلاً مُرّاً، شَجُونَ الْقُلُوبِ
جَاعٍ، يُلْقِي عَلَيْكَ شَجْوَ الْكَثِيبِ
مَارٍ، مُخْضَلَّةً بِذَمْعِ حَبِيبِ^(٦)
وَلَكَ اللَّهُ مِنْ فَوَادٍ كَثِيبِ
غُورٍ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ
نَضْرَةَ الضُّحُوكِ، الطَّرُوبِ
بِ، جَمِيلاً، كَبْهَجَةِ الشُّؤُوبِ^(٧)
نَا! وَيَا مِعْزَفَ التَّمِيسِ الْغَرِيبِ
فُنَيْكَ، تَنْهَلُ رَنَّةَ الْمَكْرُوبِ^(٨)
بِ، وَتَذْوِي لَدَى لَهَبِ الْخُطُوبِ^(٩)
بُ ظِلَالِ الدُّهُورِ، ذَاتَ قُطُوبِ
السُّودِ، تَذُبُّ الْأَيَّامَ أَيُّ دَبِيبِ^(١٠)

فِي شَيْرِ النَّشِيدِ ذَكَرَى حَيَاةٍ
وَتَرَفُّ الشُّجُونُ مِنْ حَوْلِ قَلْبِي
أَنْتَ يَا لَيْلُ! ذَرَّةٌ، صَعَدَتْ لَدَى
أَيْهَا اللَّيْلِ! أَنْتِ تَنْغَمُ شَجِي
إِنْ أَنْشَوْتَ السُّكُونِ، الَّتِي تَرْتَجُ
تُسْمِعُ النَّفْسَ، فِي هَدْوِ الْأَمَانِ
فَتَصَوِّغُ الْقُلُوبَ، مِنْهَا أَغَارِيداً،
تَتَلَوَّى الْحَيَاةَ، مِنْ أُمِّ الْبُؤْ
وَعَلَى مَسْمَعِيكَ، تَنْهَلُ نَوْحاً
فَارِي بُرْقِعاً شَفِيفاً، مِنْ الْأَو
وَأَرَى فِي السُّكُونِ أَجْنَحَةَ الْجُبِّ
فَلَكَ اللَّهُ! مِنْ فَوَادٍ رَحِيمِ
يَجْمَعُ الْكَوْنُ، فِي طُمَائِنَةِ الْغَضْ
وَبِاخْضَانِكَ الرَّجِيمَةِ يَسْتَقِظُ، فِي
شَادِيَاً، كَالطُّيُوبِ بِالْأَمَلِ الْعَذْ
يَا ظِلَامَ الْحَيَاةِ! يَا رَوْعَةَ الْحُزْ
وَبِقِيثَارَةِ السُّكِينَةِ، فِي كَدِ
فَيْكَ تَنْمُو زَنَابِقُ الْحُلُمِ الْعَذْ
خَلْفَ أَعْمَاقِكَ الْكَثِيبَةِ تَنْسَا
وَبِقُودِيكَ، فِي ضَفَائِرِكَ



(١) الشجون: جمع الشجن: الحزن والهم. القطوب: أن يزوي ما بين عينيه ويكلح، أي يغمس.

(٢) النحيب: شدة البكاء.

(٣) ارتج: اهتز. الرُّكُود: الثابت الساكن.

(٤) الجمال الخلوب: يعني الجمال الأخاذ. ويقال خلبه عقله، أي: سلبه عقله.

(٥) الخطوب: جمع الخطب: الشأن، والامر صغيراً أو كبيراً.

(٦) مخضلة: مبتلة.

(٧) الشؤوب: الدفعة من المطر.

(٨) القيثارة: من الآلات الموسيقية. تنهل: تصب بشدة. المكروب: الحزين.

(٩) زنايق: جمع زنيق: نبات، واستعملها على سبيل المجاز. تذوي: تذبل.

(١٠) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. صفائر: جمع صفيرة: خصلة شعر.

صَاحَ ! إِنَّ الْحَيَاةَ أَنْشَوْدَةُ الْحُزِّ
 إِنَّ كَأْسَ الْحَيَاةِ مُتْرَعَةً بِالْدُّ
 إِنَّ وَايِي الظَّلَامِ يَطْفَحُ بِأَلْهُو
 لَا يَغُرُّكَ ابْتِسَامُ بَنِي الْأَرْ
 أَنْتَ تَدْرِي أَنَّ الْحَيَاةَ قُطُو
 إِنَّ فِي غَيْبَةِ الدُّهُورِ، تَبَاعاً
 سَدَّدَتْ فِي سَكِينَةِ الْكَوْنِ، لِلْأَعْمَا
 نَظْرَةً مَزَقَّتْ شِغَافَ اللَّيَالِي
 وَرَأَتْ فِي صَمِيمِهَا، لَوْعَةَ الْحُزِّ
 لَا تُحَاوِلْ أَنْ تَنْكَرَ الشُّجُو، إِنِّي
 كُنْتُ كَمَا شَاءَتْ السَّمَاءُ كَثِيباً
 أَنْفُوسٌ تَمُوتُ، شَاخِصَةً بِأَلْهُو
 أَمْ قُلُوبٌ مَحْطَاتٌ عَلَى سَا
 لَمَّا النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ طَيُورُ
 يَغْصَفُ الْهَوْلُ فِي جَوَانِبِهِ السُّو

نِ، فَتَرْتَلُّ عَلَى الْحَيَاةِ نَحِيبِي
 مَعَ، فَاسْكُبْ عَلَى الصُّبَاحِ حَبِيبِي^(١)
 لِ، فَمَا أَبْعَدَ ابْتِسَامَ الْقُلُوبِ!
 ضِ فَخَلَفَ الشُّعَاعَ لَذْعَ اللَّهْبِ
 بَ وَخُطُوبَ، فَمَا حَيَاةَ الْقُطُوبِ؟
 لَخَطِيباً يَمُرُّ إِثْرَ خَطِيبِ^(٢)
 قِ، نَفْسِي لَحْظاً بَعِيدَ الرُّسُوبِ
 فَرَأَتْ مُهْجَةَ الظَّلَامِ الْهَيُوبِ
 نِ، وَأَضْفَتْ إِلَى صُرَاخِ الْقُلُوبِ
 قَدْ كَرِهْتُ فِيهَا نَصِيبِي..
 أَيُّ شَيْءٍ يَسُرُّ نَفْسَ الْأَرِيبِ؟^(٣)
 لِ، فِي ظُلْمَةِ الْقُنُوطِ الْعَصِيبِ؟^(٤)
 حَلَّ لُجَّ الْأَسَى، بِمَوْجِ الْخُطُوبِ؟
 قَدْ رَمَاهَا الْقَضَا بِوَادٍ رَهِيْبِ
 دَفَيْقُضِي عَلَى صَدَى الْعَنْدَلِيبِ



قَدْ سَأَلْتُ الْحَيَاةَ عَنْ نَغْمَةِ الْفَجْرِ
 فَسَمِعْتُ الْحَيَاةَ، فِي هَيْكَلِ الْأَحْزَا
 مَا سُكُوتُ السَّمَاءِ إِلَّا وَجُومُ
 لَيْسَ فِي الدُّهْرِ طَائِرٌ يَتَغَنَّى
 خَضْبُ الْاِكْتِثَابِ أَجْنَحَةَ الْأَيَا
 وَعَجِيبٌ أَنْ يَفْرَحَ النَّاسُ فِي كَهْ

رِ، وَعَنْ وَجْهِ الْمَسَاءِ الْقَطُوبِ^(٥)
 نِ، تَشْدُو بِلَحْنِهَا الْمَحْبُوبِ:
 مَا نَشِيدُ الصُّبَاحِ غَيْرُ نَحِيبِ^(٦)
 فِي ضِفَافِ الْحَيَاةِ غَيْرُ كَثِيبِ
 مِ، بِالدَّمْعِ، وَالْدَّمِ الْمَسْكُوبِ^(٧)
 فِي اللَّيَالِي، بِحُزْنِهَا الْمَشْبُوبِ!^(٨)

(١) مُتْرَعَةٌ: مَمْلُوءَةٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ «لَخَطِيبٌ يَمُرُّ» وَفِي نَسْخَةٍ: «إِثْرُ خُطُوبٍ». وَالْأَصَحُّ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٣) الْأَرِيبُ: الْعَاقِلُ.

(٤) الْقُنُوطُ: الْيَاسُ.

(٥) الْوَجْهَةُ: الْعَبُوسُ. الْقَطُوبُ: الْعَابِسُ.

(٦) الْوَجُومُ: الْعَبُوسُ. النَّحِيبُ: شِدَّةُ الْبُكَاءِ.

(٧) خَضْبٌ: لَوْنٌ، وَالْخُضَابُ: الْحَنَاءُ، ضَرْبٌ مِنَ الصَّبَاغِ لِلشَّعْرِ وَغَيْرِهِ، وَفِي نَسْخَةٍ: «وَالدَّمُ الْأَسْكُوبُ».

(٨) الْمَشْبُوبُ: الْمَشْتَعَلُ.

بَاسِمٍ، وَالرَّجَاءُ دُونَ لُغُوبٍ^(١)
ح، تَنَسَّابٌ مِنْ قَمِ الْعَنْدَلِيبِ
بِ، حِينًا - وَبُدِّلْتُ بِنَجِيبِ
نِ، وَلَكِنَّهَا سَمَامُ الْقُلُوبِ^(٢)

كُنْتُ أَرْنُو إِلَى الْحَيَاةِ بِلَخِظٍ
ذَاكَ عَهْدٌ، كَأَنَّهُ زَنْةُ الْآفَرَا
خُفِّقْتُ - رَيْثَمَا أَصَحْتُ لَهَا بِالْقَلْدِ
إِنْ خَمَرَ الْحَيَاةِ وَزِدِيَّةُ اللَّو

مِي، إِلَى اللَّحْدِ، جَائِرَاتُ الْخُطُوبِ^(٣)
وَتَهَاوَتْ إِلَى الْجَحِيمِ الْغَضُوبِ
لَمْ يَزَلْ بَيْنَ جَيْثَةٍ، وَذُهُوبِ^(٤)
سِ، ضِيَالًا، كَرَائِعَاتِ الْمَشِيبِ^(٥)
ةٌ مِنْ جَدُولِ الزَّمَانِ الرَّهِيْبِ!
نِ، فَعَشَّتُهُ مِنْ شُعَاعِ اللَّهِيْبِ..

جَرَفْتُ مِنْ قَرَارَةِ الْقَلْبِ أَحْلَا
فَتَلَاثْتُ عَلَى تَحُومِ اللَّيَالِيِ
وَتَوَى فِي دُجْنَةِ النَّفْسِ، وَمَضُ
ذُكْرِيَاتُ تَمِيسُ فِي ظُلْمَةِ النَّفْسِ
يَا لِقَلْبٍ تَجَرَّعَ اللُّوعَةَ الْمُرَّ
وَمَضَتْ فِي صَمِيمِهِ شُعْلَةُ الْحُزِّ

(١) أرنو، من الرنؤ: إدامة النظر بسكون الطرف، اللغوب: الخمن والضعف

(٢) السام: جمع السهم: ما يقتل ويميت من العقاقير وغيرها.

(٣) قرارة القلب: قاعة. اللحد: القبر. الخطوب: النوازل، والمصائب.

(٤) نوى: أقام. الدجنة: الظلمة.

(٥) تميس: تتبختر وتتهائل.

فلسفة الثعبان المقدس^(١)

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقة في كل مكان. وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصورة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه «تضحية» وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس...

كذلك تحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما تحاول أن تسوغ طريقته في ابتلاعها والعمل لقتل ميزات القومية فتسميها: «سياسة الإدماج» وتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، ويلوغ الكمال الإنساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة، مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام.

[من الكامل]

غَضُ الشَّبَابِ، مُعَطَّرُ الْجِلْبَابِ^(٢)
وَيَطُوفُهَا، فِي مَوَكِبِ خَلَابِ
قَلْبُ الْوُجُودِ الْمُنْتَجِجِ الرَّقَابِ
هُوَ مَعْبُدٌ، وَالْغَابُ كَالْمَحْرَابِ
لِلشَّمْسِ، فَوْقَ الْوَرْدِ وَالْأَعْشَابِ
سَكْرَى بِسُخْرِ الْعَالَمِ الْخَلَابِ
مَا فِيهِ مِنْ مَرَحٍ، وَفَيْضِ شَبَابِ
سَوَاطِ الْقَضَاءِ، وَلَعْنَةُ الْأَرْيَابِ^(٣)
مُتَلَفَّتًا لِلصَّائِلِ الْمُنْتَابِ^(٤)
«مَاذَا جَنَيْتُ أَنَا فَحَقُّ عِقَابِي؟»
بِالْكَائِنَاتِ، مَغْرُودٌ فِي غَابِي
وَأَبْثُهَا نَجْوَى الْمَحَبِّ الصَّابِي^(٥)

كَانَ الرِّبِيْعُ الْحَيُّ رَوْحًا، حَالِمًا
يَمْشِي عَلَى الدُّنْيَا، بِفِكْرَةِ شَاعِرِ
وَالْأَفَقِ بِمِلْأَةِ الْحَنَانِ، كَأَنَّهُ
وَالْكُونُ مِنْ طَهْرِ الْحَيَاةِ كَأَنَّمَا
وَالشَّاعِرُ الشَّخْرُورُ يَرْقُصُ، مُنْشِدًا
شَعْرَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ، وَنَفْسُهُ
وَرَأَى ثَعْبَانُ الْجِبَالِ، فَعَمَّهُ
وَانْقَضَ، مَضْطَجِعًا عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ
بُعِثَ الشَّقِيُّ، فَصَاحَ فِي هَوْلِ الْقَضَا
وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ يَصْرُخُ نَائِرًا:
«لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي مُتَغَزَّلُ
«أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَنَانًا طَاهِرًا

(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٥٣ هـ / ٢٠ أوت - آب أغسطس ١٩٣٤ م.

(٢) الجلباب: القميص، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة.

(٣) مضطجع: حافد. السوط: البقرة، واستعارة للقضاء.

(٤) الصائِل: ذو الصولة، أي السطوة. مُنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

(٥) أبثها: أنشرها. الصابي: الذي يميل إلى الصبا والفتوة.

«أَيْعَدُ هَذَا فِي الوجودِ جَرِيمَةً؟
 «لا (أَيْنَ)؟، فَالْشَّرْعُ الْمُقَدَّسُ ههنا
 «وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جَزْمٌ... مَا لَهُ
 «وَلْتَشْهَدْ الدُّنْيَا الَّتِي غَنِيَّتُهَا
 «أَنَّ السَّلَامَ حَقِيقَةٌ، مَكْذُوبَةٌ
 «لَا عَدْلَ، إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقَوَى
 «فَتَبَسَّمَ الثُّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيءٍ
 «يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْمَشْرِيرُ، إِنِّي
 «وَالْغُرُّ يَعْذِرُهُ الْحَكِيمُ إِذَا طَغَى
 «فَاكْبَحْ عَوَاطِفَكَ الْجَوَامِحَ، إِنَّمَا
 «إِنِّي إِلَهُ، طَالَمَا عَبْدُ الْوَرَى
 «وَتَقَدَّمُوا لِي بِالضَّحَايَا مِنْهُمْ
 «وَسَعَادَةُ النَّفْسِ التَّقِيَّةِ أَنَّهَا
 «فَتَصِيرُ فِي رُوحِ الْأَلُوهَةِ بَضْعَةً،
 «أَفَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّتِي
 «وَتَكُونَ عِزْماً فِي دَمِي، وَتَوْهُجاً
 «وَتَذَوَّبَ فِي رُوحِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي
 «إِنِّي أَرَدْتُ لَكَ الْخُلُودَ مُؤَلَّهاً
 «فَكَّرْتُ، لِيُتَذَرِكَ مَا أَرِيدُ، وَإِنَّهُ
 «فَأَجَابَهُ الشَّحْرُورُ، فِي غُصَصِ الرَّدَى
 «لَا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعِيفِ، وَلَا صَدَى
 «فَأَفْعَلَ مَشِيَّتَكَ الَّتِي قَدْ شَتَّهَا

أَيْنَ الْعَدَالَةِ يَا رِفَاقَ شَبَابِي؟
 رَأْيِي الْقَوِيُّ، وَفِكْرَةُ الْغَلَّابِ!
 عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدِّ عِقْدَابِ!
 حُلْمُ الشَّبَابِ، وَزَوْعَةُ الْإِعْجَابِ
 وَالْعَدْلُ فَلَسَفَةُ اللَّهِيبِ الْخَائِبِ،^(١)
 وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ،
 وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ، وَفَرِطَ كِذَابٍ: ^(٢)
 أَرِثِي لثَوْرَةَ جَهْلِكَ التَّلَابِ،^(٣)
 جَهْلُ الصُّبَا فِي قَلْبِهِ الْوُثَابِ
 شَرَدَتْ بِلَبِّكَ، وَاسْتَمَعَ لَخْطَابِي
 ظَلِي، وَخَافُوا لِعَنَتِي وَعِقَابِي،^(٤)
 فَرَحِينَ، شَأْنَ الْعَابِدِ الْأَوَابِ،^(٥)
 يَوْمًا تَكُونُ ضَحِيَّةَ الْأَرْبَابِ
 قُدْسِيَّةً، خَلَصْتَ مِنَ الْأَوْشَابِ،^(٦)
 فَتَحُلْ فِي لَحْمِي وَفِي أَعْصَابِي
 فِي نَاطِرِي، وَحِدَّةً فِي نَابِي
 وَتَصِيرَ بَعْضُ أَلُوهَتِي وَشَبَابِي...؟
 فِي رُوحِي الْبَاقِي عَلَى الْأَحْقَابِ...
 أَسْمَى مِنَ الْعَيْشِ الْقَصِيرِ النَّابِي،^(٧)
 وَالْمَوْتُ يَخْنُقُهُ: «إِلَيْكَ جَوَابِي»: ^(٨)
 وَالرَّأْيُ، رَأْيِي الْقَاهِرِ الْغَلَّابِ
 وَارْحَمْ جَلَالَكَ مِنْ سَمَاعِ خَطَابِي

(١) الْخَائِبِ: السَّاكِرُ، الْهَادِيءُ.

(٢) السَّمْتُ: الطَّرِيقُ، وَهَيْئَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ.

(٣) الْغُرُّ: الشَّابُّ لَا تَجْرِبَةَ لَهُ. مِنَ التَّلَابِ: مِنَ التَّلَبِّ: الْحِصَاءِ، وَالتَّلَابِ: الْخَاسِرِ.

(٤) الْوَرَى: الْخَلْقُ.

(٥) الْأَوَابِ: الرَّاجِعُ، وَيُرِيدُ التَّائِبَ.

(٦) الْأَوْشَابِ: جَمْعُ الْوُثْبِ: الْخَلِيطُ.

(٧) النَّابِي: الَّذِي قَبِحَتْ صَوْرَتُهُ فَلَا تَقْبَلُهَا الْعَيْنُ، وَيُقَالُ: نَبَا مَنْزِلُهُ بِهِ، إِذَا لَمْ يُوَافِقْهُ.

(٨) الْغُصَصُ: جَمْعُ الْغُصَّةِ: الشَّجَا، وَمَا اعْتَرَضَ فِي الْخَلْقِ فَأَشْرَقَ.

وكذلك تُتَّخَذُ الْمَظْلَمُ مَنْطِقاً عَذِيباً لِتُخْفِيَ سَوْءَةَ الْأَرَابِ (١)

الدُّنْيَا الْمَيِّتَةُ (٢)

[من الكامل]

لَكُنْهَا تَحْيَا بِلَا أَلْبَابِ (٣)
يَدُوي حَوَالِي جَنْدِلٍ وَتَرَابِ (٤)
وَتَرَاثَقُوا بِالشُّوكِ وَالْأَحْصَابِ (٥)
جَهْلًا وَعَاشُوا عَيْشَةَ الْأَغْرَابِ
وَمَطَامِعُ السَّلَابِ وَالْغَلَابِ
وَصَفَائِرُ الْأَحْقَادِ وَالْأَرَابِ (٦)
مَيِّتٍ، كَأَشْبَاحٍ، وَرَاءَ ضَبَابِ
وَتَحَرَّكُوا كَتَحَرَّكِ الْأَنْصَابِ (٧)
إِلَّا كَمَحْتَرَقٍ مِنَ الْأَخْشَابِ
يَسْمُو سُمُو الطَّائِرِ الْجَوَابِ
تَنْمُو مَشَاعِرُهُمْ مَعَ الْأَعْشَابِ (٨)
يَنْمُو وَيَذْبُلُ فِي ظِلَامِ الْغَابِ
نُورُ السَّمَاءِ... فَرُوحُهَا كُتْرَابِ...!
هَدْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْأَعْتَابِ
قَدْ شَيْدَتْهُ غِبَاوَةُ الْأَحْقَابِ (٩)

لَإِنِّي أَرَى... فَارَى جَمْعاً جُمَّةً
يَدُوي حَوَالِيهَا الزَّمَانُ، كَأَنَّمَا
وَإِذَا اسْتَجَابُوا لِلزَّمَانِ تَنَاسَكُوا
وَقَضَوْا عَلَى رُوحِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ
فَرِحَتْ بِهِمْ غَوْلُ التَّعَاسَةِ وَالْفَنَاءِ
لُعْبَى، تُحَرِّكُهَا الْمَطَامِعُ، وَاللَّهْيُ
وَأَرَى نَفُوساً، مِنْ دُخَانٍ، جَامِدٍ
مَوْتٍ، نَسُوا شَوْقَ الْحَيَاةِ وَعَزَمَهَا
وَحَبَا بِهِمْ لَهَبُ الْوُجُودِ، فَلَمَّا بَقُوا
لَا قَلْبَ يَفْتَحُهُمُ الْحَيَاةُ، وَلَا جِجْيَ
بَلْ فِي التَّرَابِ الْمَيِّتِ، فِي حَزْنِ الثَّرَى
وَتَمُوتُ خَامِلَةً، كَزَهْرٍ بَائِسٍ
أَبْدًا تُحْدَقُ فِي التَّرَابِ...، وَلَا تَرَى
الشَّاعِرُ الْمَوْهُوبُ يَتَرَقُّ فَنَّهُ
وَيَعِيشُ فِي كَوْنٍ، عَقِيمٍ، مَيِّتٍ

(١) الأراب: جمع الأرب: الحاجة.

(٢) نظمها في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ / ١٠ أوت - آب أغسطس ١٩٣٤ م.

(٣) الألباب: جمع اللب: العقل والقلب.

(٤) الجندل: ما يقفه الرجل من الحجارة.

(٥) الأحصاب: جمع الحصب، وواحدة الحصب: الحَصْبَةُ: الحجارة.

(٦) اللهْيُ: جمع اللهية: العطية، والخفنة من المال.

(٧) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيسهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى، والواحد: نُصْب.

(٨) الحزن: ما غلظ من الأرض. الثرى: الندى، والتراب الندي.

عقيم، ورجل عقيم: أي الذي لا يولد له. وحرب عقيم يعني شديدة.

(٩) الأحقاب: جمع الحقة وهي من الدهر المدة لا وقت لها، والسنة.

والعالمُ النحريرُ يُنفِقُ عُمرَه
يحيا على رَمَمِ القَدِيمِ المجتَوَى
والشُعْبُ بينهما قطيعٌ، ضائعٌ
أُربِلٌ للحساس في دنياهم

في فَهْمِ الفاظٍ، ودوسِ كِتَابٍ^(١)
كالذود في جَمِ الرُمَادِ الخابي^(٢)
دنياهُ دنيا مأكِلٍ وشَرابٍ
ماذا يلاقِي مِن أُمَى وَعَذَابٍ!

صوتٌ من السماء^(٣)

[من الكامل]

في اللَّيْلِ نَادَيْتُ الكَوَاكِبَ ساخطاً
«الحقلُ يَمْلِكُهُ جَبَابِرَةُ الدُّجَى
«والنَّهْرُ، للغولِ المقدَّسة التي
«وعرائسُ الغابِ الجميلِ، هزيلةٌ
«ما هذه الدُّنْيَا الكَرِيهَةُ؟ ويلَّها!
«الكونُ مُضْغٌ، يَا كَوَاكِبُ، خاشعٌ

متأجِّجٌ الألامِ والآرابِ:
والرَّوْضُ يسْكُنُهُ بنو الأربابِ
لا ترتوي، والغابُ للحطابِ^(٤)
ظمأى لِكُلِّ جَنَى، وَكُلُّ شَرَابٍ
حَقَّتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ الأخقابِ!
طال انتظاري، فانطقي بِجَوَابٍ!



فسمعتُ صوتاً ساحراً، متموجاً
وَحَفِيفَ أجنحةٍ ترفرف في الفضاء
الفجرُ يُولدُ باسمًا، متهللاً

فوق المروجِ الفَيحِ، والأعشابِ^(٥)
وصدئُ يَرْنِ على سُكونِ الغابِ:
في الكونِ، بين دُجْنَةٍ وضبابِ^(٦)

(١) العالم النحرير: الماهر الخاذق.

(٢) الرَّمَم: جمع الرمة: البقية. المجتوى: المكروه. الخابي: الخامد، الساكن.

(٣) نظمها في ١١ ذي القعدة ١٣٥١ هـ / ٨ مارس - آذار ١٩٣٣ م.

(٤) الغول: الهلكة والداهية والسَّعْلاة، والحية، أو دابة رأتها العرب وعرفتھا وقتلھا تأبط شراً، وشيطان يأكل الناس.

(٥) الفَيح: جمع الفيحاء: الواسعة من الدور وغيرها.

(٦) الدُّجْنَة: الظلمة، والغيم المطبق.

للتاريخ^(١)

[من الكامل]

«البؤس لابن الشعب يأكل قلبه
«الشعب معصوب الجفون، مُقسَّم
«الحق مَقْطوع اللسان مُكَبَّل
«هذا قليل من حياة مرة
والمجد والإثراء للأغراب»
كالشاة، بين الذئب والقصاب»^(٢)
والظلم يمح مذهب الجلباب»^(٣)
في دولة الأنصاب والألقاب»^(٤)

وعود الغواني^(٥)

[الرملي]

علّتني بارتشاف الضرب
قد تحلى طلعته من ظلم
فلذا القول سراب لامع
ولذا المربع قاع صفصف
من جنى ثغر جميل أشنب»^(٦)
يخلب اللب بنظم الحبيب»^(٧)
ولذا الوعد كبري خلل
مقفر، إلا يرث الطنب»^(٨)

ليلة عند الحبيب^(٩)

[الرملي]

أنا مأسور لذات الحجب
بنبال صوّت عن كثب

- (١) نظمها في ٢٠ شوال ١٣٥١ هـ/ ١٦ فيفري - شباط ١٩٣٣ م.
- (٢) قوله: معصوب، من العصابة وهي العمامة، وما عُصِبَ به أي: شُدَّ. ويريد أن الشعب لا يرى القصاب، يعني: الجزّار.
- (٣) الجلباب: القميص، والثوب الواسع تلبسه المرأة.
- (٤) الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيهل عليها، ويذبح لغير الله تعالى.
- (٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».
- (٦) الارتشاف: الامتناس. أشنب: عذب.
- (٧) الحبيب: تنضد الأسنان، وما جرى عليها من الماء.
- (٨) القاع: ما اطمأن من الأرض. الصفصف: المستوي من الأرض.
- (٩) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.

كاعب، هيفاء، بض، طفلة
 خطرت تمثي بروض زاهر
 ورنت نحوي بطرف فاتر
 ونبال صوتها، جمة
 تُرسل الليل بفرع فاحم
 لست أنسى ليلة حالكة
 لبست ثوب ظلام داس
 ليلة قد خفتها، منفرداً
 سار بي مهري فيها عنقا
 عاديها بي، متها، أو مُنجداً
 فعشوت النار في صدر الحمى
 فدخلت الهي، والسُتر الدجى
 ورفعت السُتر، فافتت الدجى
 فقضينا ليلة، جادت بها
 تحت ظل الحب، والليل الذي
 هكذا... إذا روّعنا
 قبلتني، ولهب الألم المر
 مثل طل، فوق ورد ويلتي
 ثم قالت: يا حبيبي! سر على
 فتودّعنا، وكل قلبه

دُمية منها جميع المعجب
 مِشية الخيل بوخل السبب^(١)
 ينفث السحر بجفن أهدب^(٢)
 نحو قلبي الهائم المضطرب
 ضاع من جنحيه نثر الزونب
 سُربلت زرقاؤها بالسحب
 وسكون هائل ذي رهب
 في دياجي جوف ذاك الغيب^(٣)
 وزمانا سيره ذو خبب^(٤)
 حاذفاً نحر الفضا بالحصب^(٥)
 وحدها تحفق بين الحجب
 وولجت الجذر، والليل صبي
 عن جمال ساحر مُحجب
 راحة الدفر، الضنين القلب
 ضمنا في كفه، يسخر بي
 ذنب الصبح، كذنب العقرب
 في مدمعها المنسكب
 من جرى طلعة ذاك الذنب^(٦)
 كلاء الرحمان، في المنقلب
 في جحيم مؤلم، ملتهب

(١) السبب: المفاضة.

(٢) رنت: نظرت بسكون طرف.

(٣) الغيب: الظلام.

(٤) التقي، والخبب: ضربان من السير.

(٥) مُنجد: قاصد نجداً. ومتهم: قاصد تهماً.

(٦) الطل: الندى.

قافية التاء

إلى قلبي التائه^(١)

[مجزوء الرمل]

مَا لَافَاكِ يَا قَلْد	بِي سُوداً، حَالِكَا؟
وَلَأَوْرَادِكَ بَيْنَ	شَوْكِ صُفْرًا، ذَاوِيَا؟ ^(٢)
وَلَأَطْيَارِكَ لَا قَلْد	فُؤُو؟ فَأَيْنَ النَّفَمَاتُ؟ ^(٣)
مَا لِمِزْمَارِكَ لَا يَشْدُ	بِدُو بَغِيرِ الشَّهَقَاتُ؟
وَلَاوَنَارِكَ لَا تَحْدُ	فُؤُ إِلَّا شَاكِيَاتُ
وَلَا نَفَامِكَ لَا تَنْدُ	طُقُ إِلَّا بِأَكِيَاتُ
وَلَقَدْ كَانَتْ ضَبَا	حَ الْأَمْسِ بَيْنَ النَّسَمَاتُ
كَعِذَارِي الْغَابِ، لَا	تَعْرِفُ غَيْرَ الْبَسَمَاتُ؟
هَذَا يَا قَلْبِي الْيَحْدُ	رُ، وَأَمْوَاجُ الْحَيَاةِ!
هَذَا الْقَارِبُ مَشْدُوداً	إِلَى تِلْكَ الصَّفَاةِ ^(٤)
هَذَا الشَّاطِئُ! لَكِنْ	أَيْنَ رُبَّانُكَ؟ مَا؟!
أَيْنَ أَحْلَامُكَ يَا قَلْد	بِي؟ لَقَدْ فَاتَ الْفَوَاتُ!
تِلْكَ أَطْيَارُ، أَنْيَقَا	تُ، طِرَابُ، فَرِحَاتُ
غَرَدَتْ، ثُمَّ تَوَارَتْ	فِي غِيَابَاتِ الْحَيَاةِ

أَنْتَ يَا قَلْبِي قَلْبٌ، أَنْضَجْتُهُ الزَّفَرَاتُ

(١) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ / ٢٠ أبريل - نيسان ١٩٢٩ م.

(٢) الأوراد، يعني الورود. ذاويات: ذابلات.

(٣) الصفاة: الحجر الصلد.

نَفَرْتُ عَنْهُ الْقَطَاةُ ^(١)	أَنْتَ يَا قَلْبِي عَشْ،
رَالرِّيَّاحُ الْعَاتِيَاتِ	فَاطَارَتْهُ إِلَى النَّهْ
قُ، وَأَعَوَّادُ عُرَاةُ	فَهُوَ فِي التِّيَّارِ أَوْرَا
هَزَأَتْ مِنْهُ الرُّعَاةُ	أَنْتَ حَقْلٌ، مُجَدَّبٌ، قَدْ
ذَبُّ فِيهِ الْبَاكِياتِ	أَنْتَ لَيْلٌ، مُعْتِمٌ، تَنْدُ
وَيَ إِلَيْهِ الْبَاسَاتِ	أَنْتَ كَهْفٌ، مَظْلَمٌ، تَأْ
بِ عَلَى نَهْرِ الْحَيَاةِ	أَنْتَ صَرْخٌ، شَاةُ الْحَبْ
قَوَّضَتْهُ الْحَادِثَاتُ	لِبَنَاتِ الشَّغْرِ... لَكِنْ
لَامِي الْأَوَّلَى رُقَاتُ	أَنْتَ قَبْرٌ، فِيهِ مِنْ أَيْدِ



تَارَهُ كَفُ الْحَيَاةِ	أَنْتَ عَوْدٌ، مَزَقَتْ أَوْ
سَاءَ، بَيْنَ الْكَائِنَاتِ	فَهُوَ فِي وَحْشَتِهِ الْخَر
أَنْبِيَا الدُّكْرِيَّاتِ	صَامَتْ كَالْقَبْرِ، إِلَّا مِنْ
بُطُ فِي التِّيهِ الْمَوَاتِ ^(٢)	أَنْتَ لَحْنٌ سَاحِرٌ، يَخْذُ
رَتَلَتْهَا الظُّلُمَاتُ	أَنْتَ أَنْشُودَةٌ فَجْرٍ...،
مَةِ، فِي غَيْرِ أُنَاةِ ^(٣)	أَيَا السَّارِي، مَعَ الظِّلِّ
رَاءَ، مَكْبُوحِ الشُّكَاةِ ^(٤)	مُطَرِّقًا، يَخْبُطُ فِي الصَّحْ
أَبَتْ بِغَيْرِ الْحَسَرَاتِ	تَهَتْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا
هَ، فَلِنْ الْمَوْتِ آتٍ	صَلِّ يَا قَلْبِي إِلَى الدُّ
لَهُ غَيْرُ الصَّلَاةِ	صَلِّ فَالْمَنَازِعُ لَا تَبْقَى

(١) القطاة: طائر.

(٢) التيه: المفازة، والمضلة: يخطئ: يسير على غير هدى.

(٣) الساري: الذي يسير في الليل. أناة: صبر.

(٤) الشكاة: المرض.

الطفولة^(١)

[من مجزوء الكامل]

لِلَّهِ مَا أَحْلَى الطِّفْلَ لَهَ! إِنَّمَا حَلُمُ الْحَيَاةِ
عَهْدُ كَمَعْسُولِ الرُّؤْيَى مَا بَيْنَ أَجْنَحَةِ السُّبَاتِ...^(٢)
تَرْنُو إِلَى الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا بَعَيْنٌ بِأَيْمَنَةٍ
وَتَسِيرُ فِي عَدَوَاتٍ وَادِّهَا بِنَفْسٍ حَالَةٍ^(٣)

إِنَّ الطُّفُولَةَ تَهْتَزُّ زُ فِي قَلْبِ الرِّبْعِ^(٤)
رِيَانَةً مِنْ رِيْقِ الْأَنْدَاءِ فِي الْفَجْرِ الْوَدِيعِ^(٥)
غَنَّتْ لَهَا الدُّنْيَا أَغَا فِي حُبِّهَا وَحُبُّورِهَا^(٦)
فَتَأَوَّدَتْ نَشْوَى بَاحِ لَامِ الْحَيَاةِ وَنُورِهَا^(٧)

إِنَّ الطُّفُولَةَ جَفَبَةً شَعْرِيَّةً بِشُعُورِهَا^(٨)
وَدُمُوعِهَا، وَسُرُورِهَا، وَطُمُوحِهَا، وَغُرُورِهَا
لَمْ تَمُشْ فِي دُنْيَا الْكَأَبِ، وَالتَّعَاسَةِ، وَالْعَذَابِ
فَتَرَى عَلَى أَضْوَائِهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ كِذَابِ

(١) نظمها في ١٢ رجب ١٣٤٦ هـ / ٥ جانفي - كانون الثاني يناير ١٩٢٨ م.

(٢) الرؤى: جمع الرؤية: السُّبَات: النوم.

(٣) ترنو: تديم النظر بسكون الطَّرْف. عَدَوَات: جمع عدوة: مكان متباعد.

(٤) الوزن غير صحيح.

(٥) رِيَانَة: ممثلة. أَنْدَاء: جمع ندى.

(٦) الحبور: السرور.

(٧) نشوى: سكرى. تَأَوَّد: انعطف.

(٨) الحَقِيقَة، من الدهر: المدة.

الفتنة الساحرة^(١)

[من الكامل]

قلبي تردى من علا ضهوا
معطار، فاسقة الفروع عليه
ترنو، فتغزو كل قلب ثابت
ماء الحياة بخدّها متموج
مِسْكِيَّةُ الأنفاس وهنا بضّة
تعنوها أسد العرين ذليلة
ت خيل الهوى فغدا أسير فتاة
الأجفان ساحرة بعين مهابة^(٢)
بشفار أشفار وحدّ قنابة^(٣)
كتموج الأنوار بالمشكاة
الأطراف، أنسة بقلب صفاة
وتغرّ، خشية طعنة اللحظات^(٤)

الرّواية الغريبة^(٥)

[من الطويل]

ضحكنا على الماضي البعيد، وفي غدٍ
وتلك هي الدُّنيا، رِوَايَةُ ساحرٍ
يمثّلها الأحياء في مسرح الآسى
ليشهد مَنْ خَلَفَ الضُّبابِ فصولها
وكلُّ يُوْدِي دَوْرَهُ... وهو ضاحكٌ
ستجعلنا الأيامُ أضْحُوكَ الآتي
عَظِيمٍ، غَرِيبِ الفنِّ، مُبْدِعِ آيَاتٍ
ووسط ضبابِ الهمِّ، تمثيلِ أمواتٍ
ويضحك منها مَنْ يمثّل ما يأتي
على الغير، مُضْحُوكٌ على دوره العاتي^(٦)

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان، وقد نشرها الأستاذ زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٢) المهابة: البقرة الوحشية.

(٣) ترنو: تنظر وتديم النظر بسكرن طرف.

(٤) العناية: الصخرة الصلدة، تعمر: تتوّد.

(٥) نظمها في ٢٠ ذي القعدة ١٣٥١ هـ / ١٧ مارس - آذار ١٩٣٣ م.

(٦) العاتي: المستكبر.

دموع الألم^(١)

[الخفيف]

ودموع تفيضها الشَّهَقَاتُ
مأ تَغْنِي بصوتها الأَنَاتُ
هَدُّ عنه الشَّجُونُ والفَصَاتُ؟
جمدت في عيونها العِبرَاتُ؟
عذَّبَتْهَا بصوتها الذِّكْرِيَّاتُ
بين هَوَاتٍ يأسها الحِسرَاتُ
مَزَقَتْه الخطوبُ والصَّعَقَاتُ^(٢)
ملؤهُ من نشيجِها شَهَقَاتُ^(٣)
هَوَتْ من جفونها العِبرَاتُ
الناس في راحة الردى حصواتُ
وتَغْنِي وهم لديها رُفَاتُ^(٤)
فأفاقَت بمهجتي الزفرَاتُ
وطارت بغبطتي المَفَقَاتُ
وغاضت بمهجتي البِسمَاتُ^(٥)
ثي وما تَسُرُّ الحَيَاةُ
وطواني لدى القبور السُّبَاتُ
س ونامت بمهجتي الحِركَاتُ
وأغفت بصدرة النَّدْبَاتُ
وتَهَبُ الحقائقُ الخالِدَاتُ^(٦)

حسرات تُهيجها الذِّكْرِيَّاتُ
وشجون تثير في القلب آلا
مَنْ لقلب إذا تنهد حُزناً
مَنْ لنفس إذا استمرَّ أسامها
كلما مَضُّها الزمان برزء
ما أمضُ الحياة إن ساورتها
أمل ضائع وقلب عنيد
ما ندبت الحياة إلا وسمعي
كلما طافت الحياة حوالي
ما كرهت الحياة إلا لأن
وهي جُبَّارة تدوس بَنِيها
غير أني رأيتها وهي تبكي
ألتني شجونها فتعذَّبْتُ
وشجنتني دموعها فتألمت
عشت في حومة الدهور بآرا
وغداً، إن قضيتُ، غارت شجوني
فنسيتُ الشقاء والدمع واليا
وقضى في سكينتي طائرُ الحزن
هكذا يُلجِمُ المنونُ فؤادي

(١) القصيدة ليست في أصول الديوان، إنما نُشرت في جريدة النهضة بتاريخ ٢٥ جانفي / كانون الثاني سنة

١٩٢٨.

(٢) الخطوب: المصائب.

(٣) النشيج: يُقال: نَشَجَ الباكي، أي: غَصَّ بالبكاء.

(٤) رُفَات: حطام.

(٥) المَهْجَة: الروح، والدم، ودم القلب. غاض: نقص. الشجون: الحزن.

(٦) المنون: الموت.

قافية القاء

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ^(١)

[من الخفيف]

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، لَا تَصُدُّكَ الـ أهوال، أَوْ تُفَزِعَنَّكَ الْأَحْدَاثُ
سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، كَيْفَمَا شَاءَتْ الـ دُنْيَا، وَلَا يَخْدَعَنَّكَ النَّفَاثُ^(٢)
فَالَّذِي يُرْهَبُ الْحَيَاةَ شَقًّا سِي، سَخِرَتْ مِنْ مَصِيرِهِ الْأَجْدَاثُ^(٣)

(١) نظمها في ١٠ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ/ ٧ سبتمبر - أيلول ١٩٢٧ م.

(٢) النَّقْثُ: النَّفْخ. وَالنَّفَاثُ: السَّاحِر.

(٣) الْأَجْدَاثُ: جَمْعُ الْجَدَثِ: الْقَبْرِ.

قافية الحاء أغنية الأحران^(١)

[من مجزوء الرمل]

غَنِّيْ أَنْشُودَةَ الْفَجْرِ الضُّحُوكِ
أَيُّهَا الصَّدَاحُ^(٢)
فَلَقَدْ جَرَّعَنِي صَوْتُ الظَّلَامِ^(٣)
أَلَا عَلَّمَنِي كُرَّةَ الْحَيَاةِ
إِنْ قَلْبِي مَلَّ أَصْدَاءَ النُّوَاخِ^(٤)

غَنِّيْ يَا صَاخُ!
حَطَمْتُ كَفَّ الْأَسَى قَيْثَارَتِي
فِي يَدِ الْأَخْلَامِ^(٥)
فَقَضْتُ صَمْتًا، أَنْشَيْدُ الْغَرَامِ
بَيْنَ أَزْهَارِ الْخَرِيفِ الدَّوَايَةِ^(٦)
وَتَلَاشْتُ فِي سُكُونِ الْإِكْتِثَابِ
كَصَدَى الْغُرَيْدِ

- (١) نظمها في ٢٢ شوال ١٣٤٥ هـ / ٢٦ أفريل - نيسان ١٩٢٧ م.
- (٢) الصَّدَاح: الذي يرفع صوته بغناء
- (٣) جرَّعني، أي سقاني.
- (٤) الأصداء: جمع الصدى: ما يسمعه المصوت في واد أو في غيره، من ترجيع صوته.
- (٥) القيثارة: من الآلات الموسيقية، وذكر تحطيمها للدلالة على ذهاب فرحه.
- (٦) الداوية: الذابلة.

كُفَّ عَنْ تِلْكَ الْأَغَانِي الْبَاسِمَةِ
أَيُّهَا الْعُصْفُورُ!
فَحَيَاتِي الْفَتَتْ لَحْنَ الْأَسَى
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَقَفَّضِي، وَعَسَى
أَنْ يُشِيرَ الشَّدُو، فِي صَمْتِ الْفُؤَادِ
أَنَّهُ الْأَوْتَارُ...!

لَا تُغْنِنِي أَغَارِيدُ الصَّبَاحِ
بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ!
فَقُؤَادِي وَهُوَ مَقْمُورُ الْجَرَاحِ
يَتَبَارِجُ الْحَيَاةَ الْبَاكِئَةَ^(١)
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورِ
وَأَغَانِي النُّورِ
إِنَّ مَنْ أَضْغَى إِلَى صَوْتِ الْمُنُونِ
وَصَدَى الْأَجْدَاثِ^(٢)
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورِ
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ السَّاجِرَةِ
وَابْتِسَامَاتِ الْحَيَاةِ، السَّافِرَةِ^(٣)
عَنْ جَلَالِ اللَّهِ!

غَنِّ يَا صَاحِ، أَنَاكِ الْجَحِيمِ
وَاسْقِنِي الْآلَامِ
أَتَرَعِ الْكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الْهُمُومِ^(٤)
وَاسْقِنِي، إِنِّي كَرِهْتُ الْإِبْتِسَامَ

(١) التباريح، من البرح: الشدة. وتباريح الشوق: توهجه.

(٢) المنون: الموت. الأجداث: جمع الجذث: القبر.

(٣) السافرة: الكاشفة عن وجهها.

(٤) أترع الكأس: أملأه.

غَنَّنِي نَدْبَ الْأَمَانِي الْخَائِبَةِ
وَاللَّيَالِي السُّودِ

غَنَّنِي صَوْتِ الظَّلَامِ الْمُكْتَبِ
إِنِّي أَهْوَاهُ
هَآكْ كَأَسَ الْقَلْبِ فَاغْلَاهَا نُوحُ
وَاسْكُبِ الْحُزْنَ بِهَا حَتَّى الصُّبَاحِ!
إِنَّمَا مِنْ طِينَةِ الْحُزَنِ الْمُرِيرِ
صَاعَهَا الْخَلَاقُ

يَنْسَتِ الْأَفْرَاحُ، أَفْرَاحُ الْحَيَاةِ
إِنَّمَا أَخْلَامُ
تَغْلُبُ اللَّبَّ بِالْحَنَانِ عَذَابُ^(١)
وَأَغَارِيذُ، كَأَمْلَاكِ السَّمَاءِ
ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَذْوِي كَمَا^(٢)
تَذْبُلُ الْأَزْهَارُ

خَبَّرْنِي، مَا الَّذِي خَلَفَ الْغُيُومُ...؟
رَبَّةَ الْأَخْلَامِ
أَفْتَى الْهَوْلِ، وَجَبَّارُ الْهُمُومِ؟
أَمْ عَرُوسُ الْأَمَلِ الْعَذْبِ الشُّرُودِ
تَنْهَادِي بَيْنَ لَأَلَاءِ الصُّبَاحِ؟^(٣)
كَمَلَاكِ النُّورِ

(١) اللب: العقل، والقلب. وتغلب: تسخر..

(٢) تذوي: تذبل.

(٣) تنهادي: تنهليل. لآلاء الصباح: نور الصباح.

أَنَا فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ الْغَامِضَةِ

تَائِهَةً، حَيْرَانًا

بَيْنَمَا أُبْصِرُ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ
ظُلْمَةً الْأَخْزَانِ فِي ظِلِّ الْأَلَمِ
إِذْ أَرَى فِي جَفْنَيْهَا نُورًا، بَدِيعَ
بَاسِمًا، قَتَانًا

هَآ أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ

صَيْحَةَ الْأَلَامِ

مُرَّةً تَنْسَابُ، مِنْ قَلْبِ حَاطِمٍ^(١)
مَلَأَ الْحُزْنَ أَقَاصِيَهُ دُمُوعُ
هَآ أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ السُّرُورِ
كَضْبِ الْأَيَّامِ^(٢)

جمال الحياة^(٣)

[من مجزوء الرَّمَلِ]

وَقَدْ لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الصُّبْحِ	سِرْتُ فِي الرُّوْضِ،
نَحْوَ رَبَّاتِ الْجَنَاحِ	وَجَنَاحِ الْفَجْرِ يُومِي
سَفَى غَيْدَاءَ، رَدَاحِ ^(٤)	وَالدُّجَى يَنْسَقِي رُؤَيْدَا
سَجَسَجًا، فَوْقَ الْبِطَاحِ ^(٥)	وَنَسِيمِ الصُّبْحِ يَسْرِي
نَ، وَزَفَرُ الرُّوْضِ صَاحِ	وَحَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرًا
نِ، جَوْنَاءُ اللَّيْلِ ^(٦)	فَرَنْتُ نَحْوَ جَلَالِ الْكُو

(١) القلب الحطيم، أي: المحطم.

(٢) كذا في الأصل «كفنت الأيام» ولا معنى له.

(٣) نظمها في ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٣هـ/ ١٩ جويلية - تموز ١٩٢٥ م.

(٤) الدجى: الظلام. الغيداء: المشية ليلاً. الرداح من النساء: الثقبلة الأوراك.

(٥) يوم سجسج: لا حر ولا قر.

(٦) رنت، من الرنو: إدامة النظر بطرف ساكن. الجوناء: الشمس. اللياح: الصبح.

ثُمَّ بَانَتْ فِي سُفُو رِ قَاضِحٍ أَيُّ افْتِضَاحِ
 فَاحْتَسَتْ حَمْرَ نَدَى الدَّاءِ مِسٍّ، مِنْ كَأْسِ الْأَفَاحِ
 وَاعْتَلَتْ بَلْقِيسُ عَرْشَ اللَّيْلِ، فِي تِلْكَ النَّوَاحِي (١)
 ثُمَّ مَالَتْ لِغُرُوبِ بَعْدَ إِضْرَامِ الْكِفَاحِ
 وَاسْتَوَى اللَّيْلُ بِرَغَمِ الشَّمْسِ سِرِّ فِي الْعَرْشِ الْفُسَاحِ

هَكَذَا الدُّهْرُ بِأَزْيَاءِ غُدُو، وَرُؤُوحِ (٢)
 وَضِيَاءِ، وَظِلَامِ، وَسُكُونِ، وَصِيَّاحِ
 وَنَشِيدِ، وَقَوَاحِ، وَانْقِبَاصِ، وَانْشِرَاحِ
 إِنَّمَا الدُّهْرُ وَيِثْنَا قُ اللَّيَالِي كَشَجَاحِ (٣)

-
- (١) بلقيس: ملكة اليمن أيام النبي سليمان عليه السلام.
 (٢) الغدوة: البكرة. الرواح: العشي. ويشير إلى تقلبات الدهر.
 (٣) لعله أراد الشُّحَّاح أي صوت البغل فقلب ساخرًا من الدهر.

قافية الدّال

حديث المقبرة (١)

«وهو حوارٌ فلسفيّ، مذكّره الحياة» والموت، والخلود والكمال».

في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المزكوم، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث بنام الموق في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره، عجيح الأمواج الثائرة، فألقاها إلى الليل في الشيد التالي:

[من المتقارب]

وتخبو توهُجُ تلك الخدود؟	أتفنى ابتسامات تلك الجفون؟
وتهوي إلى التُّربِ تلك النهود؟ ^(٢)	وتذوي وريدات تلك الشفاه؟
وينحلُّ صَدْرٌ، بديعٌ، وجيدٌ	وينهدُّ ذاك القوامُ الرُشيقُ
وفتنه ذاك الجمالِ القَريدُ ^(٣)	وتربُّدُ تلك الوجوه الصُّباحُ
أنيقُ الغدائرِ، جَعْدٌ، مَديذٌ	ويغبرُّ فرعُ كجَنحِ الظَّلامِ.
هباءً، حقيراً، وتُرباً، زهيدٌ	ويُصبحُ في ظُلُماتِ القبورِ

(١) نظمها في ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٠هـ / ٣ أبريل - نيسان ١٩٣٢ م.

(٢) تذوي: تذبل. وريدات: تصغير وجمع لوردة. التُّرب، أي: التراب.

(٣) تربُّدٌ: تتغير.

وينجاب سحر الغرام القوي وسكر الشباب، الغرير، السعيد

ويذهب هذا الفضاء البعيد؟
ويهرم هذا الزمان العهيد؟^(١)
وليل الوجود، الرهيب، العتيذ؟
وبدر يضيء، وغيم يجود؟
وسحر، يطرز تلك البرود؟^(٢)
يضج، وتذوي دوي الوليد؟
وتخطو إلى الغاب خطو الرعود؟
كان صنداها زئير الأسود
وتنثي، فتهدوي صخور النجود؟^(٣)
وتتيف للفجر بين الورود؟
وتنهل من كل ضوء جديذ؟
وتفح الشباب، الحبيي، السعيد؟
ليلهوبها الموت خلف الوجود..
كما تنثر الورد ريح شرود
ويحمد روح الربيع، الولود؟^(٤)
ولا تنبت الأرض غصن الورود؟

وصعب على القلب هذا الهمود؟^(٥)
لو اشتمرأ الناس طعم الخلود
ولم يفجعوا في الحبيب الودود
سبيل الردى، وظلام اللحد

أتطوي سموات هذا الوجود؟
وتهلك تلك النجوم القدامى؟
ويقضي صباح الحياة البديع؟
وشمس توشي رداء الغمام؟
وضوء، يرصع موج الغدير؟
وبحر فسيح، بعيد القرار،
وريح، تمر مرور الملاك،
وعاصفة من بنات الجحيم،
تتعج، فتذوي حنايا الجبال
وطير، تغني خلال الغصون،
وزهر، ينمق تلك التلال
وبعبق منه أريج الغرام
أيسطو على الكل ليل الفناء
وتنثرها في الفراغ المخيف
فينضب يم الحياة، الخضم
فلا يلثم النور سحر الخدود

كبير على النفس هذا العفاء!
وماذا على القدر المستمر
ولم يخفروا بالخراب الحيط
ولم يسلكوا للخلود المرجى

(١) العهد: يعني قديم العهد.

(٢) البرود: جمع البرد: ثوب مخطط.

(٣) النجود: جمع النجد: ما أشرف من الأرض.

(٤) اليم: البحر. الخضم: البحر، ومن الرجال: السيد الخمول المعطاء.

(٥) العفاء: الدروس وزوال الأثر. الهود: السكون.

فَدَامَ الشَّبَابُ، وَسِخِرُ الْغَرَامِ، وَفَنُ الرُّبِيعِ، وَلُطْفُ الْوَرُودِ
وَعَاشَ الْوَرَى فِي سَلَامٍ، أَمِينِ وَعِيشَ، غَضِيرٍ، رَخِيٍّ، رَغِيدٌ؟^(١)
وَلَكِنْ هُوَ الْقَدَرُ الْمُسْتَبِدُّ يَلْدُ لَهُ نَوْحُنَا، كَالنَّشِيدِ!

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور
جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فأشفقت على الشاعر
المسكين من الآلهة الروحية وحيثه الظامئة، فأرادت أن تعلمه الحكمة
وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهات الأبيات:

تَبَرُّمْتُ بِالْعِيشِ خَوْفَ الْفَنَاءِ وَلَوْ دُمْتُ حَيًّا سَمِمْتُ الْخُلُودَ^(٢)
وَعِشْتُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الْجِبَالِ جَلِيلًا، رَهِيْبًا، غَرِيبًا، وَحِيدًا
فَلَمْ تَرْتَشِفْ مِنْ رُضَابِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَصْطَبْخْ مِنْ رَحِيقِ الْوُجُودِ^(٣)
وَمَا نَشَوَةُ الْحُبِّ عِنْدَ الْمُحِبِّ وَمَا سِخَرُ ذَاكَ الرَّبِيعِ الْوَلِيدِ
وَلَمْ تَدْرِ مَا فَتْنَةُ الْكَائِنَاتِ وَمَا صَرْخَةُ الْقَلْبِ عِنْدَ الصَّدُودِ
وَلَمْ تَفْتَكِرْ بِالْقَدْرِ الْمُسْتَرَابِ وَلَمْ تَحْتَفِلْ بِالْمَرَامِ الْبَعِيدِ^(٤)
وَمَاذَا يُرْجِي رَبِيبُ الْخُلُودِ مِنَ الْكُؤُنِ - وَهُوَ الْمَقِيمُ الْعَهِيدُ؟^(٥)
وَمَاذَا يَوْدُ وَمَاذَا يَخَافُ مِنَ الْكُؤُنِ - وَهُوَ الْمَقِيمُ الْآبِيدُ؟^(٦)
تَأْمَلْ...، فَإِنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ نِظَامًا، دَقِيقًا، بَدِيعًا، فَرِيدًا
فَمَا حُبُّ الْعِيشِ إِلَّا الْفَنَاءُ وَلَا زَانَهُ غَيْرُ خَوْفِ الْلُحُودِ
وَلَوْلَا شَقَاءُ الْحَيَاةِ الْأَلِيمِ لَمَا أَدْرَكَ النَّاسُ مَعْنَى السُّعُودِ
وَمَنْ لَمْ يَرْغُهُ قُطُوبُ الدِّيَاجِيرِ لَمْ يَغْتَبِطْ بِالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ^(٧)

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين المواقف والأشباح، فقال مجاورها:

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ لِقَاءِ الْمَنَايَا مَنَاصُ لَنْ حَلَّ هَذَا الْوُجُودِ^(٨)

(١) الزورى: الخلق. الغضير: الخضر، الناعم من كل شيء.

(٢) تبرمت بالعيش: مللته.

(٣) ترتشف: تمتص. الرضاب: الرقيق المرشوف، وكفى بالرضاب عن ملذات الحياة.

(٤) المستراب: ما يُريب، وهو من الريبة أي: الشك. الحرام: الغرض.

(٥) الربيب: المربوب، والمعاهد، العهد، أي: قديم العهد.

(٦) المقيم الأبد، أي المقيم أبد الدهر.

(٧) القطوب: العبوس. الدياجير: جمع الدُجُور: الظلام.

(٨) المناص: الملجأ.

وهذا الصِّراع، العنيف، الشَّدِيد
وتلك الأغاني، وذاك النُّشِيد؟
وتلك النُّجوم، وهذا الصَّعِيد^(١)
مِرَاعاً، وَلَكِنَّا لَا نَعُوذُ
وَمِنْهُ الرَّفِيعُ، وَمِنْهُ الزَّهِيدُ
وَمِنْهُ المَشِيدُ، وَمِنْهُ المَبِيدُ
وتلك المَعهود التي لَا تَعُوذُ
وفيها الشَّقِي، وفيها السَّعِيدُ
وفيها الوديعُ، وفيها العنيدُ
ويَصْبِحُ مِنْهَا المَعْدُو، الحَقُودُ
غَرِيبٌ لَعَمْرِي بِهَذَا الوجودِ
فَرَادِي، فَمَا شَأْنُ هَذِي الحَقُودِ؟
وَمَا شَأْنُ هَذَا الإخَاءِ الودودِ؟

فَأَيُّ غِنَاءٍ لِهَذِي الحَيَاةِ
وَذَاكَ الجَمَالِ الَّذِي لَا يُحِلُّ
وهذا الظُّلَامُ، وذاك الضَّيَاءُ
لَمَآذَا نَمُرُّ بِوَادِي الزَّمَانِ
فَنَشْرَبُ مِنْ كُلِّ نَبْعٍ شَرَاباً
وَمِنْهُ اللَّذِيدُ، وَمِنْهُ الكَرِيمُ،
وَنَحْمِلُ عَثْماً مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ
وَنَشْهَدُ أَشْكَالَ هَذِي الوجوهِ
وفيها البَدِيعُ، وفيها الشَّنِيعُ،
فَيُصْبِحُ مِنْهَا السُّوْلِيُّ، الحَمِيمُ،
وَكُلُّ - إِذَا مَا سَأَلْنَا الحَيَاةَ -
أَتَيْنَاهُ مِنْ عَالَمٍ، لَا نَرَاهُ
وَمَا شَأْنُ هَذَا القَدَاءِ العَنِيفِ؟

روح الفيلسوف

وَنُصْبِحُ أَهْلًا لِمَجْدِ الخُلُودِ^(٢)
بِنَارِ الأَسَى.....^(٣)
قُوًى، لَا تُهْدُ بِدَأْبِ الصُّعُودِ^(٤)
أَكَالِيلَ مِنْ رَائِعَاتِ الوردِ

خُلِقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الكَمَالِ
وَتَظْهَرُ أَرْوَاحُنَا فِي الحَيَاةِ
وَنَكْسِبُ مِنْ عَثَرَاتِ الطَّرِيقِ
وَمَجْدًا، يَكُونُ لَنَا فِي الخُلُودِ

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح، في طريقها إلى العالم المجهول،
فطارَت معها روح الفيلسوف وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه
البائسين. وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه:

«خُلِقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الكَمَالِ وَنُصْبِحَ أَهْلًا لِمَجْدِ الخُلُودِ»

ولكن أفكاره الثائرة التي لَا تَهْدَأُ كَانَتْ لَا تَزَالُ تَلَحُّ عَلَيْهِ بِالسُّئَالِ
الكثيرة المرهقة فقال يَنَاجِي روح الفيلسوف التي حسبها مَا زَالَتْ قَرِيبَةً
مِنْهُ:

-
- (١) الصَّعِيدُ: التَّرَابُ.
(٢) الشَّأْوُ: السَّيْقُ، البُعْدُ.
(٣) كَذَا فَرَاغٌ بِالْأَصْلِ.
(٤) الدَّأْبُ: هَهُنَا الْجَدُّ وَالتَّعَبُ.

وَنَلْنَا كَمَالَ النُّفُوسِ الْبَعِيدِ
وَهَلْ لَا نَوُدُّ كَمَالاً جَدِيدِ
وَمَاذَا تُرَاهُ؟ وَكَيْفَ الْحُدُودُ؟
وَمَا دَامَ «فِكْرًا» يُرَى مِنْ بَعِيدِ
يُحْسُ، وَأَصْبَحَ شَيْئاً شَهِيدِ؟
وَتَصْبَحُ أَشْوَاقُنَا فِي حُودِ^(١)
وَفَوْقَ الْخُلُودِ لِبَعْضِ الْمَزِيدِ؟
فَذَلِكَ لَعَمْرِي شَقَاءُ الْجُدُودِ^(٢)
وَنَصْرٌ، وَكُسْرٌ وَهُمْ مَدِيدِ^(٣)
وَأِنْ كَانَ فِي عَرَصَاتِ الْخُلُودِ^(٤)

وَلَكِنْ إِذَا مَا لَبَسْنَا الْخُلُودَ
فَهَلْ لَا نَمْلُ دَوَامَ الْبَقَاءِ؟
وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا «الْكَمَالُ»:
وَأَنْ جَمَالَ «الْكَمَالِ» «الْطَّمُوحُ»
فَمَا سِحْرُهُ إِنْ غَدَا «وَأَقْعَا»
وَهَلْ يَنْطَفِي فِي النُّفُوسِ الْحَنِينِ
فَلَا تَطْمَحُ النَّفْسُ فَوْقَ الْكَمَالِ
إِذَا لَمْ يَزُلْ شَوْقُهَا فِي الْخُلُودِ
وَحَرْبٌ، ضَرُوسٌ، كَمَا قَدْ عَهْدَتْ
وَأِنْ زَالَ عَنْهَا فَذَلِكَ الْفَنَاءُ



كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت إذ ذاك بعيدة
عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في
ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب.

إلى الموت^(٥)

[من المقارب]

أَلَا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلَالِ الْبَعِيدِ!
وَأَنْتَ سَجِينٌ بِهَذَا الْوُجُودِ؟!
خَضِبْ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ، جَدِيدِ، حَصِيدِ؟^(٦)
عَ، فَخَلَفَ ظِلَامُ الرَّدَى مَا تُرِيدُ...

صَبِيَّ الْحَيَاةِ، الشَّقِيَّ الْعَنِيدِ
أَتُنْشِدُ صَوْتَ الْحَيَاةِ الرَّخِيمِ،
وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ الْمَخِ
إِلَى الْمَوْتِ! إِنْ شِئْتَ هَوْنُ الْحَيَاةِ



(١) حُودُ النَّارِ: انطفأؤها.

(٢) الْجُدُودُ: جمع الجد: الحظ.

(٣) الْحَرْبُ الضَّرُوسُ، أَيِ الْحَرْبِ الطَّاحِنَةِ.

(٤) الْعَرَصَاتُ: جمع العَرَصَةِ: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٥) نظمها في ٢٤ صفر ١٣٤٧ هـ / ١٢ أوت - آب ١٩٢٨ م وتجل في نظرتها المتشائمة بدعوته إلى الموت.

(٦) الْمُخَضَّبُ: الملون، المصبوغ. الحصيد، أي: المحصود. والجديد، أي: المجدد.

إلى الموت! يا ابن الحياة التعميس،
إلى الموت؟ إن عَذَّبَتْكَ الدُّهُورُ،
إلى الموت! فالموتُ رُوحٌ جميلٌ،
فَرُوحاً بِفَجْرِ الخُلُودِ البهيجِ،
فَفي الموتِ صَوْتُ الحياةِ الرخيم^(١)
فَفي الموتِ قَلْبُ الدُّهُورِ الرَّحِيمِ
يُرْفَرِفُ من فوقِ تِلْكَ الغُيومِ
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَنَاتِ النُّجُومِ...

إلى الموت! فالموتُ جامٌ رَوِي
وَلَسْتَ براوٍ- إذا ما ظَمِئْتَ- من
فما الدَّمْعُ إلا شرابُ الدُّهُورِ،
إلى الموت! فالموتُ مهدٌ وثيرٌ،
لَمَنْ أَظْمَأَتْهُ سُمُومُ الفَلَاةِ^(٢)
المنبجِ العذبِ قَبْلَ المَمَاتِ
وما الحزنُ إلا غِذاءُ الحَيَاةِ
تَنَامُ بأحضانهِ الكائناتِ^(٣)

إلى الموت! إن حَاصَرَتْكَ الخُطُوبُ،
ففي عالمِ الموتِ تَنضُو الحياةُ
وتبدو، كما خُلِقْتَ غَصَّةً
تُعِيدُ عليها ظِلَالِ الخُلُودِ،
وَسَدْتُ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ
رِداءَ الأسي، وَقِنَاعَ الظَّلَامِ^(٤)
يَفِيضُ عَلَى وَجْهِهَا الإِبْتِسَامُ
وتَهفو عليها قُلُوبُ الأَنَامِ^(٥)

إلى الموت! لا تَحْشَ أَعْيَاقَهُ
وفيهَا تَمِيسُ عِذَارِي السَّمَاءِ،
وفي رَاحِيَتِ غُصُونِ النَّخِيلِ
تَضِيءُ بِهِ بَسَمَاتُ القُلُوبِ،
ففيها ضيَاءُ السَّمَاءِ الوَدِيعِ
عَوَارِي، يُثْبِدُنْ لَحْناً بَدِيعَ...^(٦)
يُحَرِّكُنَهَا فِي فِضَاءٍ يَضُوعُ...^(٧)
وتخبو به حَسَرَاتُ الدُّمُوعِ^(٨)

- (١) الصوت الرخيم: اللين السهل.
- (٢) الجام: إناء من فضة. سموم الفلاة: رياح القفر الحارة.
- (٣) المهد: السرير للصبى، والأرض. الوثير: الثوب الذي يُجَلَّلُ به الثياب فيعلوها. والجمع مباشر وهي مراكب تتخذ من الحرير والديباج.
- (٤) تنضو الحياة رداء الأسي، يعني تفارق هيئة الحزن واليأس. ونضيا الثوب: خلعه.
- (٥) هفا يهفو: أسرع يسرع، الفؤاد يهفو: يذهب في أثر الشيء.
- (٦) الأناب: الخلق.
- (٧) تميمس: تتبختر.
- (٨) الرِّاح، يعني الأكف. يذوع: يتحرك فتنتشر رائحته.
- (٨) النار تحبى: تنطفىء.

هو الموت طيف الخلود الجميد
هنالك... خلف القضاء البعيد،
يضمُّ القلوب إلى صدره،
ويبعث فيها ربيع الحياة،
ل، ونصف الحياة الذي لا ينوخ
يعيش المنون القوي الصبوح^(١)
ليأسو ما مضىها من جروح^(٢)
ويبهجها بالصباح الفروح^(٣)

قلب الشاعر^(٤)

[من الرمل]

كل ما هب، وما دب، وما
من طيور، وزهور، وشذى
ونجار، وكهوف، وذرى
وضياء، وظلال، ودجى،
وثلوج، وضباب عابر،
وتعاليم، ودين، وروى
كلها تحيا بقلبي، حرة
نام، أو حام على هذا الوجود
وينابيع، وأغصان تميدا^(٥)
وبراكين، ووديان، وبيدا^(٦)
وفصول، وغبول، ورعود^(٧)
وأعاصير، وأمطار تجود
وأحاسيس، وصمت، ونشيد
غضة السحر، كأطفال الخلود^(٨)



ههنا، في قلبي الرخب، العميق
ههنا، تغصت أهوال الدجى
ههنا، تهتف أصداؤ الفنا
ههنا، تمثي الأمان، والهوى،
يرقص الموت وأطياف الوجود^(٩)
ههنا، تحفُّ أحلام الورود
ههنا، تعزف الحان الخلود
والأسى، في موكب فخم النشيد

- (١) المنون: الدهر، والموت.
- (٢) يأسو: يداوي. مضى: أحزن وآلم.
- (٣) يبهجها: يسرها. فروح: فرح.
- (٤) نظمها في ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ / ١٦ مارس - آذار ١٩٣٤ م.
- (٥) الشذى: العطر. تميد: تتحرك وتضطرب.
- (٦) ذرى: جمع ذروة: قمة. بيد: جمع بيداء: فلاة.
- (٧) الدجى: الظلام. غبول: جمع غيل: أجمة، وكل واد فيه ماء.
- (٨) غضة: طرية، ناعمة.
- (٩) الأطياف: جمع الطيف: الخيال الطائف بالنام.

ههنا الفجرُ الذي لا ينتهي ههنا الليلُ الذي ليسَ يَبيدُ^(١)
ههنا، ألفُ خِضَمٍّ، ثائرٍ خالدِ الثُّورَةِ، مجهولِ الخُلوذِ^(٢)
ههنا، في كلِّ آنٍ تُحَيِّ صُورُ الدُّنْيَا، وتبدو من جَدِيدِ

رثاء فجري^(٣)

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الغَابُ، المُنْمَ مَتَى بالأشْعَةِ والوردِ!
يا أيُّها النُّورُ النُّقْيُ! وأيُّها الفجرُ البعيدُ!
أينَ اختفيتَ؟ وما الَّذي أقصاكَ عن هذا الوجودِ
أه! لقد كانتَ حَيَاتِي فيكَ حالةً، تَمِيدُ^(٤)
بينَ الخِثَالِ، والجدا ولِ، والتَّرَنَمِ، والنُّشِيدِ
تُصَفِّي لنُجُوكِ الحميرِ لهُ، وهي أغنيةُ الخلودِ
وتعيشُ في كونٍ من الـ غَفَلَاتِ، فتُبانِ، سَعِيدِ
أه! لقد غنى الصُّبَاحُ، فدَمَدَمَ الليلُ العَتِيدِ^(٥)
وتألقَ النُّجُومُ الوُضِيءُ، فأغتمَ الغيمُ الرُّكُودِ
ومضى الرَّدَى بِسَعَادَتِي، وقضى على الحُبِّ الولِيدِ^(٦)

صبيحة الحب^(٧)

[الرمل]

نُشْمَةٌ هُبَّتْ على ضوء القمر نَفَخَتْ في ناي أحزانِ الخَلْدِ^(٨)
ضاقَ صدري، جرَّأها، واستعرَ وأراقَ الوجودَ آسادَ الجَلْدِ

(١) يبيد: يذهب وينقطع.

(٢) الخِضَم: البحر. والسَّيْدُ الحمل المعطاء.

(٣) نظمها في ١ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٤ سبتمبر - أيلول ١٩٣١ م.

(٤) تميد: تتحرك وتضطرب.

(٥) دمَدَمَ: تكلم بغضب. العَتِيد: الحاضر المهيأ.

(٦) الرَّدَى: الهلاك.

(٧) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.

(٨) الخَلْد: البال، والقلب.

كيف لي بالصبر، والصبرُ اندثر
 كيف لي...؟ والحبُّ لا يبقى على
 كيف لي...؟ والحبُّ قد زاد إلى
 آه! كم تُلجِدُ أوهامُ الصُّبا
 آه! كم تُبكي أفانينُ الرُّب
 آه! كم تخدع الحاظ الظُّبا
 آه! آوَاه! وهل تنفعني
 يا فتاتي! هل تُلبِّي دَعْوَةَ
 رفرقتُ والحبُّ، ليلاً، وهنأ، خلسة
 سكبتها الروح، ليلاً، نغمة
 بحياة الحبِّ، لبي دعوتي
 لا تخافي، فالُدجى يرجو التي
 يا عروس الحب، هيا واخلمي
 واذكري أصوات قلبي، واسمعي
 أو دعيني في عذابي، وأسرعني
 يا فتاتي ذُكِّري الليل بما
 واسألني أملاك حُبِّي في السما
 كم سمعتُ الليل يمشي هامساً
 وهدوء الليل يسمي حارساً
 وفؤادي إذ تولاه الأسي
 كم سمعتُ الليل، والليل اختفى
 يسكب الحب بالحنان السوفا

تحت أقدام الجوى، لما اتَقَدَ
 جَلَدَ القلب، بأشواق الميام
 صعقات الحزن أنات السَّقام^(١)
 في قبور الحبِّ، من قلب بشير
 كلُّ صبِّ بابتسامات الزَّهر
 كلُّ صبِّ، بسوادٍ وَحَوْرٍ^(٢)
 إنما «آه» كرناتِ الصُّدى
 صعدتُ من غورِ أعماق الفؤادِ؟
 من عيون الدهر، في ليل الحِدادِ
 في جلال الكون، في صمتِ العبادِ
 وابعثي روحك للروح الحزينِ
 جرَّعته الحب في كأس السكونِ^(٣)
 من جموني الداميات الأرقا
 مهجتي الظلمياء أنغام اللقا
 واحذري أن تسمعي صوت الشقا
 نَفَتته الروح في صدر الظلام
 عن خشوعي، وابتسامي للسَّقام
 في خشوع الكون أنات الشُّعورِ
 لملك الحبِّ، في صدر الأثيرِ
 يقتفي الآثار في ظل الصدورِ
 في ضباب الفجر، كالطير الأصم
 باكياً بالدمع، من جفن الألم

(١) السَّقام: المرض.

(٢) الظباء: الغزلان. الحَوْر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها

(٣) الدجى: الظلام.

الأديب^(١)

[الكامل]

تَعْنُو إِلَيْهَا الصَادِحَاتُ وَتَسْجُدُ^(٢)
تَلْقَاهُ صَدَّاحُ الصَّدَى يَتَغَرَّدُ
مَلَأَ الْفَضَاءَ تَلْهُباً لَا يَخْمَدُ
إِلَّا أَذْكَاراً مَوْلأً يَتَجَدَّدُ
الْأَحْلَامُ مِنْهَا يَنْتَقِي وَيَنْضُدُ
مِنْهَا السَّعَادَةُ فِي الْوَرَى تَتَخَلَّدُ^(٣)
تَصْبُو أَمَانِيهِ فَلَا يَتَرَدَّدُ
وَلِذَلِكَ النِّهْرُ الَّذِي لَا يَهْجَدُ
دَمْعاً هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالُ الْآيَّدُ
رَجَعْتَ وَفِيهَا خَاطِرٌ يَتَوَقَّدُ
مَلِكٌ حَوَالِيهِ الْكَوَاعِبُ تَحْشُدُ^(٤)
أَيْدِي النِّسِيمِ فَيَنْتَشِي وَيَعْرِبُدُ
ثَغَرَ الْأَقْوَاحِ مَبْلَبُلاً يَتَوَدَّدُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ مَدَى الزَّمَانِ تَغَرَّدُ
تِلْكَ السَّهُولِ جَاذِراً لَا تُكْمَدُ^(٥)

إِنَّ الْأَدِيبَ كَزَهْرَةِ نَفَاحِهِ
بَلْ بَلْبَلٌ مَا بَيْنَ أَنْسَامِ الْمَنَى
تُشْجِيهِ ذِكْرِي مَجْدُ شَعْبٍ بَاذِخٍ
فَيَنْوَحُ مُلْتَهَباً عَلَى مَا لَمْ يَعُدْ
وَيَقُودُهُ الْوَهْمُ الْجَمِيلُ لِلْجَعَةِ
فَيَصُوغُ مِنْ دَرَرِ الْخَيَالِ قَلَائِدًا
وَالِي مِلْدَاتِ الْغَرَامِ وَوَهْمِهِ
فَيَبْثُ لِلطَّيْرِ الْمَغْرَدِ سِرَّهُ
إِنَّ هَزْماً بِالْكَفِّ الرِّيَاعَةُ أَسْلَبَتْ
أَوْجَاسَ أَطْرَافِ النُّجُومِ بِلَمْحَةٍ
وَيَطُوفُ مَا بَيْنَ الزُّهُورِ كَأَنَّهُ
وَيَعْرِشُفُ الْأَزْهَارَ يَسْقِي الرِّاحَ مِنْ
إِنْ رَامَ تَقْبِيلَ الثُّغُورِ بِدَالِهِ
أَوْ رَامَ نَجْوَى فَالْبَلَابِلِ حَجَّةَ
أَوْ شَاقِهِ سَحَرُ الْعَيُونِ فَإِنَّ فِي

المجد^(٦)

[من الطويل]

يَسُودُ الْفَتَى لَوْ خَاضَ عَاصِفَةَ الرَّدَى وَصَدَّ الْخَمِيسَ الْمَجْرَ وَالْأَسَدَ الْوَرْدَا^(٧)

- (١) ليست في أصول ديوانه، ولكن نسبها إليه نور الدين صمود. مجلة الفكر العدد ٦٦/١٠. وكانت القصيدة نشرت في جريدة النهضة بتاريخ ١٦ فيفري فبراير شباط سنة ١٩٢٨ باسم محمود خروف.
- (٢) الصادحات: المغنيات.
- (٣) القلائد: العقود. الوري: الخلق.
- (٤) الكواعب: جمع الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها.
- (٥) جاذر: جمع جؤذر: بقرة وحشية.
- (٦) نظمها في ٢ صفر ١٣٤٦ هـ / غرة أوت - آب ١٩٢٧ م.
- (٧) الخميس: الجيش لأنه خمس فرق. والخميس المجر، أي الجيش العظيم.

الورد: الأسد، والشجاع.

لِيُذَكِّرَ أَجَادَ الْحُرُوبِ، وَلَوْ دَرَى
فَمَا الْمَجْدُ فِي أَنْ تُسَكَّرَ الْأَرْضُ بِالْذُّمَّا
وَلَكِنَّهُ فِي أَنْ تَصُدَّ بِهِمَّةٌ
حَقِيقَتُهَا مَا رَامَ مِنْ بَيْنِهَا تَجْدُ،
وَتَرْكَبَ فِي هَيْجَانِهَا فَرَساً نَهْدًا^(١)
عَنِ الْعَالَمِ الْمَرْزُوءِ، فَيُضَ الْأَسَى صَدًا^(٢)

صلوات في هيكل الحب^(٣)

[من الخفيف]

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطُّفُولَةِ، كَالْأَحْلَامِ
كَالسَّيِّئِ الضُّحُوكِ كَاللَّيْلَةِ الْقَمَرَاءِ
يَا لَهَا مِنْ وَدَاعَةٍ وَجَالٍ
يَا لَهَا مِنْ طَهَارَةٍ، تَبْعُثُ التَّقْدِيدَ
يَا لَهَا رَقَّةً تَكَادُ يَرْفُ الْوَرْدُ
أَيُّ شَيْءٍ تُرَاكِ؟ هَلْ أَنْتِ «فِينِيسُ»
لَتُعْمِدَ الشَّبَابَ وَالْفَرْحَ الْمَعْسُورَ
أَمْ مَلَائِكُ الْفَرْدُوسِ جَاءَ إِلَى الْأَرِ
أَنْتِ... مَا أَنْتِ؟ أَنْتِ رَسْمٌ جَمِيلٌ
فِيكَ مَا فِيهِ مِنْ غَمُوضٍ وَعُمْقٍ
أَنْتِ... مَا أَنْتِ؟ أَنْتِ فَجْرٌ مِنَ السَّحَرِ
فَأَرَاهُ الْحَيَاةَ فِي مُوْنَتِي الْحُسْنِ

كَاللَّحْنِ، كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالْبُورْدِ، كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ
وَشَبَابٍ مِنْقَمٍ أُمْلُودًا^(٤)
سَ فِي مَهْجَةِ الشَّقِيِّ الْعَنِيدِ!..
دُ مِنْهَا فِي الصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ!^(٥)
تَهَادَتْ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ جَدِيدٍ^(٦)
لَ لِلْعَالَمِ التُّعِيسِ الْعَمِيدِ!^(٧)
ضَ لِيُحْيِيَ رُوحَ السَّلَامِ الْعَمِيدِ!^(٨)
عَبَقْرِي مِنْ فَنِّ هَذَا الْوُجُودِ
وَبِحَالِ مَقْدُسٍ مَعْبُودِ
تَجَلَّى لِقَلْبِي الْمَعْمُودِ^(٩)
وَجَلَّ لَهُ خَفَايَا الْخُلُودِ^(١٠)

(١) الهيجاء: الحرب.

الفرس النهد: الحسن الجميل الجسيم اللطيف المشرف.

(٢) المرزوء: المصاب. والمعنى: أن المجد في دفع الظلم وليس في سفك الدماء.

(٣) نظمها في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٣ أكتوبر - تشرين أول ١٩٣١ م.

(٤) الأملود: اللبن الناعم.

(٥) الصخرة الجلמוד، أي الصلابة.

(٦) فينيس: اسم لما زعمها اليونان القدماء إلهة الجمال. تهادى: تمايل.

الورى: الخلق.

(٧) العميد: الذي منه العشق.

(٨) العميد: يعني القديم العهد.

(٩) المعمود: الذي منه العشق.

(١٠) موني: معجب متبهج.

أَنْتِ رُوحُ الرَّبِّيعِ، تَحْتَالُ فِي
وَتَهْبُ الْحَيَاةَ سَكْرَى مِنَ الْعِطْرِ،
كَلِمَا أَبْصَرْتُكَ عَيْنَايَ تَمْشِينَ
خَفَقَ الْقَلْبُ لِلْحَيَاةِ، وَرَفَّ الزَّهْرُ
وَانْتَشَتْ رُوحِي الْكَثِيبَةُ بِالْحَبِّ
أَنْتِ تُحْيِينَ فِي فُؤَادِي مَا قَدْ
وَتُشِيدِينَ فِي خَرَائِبِ رُوحِي
مِنْ طُمُوحٍ إِلَى الْجَمَالِ إِلَى الْفَنِّ،
وَتُبْشِّرِينَ رَقَّةَ الشُّوقِ، وَالْأَحْلَامِ
بَعْدَ أَنْ عَانَقْتُ كَابَةَ أَيَّامِي
أَنْتِ أَنْشُدَةُ الْأَنْشَائِدِ غَنَّاكَ
فِيكَ شَبُّ الشَّبَابِ، وَشَحَّةُ السُّخْرِ
وَتَرَايَ الْجَمَالَ، يَرْقُصُ رَقْصاً
وَتَهَادَثَ فِي أَنْفِ رُوحِكَ أَوْزَانُ
فَتَمَایَلَتْ فِي الْوُجُودِ، كَلَحْنَ
خَطَوَاتُ، سَكْرَانَةً بِالْأَنْشَائِدِ،
وَقَوَامٌ، يَكْأَذُ يَنْطُقُ بِالْأَلْحَانِ
كُلُّ شَيْءٍ مَوْقِعٌ فِيكَ، حَتَّى
أَنْتِ..، أَنْتِ الْحَيَاةُ فِي قُدْسِهَا السَّامِيِّ،
أَنْتِ..، أَنْتِ الْحَيَاةُ، فِي رَقَّةِ
أَنْتِ..، أَنْتِ الْحَيَاةُ، كُلُّ أَوَانٍ
أَنْتِ..، أَنْتِ الْحَيَاةُ فِيكَ وَفِي
أَنْتِ دُنْيَا مِنَ الْأَنْشَائِدِ وَالْأَحْلَامِ

الدُّنْيَا فَتَهْتَرُ رَائِعَاتُ الْوُرُودِ
وَيَذُوبُ الْوُجُودُ بِالتَّغْرِيدِ
بِخَطْوِ مَوْقِعٍ كَالنَّشِيدِ
فِي حَقْلٍ عَمْرِي الْمَجْرُودِ^(١)
وَعَنَّتْ كَالْبَلْبَلِ الْغُرِيدِ
مَاتَ فِي أَمْسِي السُّعِيدِ الْفَقِيدِ
مَا تَلَاثَى فِي عَهْدِي الْمَجْدُودِ^(٢)
إِلَى ذَلِكَ الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ
وَالشَّدْوِ، وَالْمَوَى، فِي نَشِيدِي
فُؤَادِي، وَالْجَمْتُ تَغْرِيدِي
إِلَى الْغَنَاءِ، رَبُّ الْقَصِيدِ
وَشَدُو الْمَوَى، وَعِطْرُ الْوُرُودِ
قُدْسِيّاً، عَلَى أَغَانِي الْوُجُودِ
الْأَغَانِي، وَرَقَّةُ التَّغْرِيدِ^(٣)
عَبَقْرِي الْخِيَالِ حُلُو النُّشِيدِ:
وَصَوْتُ، كَرَجَجِ نَايٍ بِعِيدِ^(٤)
فِي كُلِّ وَقْفَةٍ وَقَعُودِ
لَفَحَةِ الْجَمِيدِ، وَاهْتِزَّازِ النُّهُودِ^(٥)
وَفِي سِحْرِهَا الشَّجِيِّ الْفَرِيدِ^(٦)
الْفَجْرِ فِي رَوْنِقِ الرَّبِّيعِ الْوَلِيدِ
فِي رُؤَايَ مِنَ الشَّبَابِ، جَدِيدِ^(٧)
عَيْنَيْكَ آيَاتُ سِحْرِهَا الْمَمْلُودِ
وَالسُّخْرِ وَالْخِيَالِ الْمَدِيدِ

(١) المجرود: العاري.

(٢) المجدود: المحظوظ.

(٣) تهادت: تمايلت.

(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. رجع الناي: يعني: صوته.

(٥) الجيد: العنق.

(٦) الشجي: من الشجاء، ويُقال: شجاء، أي أحزنه وطربته، وتعني هنا التطريب.

(٧) الرواء: حسن النظر.

وَفَوْقَ النُّهَى وَفَوْقَ الْحُدُودِ
وَرَبِيعِي، وَنَشْوَئِي، وَخُلُودِي

أَنْتِ فَوْقَ الْخِيَالِ، وَالشُّعْرِ، وَالْفَنِّ
أَنْتِ قُدْسِي، وَمَعْبُدِي، وَصَبَاحِي

مَنْ رَأَى فِيكَ رَوْعَةَ الْمَعْبُودِ
وَفِي قُرْبِ حُسْنِكَ الْمَشْهُودِ
وَالطُّهْرِ، وَالسُّنَى، وَالسُّجُودِ
بُ فِي نَشْوَءِ الذُّهُولِ الشَّدِيدِ^(١)
حَيَّ يَا ضَوْءَ فَجْرِي الْمُنْشُودِ
بِ مِنْ الْيَأْسِ وَالظُّلَامِ مَشِيدِ
تُ لَا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ وَجُودِي
تَحْتَ عِبَاءِ الْحَيَاةِ جَمِّ الْقَيْودِ^(٢)
وَقَلْبِي كَالْعَالَمِ الْمَهْدُودِ:
شَائِعٌ فِي سَكُونِهَا الْمَمْدُودِ
تَبَسُّمْتُ فِي أَسَى وَجُمُودِ
مِنْ الشُّوْكِ ذَابِلَاتِ الْوُرُودِ^(٣)
وَشُدِّي مِنْ عِزْمِي الْمَجْهُودِ
أَتَغْنَى مَعَ الْمَنَى مِنْ جَدِيدِ
بُلْبُلِي، مُكْبَلِ الْحَدِيدِ
حَيَاةَ الْحِطَمِ الْمَكْدُودِ^(٤)
أَنْقِذْنِي، فَقَدْ مَلِكْتُ رَكُودِي!^(٥)

يَا ابْنَةَ النُّورِ، إِنِّي أَنَا وَحْدِي
فَدْعِينِي أَعِيشُ فِي ظِلِّكَ الْعَذْبِ
عَيْشَةً لِلْجَمَالِ وَالْفَنِّ وَالْإِلْهَامِ
عَيْشَةً النَّاسِكِ الْبُتُولِ يُنَاجِي الرَّ
وَامْنَحِينِي السَّلَامَ وَالْفَرَحَ الرَّو
وَارْحَمِينِي، فَقَدْ تَهْدَمْتُ فِي كَو
أَنْقِذْنِي مِنَ الْأَسَى، فَلَقَدْ أُمْسَبِ
فِي شِعَابِ الزَّمَانِ وَالْمَوْتِ أَمْثِي
وَأَمَاشِي الْوَرَى وَنَفْسِي كَالْقَبْرِ،
ظُلْمَةٌ، مَا لَهَا خَتَامٌ، وَهَوْلٌ
وَإِذَا مَا اسْتَحَقَّنِي عَبَثُ النَّاسِ
بَسْمَةً مَرَّةً، كَأَنِّي أَسْتَلُ
وَانْفَخِي فِي مَشَاعِرِي مَرَحَ الدُّنْيَا
وَابْعَثِي فِي دَمِي الْحَرَارَةَ، عَلَيَّ
وَأَبْتُ الْوُجُودَ أَنْفَامَ قَلْبِ
فَالصَّبَاحَ الْجَمِيلُ يُنْعِشُ بِالْدَفْءِ
أَنْقِذْنِي، فَقَدْ سَمَمْتُ ظِلَامِي!

مَا جَدُّ فِي فَوَادِي الْوَحِيدِ
مِنْ السَّحَرِ ذَاتِ حُسْنِ فَرِيدِ
تَنُتَّرُ النُّورَ فِي قَضَاءِ مَدِيدِ

آه يَا زَهْرَتِي الْجَمِيلَةَ لَوْ تَدْرِينَ
فِي فَوَادِي الْغَرِيبِ تُخْلَقُ أَكْوَانُ
وَشَمُوسٌ وَضَاءَةٌ وَنُجُومٌ

(١) البتون: المنقطع عن الدنيا، للعبادة، والمنقطع عن النساء، والمنقطعة عن الرجال.

(٢) جم: كثير

(٣) استل: أنتزع الشيء برفق.

(٤) المكدود: يعني المطرود طرداً شديداً، والمتعب.

(٥) الركون: الجمود.

في سَكْرَةِ الشَّبَابِ السَّعِيدِ
ولا ثَوْرَةَ الْحَرِيفِ الْعَتِيدِ^(١)
بَأَنَاشِيدِ حُلُوةِ التَّغْرِيدِ^(٢)
أو طَلْعَةِ الصُّبْحِ الْوَلِيدِ^(٣)
كَأَبَادِيدِ مَنْ نُثَارِ الْوَرُودِ^(٤)
صُورَةً مِنْ حَيَاةِ أَهْلِ الْخُلُودِ
وإِلْهَامِ حُسْنِكَ الْمَعْبُودِ
شَادَهُ الْحُسْنُ فِي الْفُؤَادِ الْعَمِيدِ^(٥)
أَلْ نَفْسِ تَصْبُولِ عَيْشِ رَغِيدِ^(٦)
فِي حَيَاةِ الْوَرَى وَسِحْرِ الْوُجُودِ^(٧)
إِذَا كَانَ فِي جَلَالِ السُّجُودِ

وَرَبِيعُ كَأَنَّهُ حُلْمُ الشَّاعِرِ
وَرِياضُ لَا تَعْرِفُ الْخَلْكَ الدَّاجِي
وَطُيُورُ سِحْرِيَّةٍ تَتَنَاعَى
وَقُصُورُ كَأَنَّهَا الشَّفَقُ الْمَخْضُوبُ
وَعَيْوَمُ رَقِيقَةٍ تَنْتَهَادِي
وَحَيَاةُ شَعْرِيَّةٍ هِيَ عِنْدِي
كُلُّ هَذَا يَشِيدُهُ سِحْرُ عَيْنِيكَ
وَحَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَهْدِمِي مَا
وَحَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَسْحَقِي أَمْرَ
مَنْكَ تَرْجُو سَعَادَةً لَمْ تَجِدْهَا
فَالْإِلَهُ الْعَظِيمُ لَا يَرْجُمُ الْعَيْدَ

قلت للشعر^(٨)

[من الخفيف]

تَتَغَنَّى، وَقِطْعَةً مِنْ وُجُودِي^(٩)
أَبْدِي إِلَى صَمِيمِ الْوُجُودِ^(١٠)
فِيكَ مَا فِي عَوَاطِفِي مِنْ نَشِيدِ
لَا يُغْنِي، وَمَنْ سُرُورِ عَهِيدِ^(١١)

أَنْتَ يَا شِعْرُ، فَلَذَّةٌ مِنْ فُؤَادِي
فِيكَ مَا فِي جَوَانِحِي مِنْ حَنِينِ
فِيكَ مَا فِي خَوَاطِرِي مِنْ بَكَاءِ
فِيكَ مَا فِي مَشَاعِرِي مِنْ وُجُومِ

-
- (١) الداجي: المظلم. العتيد: الحاضر المهيأ.
 - (٢) تتناعى: تتدان، وتبارى. ونغى: تكلم بكلام يفهم.
 - (٣) المخضوب: الملون، المصبوغ.
 - (٤) تنهادي: تتأيل. أباديد: أي متفرقة. نثار الورد المنثور المتمرق.
 - (٥) الفؤاد العميد: القلب الذي هذه الشوق.
 - (٦) تصبو: نحن.
 - (٧) الورى: الخلق.
 - (٨) نظمها في ١٣ جمادي الأولى ١٣٤٧ هـ / ٢٨ أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٨ م.
 - (٩) الفلذة من الفؤاد: القطعة منه.
 - (١٠) الجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة.
 - (١١) الوجوم: العُيُوس. عهيد: قديم عتيق.

فِيكَ مَا فِي عَوَالِي مِنْ ظِلَامٍ
 فِيكَ مَا فِي عَوَالِي مِنْ نَجُومٍ
 فِيكَ مَا فِي عَوَالِي مِنْ ضَبَابٍ
 فِيكَ مَا فِي طِفْولِي مِنْ سَلامٍ،
 فِيكَ مَا فِي شَبِيحِي مِنْ حَنِينٍ،
 فِيكَ - إِنْ عَانِقَ الرَّبِيعُ فَوَادِي -
 وَيَغْنِي الصُّبْحُ أَنْشُودَةَ الْحُبِّ،
 ثُمَّ أَجْنِي فِي صَيْفِ أَحْلَامِي
 فِيكَ يَبْدُو خَرِيفُ نَفْسِي مَلُولاً،
 حَلَلْتَهُ الْحَيَاةَ بِالْحَزَنِ الدَّا
 فِيكَ يَمِثِّي شِتَاءُ أَيَّامِي الْبَا
 وَتَجِفُّ الزُّهُورُ فِي قَلْبِي الدَّا
 أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٍ عَنْ حَيَاتِي
 أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٍ عَنْ حَيَاتِي
 أَنْتَ يَا شِعْرُ - إِنْ فَرِحْتُ - أَغَارِيدي
 أَنْتَ يَا شِعْرُ كَأَنَّ خَيْرَ عَجِيبٍ
 اتَّحَسَّاهُ فِي الصُّبْحِ، لِأَنِّي
 وَأَنَاجِيهِ فِي الْمَسَاءِ، لِيُلْهِمَنِي
 أَنْتَ مَا نِلْتُ مِنْ كَهْفِ اللَّيَالِي
 فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَلْكِ، دَا
 فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ نَفَمٍ،
 فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ جَبَلٍ، وَغ
 فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَسَكٍ، يُذ

سَرْمَدِي، وَمِنْ صَبَاحٍ وَلَيْدٍ^(١)
 ضَاكِكَاتٍ خَلَفَ الْغَمَامِ الشُّرُودِ
 وَسَرَابٍ، وَيَقْطَعُ، وَمُجُودِ
 وَابْتِسَامٍ، وَغِبْطَةٍ، وَسَعُودِ
 وَشَجُونٍ، وَتَهْجَةٍ، وَجُودِ
 تَنْثَنِي سَنَابِلِي وَوُرُودِي
 عَلَى مَسْمَعِ الشُّبَابِ السَّعِيدِ
 السَّاجِرِ مَا لَدُنْ مِنْ ثَمَارِ الْخُلُودِ
 شَاكِبِ اللَّوْنِ، غَارِي الْأَمْلُودِ^(٢)
 مِي وَغَشْنَةُ بِالْغَيُومِ السُّودِ
 كِي، وَتُرْغِي صَوَاعِقِي وَرُغُودِي
 جِي، وَتَهْوِي إِلَى قَرَارٍ بَعِيدٍ...^(٣)
 أَنْتَ يَا شِعْرُ صُورَةٍ مِنْ وَجُودِي
 أَنْتَ يَا شِعْرُ صُورَةٍ مِنْ وَجُودِي
 - وَإِنْ غَنَّتِ الْكَأَبَةُ - عُودِي
 أَتْلُوهِي بِهِ خِلَالَ اللَّحُودِ...^(٤)
 مَا تَقْضِي فِي أَسْمَى الْمَفْقُودِ^(٥)
 مَرَأَةً عَنِ الصُّبْحِ السَّعِيدِ
 وَتَصَفَّحْتُ مِنْ كِتَابِ الْخُلُودِ
 ج، وَمَا فِيهِ مِنْ ضِيَاءٍ، بَعِيدِ
 حُلُوبٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ ضَجِيجٍ، شَدِيدِ
 رٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَضِيضٍ، وَهِيدِ^(٦)
 مِي، وَمَا فِيهِ مِنْ غَضِيضِ الْوُرُودِ^(٧)

(١) السرمدي: الدائم.

(٢) الأملود: الناعم اللين.

(٣) الداجي: المظلم.

(٤) اللحود: جمع اللحد: القبر.

(٥) اتحساه: أشربه شيئاً بعد شيء.

(٦) الحضيض: القرار في الأرض. وهيد: من الرهلة: الأرض المنخفضة.

(٧) الحسك: الحقد والعداوة، وهو أيضاً نبات له شوك، الغضيض: الطري، والطلع الناعم.

ض قصيدي، أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصِيدِي
نَتَّ - هُتَافُ السَّوْمِ وَالْمُسْتَعِيدِ
- سَكُونُ الدُّجَى وَقَصْفُ الرُّعُودِ
رِ تُغْنِي، أَمْ بَيْنَ غَضِّ الرُّوودِ
نِ فَاحَتِ، أَمْ بَيْنَ نَهْدِ وَجِيدِ^(١)

فيك ما في الوجود... حَبْ بنو الأَر
فسواءً على الطُّيُورِ - إذا غَدَ
وسواءً على النُّجُومِ - إذا لاحتْ
وسواءً على النَّسِيمِ أفي القفِ
وسواءً على الرُّوودِ، أفي الغيرا

طريق الهاوية^(٢)

[من الخفيف]

بَلْ يَا بَهَاءَ هَذَا الوجودِ!
وَحُلِقْتُ لِلْغَرَامِ السَّعِيدِ
مَا تُجَلِّينَ مِنْ قُطُوبِ الوجودِ^(٣)
مَوْتَ مُثْقَلٍ بِالْقُيُودِ...
إِلَى المَوْتِ فِي طَرِيقِ كُؤُودِ...^(٤)
خَرِيفٌ يَذْوِي رَفِيفَ الرُّوودِ^(٥)
شَوْكٌ، مَصْفُوحٌ بِالْحَدِيدِ...
عَيْشَهَا فِي تَرْنَمٍ وَغَرِيدِ؟
عِبَاءَ الْحَيَاةِ بِالتَّغْرِيدِ...
تَتَشَطَّى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَمِيدِ...^(٦)
شَفَقُ الْحُسْنِ فَوْقَ تِلْكَ الْحُدُودِ

يَا عَذَارَى الجمالِ، والحُبِّ، والأحلامِ،
خُلِقَ البُلْبُلُ الجميلُ ليشدو
والوجودُ الرحيبُ كالقَبْرِ، لولا
والحياةُ التي تَحْرُّ لها الأحلامُ
والشُّبَابُ الحبيبُ شيخوخةً تسمى
والرَّبِيعُ الجميلُ في هاتِهِ الدُّنْيَا
والرُّوودُ العَذَابُ فِي ضِفَّةِ الجَدُولِ
والطُّيُورُ التي تُغْنِي، وتقضي
إنَّهَا فِي الوجودِ تشكو إلى الأَيَّامِ
وَالْأَنَاشِيدُ؟ إِنَّهَا شَهَقَاتُ
صُورَةٍ لِلوجودِ شوهاءِ، لولا



ولكنهُ مخيفُ الوجودِ
وَأَفْرُ الهولِ، مُسْتَرَابُ الصَّعِيدِ^(٧)

يَا زهورَ الحياةِ، للحُبِّ أنتنَّ
فَسَيِّلِ الْغَرَامِ جَمُّ المَهَاوي

(١) الغيران: جمع الغار: المطمئن من الأرض، أو كالبيت في الجبل. الجيد: العنق.

(٢) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ / ١٩ جويلية - تموز ١٩٣٠ م.

(٣) الرحيب: الواسع. القُطُوب: العبوس.

(٤) كؤود: شاق.

(٥) يذوي: يذبل. الرفيف: المتندي من الشجر وغيرها.

(٦) تتشَطَّى: تتفرق. العميد: الذي هبَّه العشق.

(٧) مستراب: مُريب. الصعيد: التراب.

عَبْقَرِيٍّ، مَا إِنْ لَهُ مَزِيدٌ
وَتُشْجِي جَوَانِحَ الْجِلْمُودِ^(١)
مَا بَيْنَ غَامِضٍ وَشَدِيدِ^(٢)
الْهَوَايَ تَفْرُشْنَهُ بِالْوُرُودِ
رَائِعَ السُّخْرِ، ذَا جَمَالٍ فَرِيدِ
وَيَقْضِي عَلَى بَهَاءِ الْوُجُودِ
مُظْلِمِ الْأَنْقِي مَيِّتِ التَّغْرِيدِ

رُغَمَ مَا فِيهِ مِنْ جَمَالٍ، وَفَنُ
وَأَنَاشِيدَ، تُسَكِّرُ الْمَلَأَ الْأَعْلَى،
وَأَرِيحَ، يَكَادُ يَذْهَبُ بِالْأَلْبَابِ
وَسَبِيلَ الْحَيَاةِ رَحْبَ، وَأَنْتَنَ
إِنْ أَرَدْتَنُ أَنْ يَكُونَ بَهِيجاً
أَوْ بِشُوكٍ، يُدْمِي الْفَضِيلَةَ وَالْحُبَّ
إِنْ أَرَدْتَنُ أَنْ يَكُونَ شَنِيعاً،

الجمال المنشود^(٣)

[من الخفيف]

بَلْ يَا بَهَاءَ هَذَا الْوُجُودِ
كَلَّلْتَ حُسْنَهَا صَبَاحُ الْوُرُودِ
بِالنُّورِ، بِالْهَوَى، بِالنَّشِيدِ
فَاهَا مِنْ سِحْرِ تِلْكَ الْخُدُودِ
مِنَ الْوَرْدِ، غَضَّةً، أَمْلُودِ^(٤)
فِي نَشْوَةِ الشُّبَابِ السَّعِيدِ
وَلَكِنْ مَآذَا وَرَاءَ النُّهْودِ
فِي ذَلِكَ الْقَرَارِ الْبَعِيدِ..
تَشْدُو بِسَاجِرِ التَّغْرِيدِ
فِي مَوْلِدِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ؟
ضَوَاعَةً، كَغَضُ الْوُرُودِ^(٥)
وَهَوْلَ يُثِيبُ قَلْبَ الْوَلِيدِ
وَالشَّرَّ، وَالظَّلَالَ الْمَدِيدِ؟^(٦)

يَا عَذَارَى الْجَمَالِ، وَالْحُبِّ، وَالْأَحْلَامِ،
قَدْ رَأَيْنَا الشُّعُورَ مُنْسِدَلَاتٍ
وَرَأَيْنَا الْخَفُونَ تَبَسُّمَ..، أَوْ تَحْلُمُ
وَرَأَيْنَا الْخُدُودَ، ضَرَجَهَا السُّخْرُ،
وَرَأَيْنَا الشَّفَاةَ تَبَسُّمَ عَنْ دُنْيَا
وَرَأَيْنَا النُّهْودَ تَهْتَرُ، كَالْأَزْهَارِ
فَتَنَةً، تُوقِظُ الْغَرَامَ وَتُذَكِّهِ،
مَا الَّذِي خَلَّفَ سِخْرَهَا الْحَالِمَ، السُّكْرَانَ،
أَنْفُسَ جَمِيلَةٍ، كَطُيُورِ الْغَابِ
طَاهِرَاتٍ، كَأَنَّهَا أَرْجُ الْأَزْهَارِ
وَقُلُوبَ مَضِيئَةٍ، كَنُجُومِ اللَّيْلِ
أَمْ ظِلَامٌ، كَأَنَّهُ قَطْعُ اللَّيْلِ
وَحِضْمٌ، يَمْوجُ بِالْإِثْمِ وَالنُّكْرِ،

(١) تشجي: تحزن. جوانح: جوانب. الجلمود: الصخر.

(٢) الأريج: توهج ريح الطيب. الألباب: العقول، والقلوب، الواحد لب.

(٣) نظمها في ٢٢ صفر ١٣٤٩ هـ / ١٩/ جويلية - تموز ١٩٣٠ م.

(٤) غضة: طرية. أملود: ناعمة لينة.

(٥) ضواعة: فواحة بالمطر.

(٦) الحضم: البحر. الإثم: الذنب.

لَسْتُ أَهْدِي، فَرُبَّ زَهْرٍ شَذِيٍّ
صَانَكُنَّ الْإِلَهَ مِنْ ظُلْمَةِ الرُّوحِ
إِنَّ لَيْلَ النُّفُوسِ لَيْلٌ مَرِيحٌ
يَرْزُقُ الْقَلْبَ فِيهِ بِالْأَلَمِ الْمَرِّ،
وَرَبِيعُ الشُّبَابِ يُدْبِلُهُ الدُّهْرُ،
غَيْرُ بَاقٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا جَمَالٌ

قَاتَلَ رُغْمَ حُسْنِهِ الْمَشْهُودِ
وَمِنْ ضَلَّةِ الضَّمِيرِ الْمُرِيدِ
سَرْمَدِي الْأَمَى، شَنِيعُ الْخُلُودِ^(١)
وَيَشْقَى بِعَيْشِهِ الْمُنْكَودِ^(٢)
وَيُضِي بِحُسْنِهِ الْمَغْبُودِ
الرُّوحَ غَضاً عَلَى الزَّمَانِ الْأَبِيدِ^(٣)

أحلام شاعر^(٤)

[من الخفيف]

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
أَصْرِفُ الْعُمْرَ فِي الْجِبَالِ، وَفِي الْغَابَاتِ
لَيْسَ لِي مِنْ شَوَاغِلِ الْعَيْشِ مَا يَصْرِفُ
أَرْقُبُ الْمَوْتَ، وَالْحَيَاةَ، وَأَصْغِي
وَأَغْنِي مَعَ الْبَلَابِلِ فِي الْغِيَابِ،
وَأُنَاجِي النُّجُومَ وَالْفَجَرَ، وَالْأَطْيَارَ
عَيْشَةً لِلْجَمَالِ، وَالْفَنِّ، أَبْغِيهَا
لَا أَعْنِي نَفْسِي بِأَحْزَانِ شَعْبِي
وَيَحْسَبُنِي مِنَ الْأَمَى مَا بِنَفْسِي
وَيَعِيدُنِي عَنِ الْمَدِينَةِ، وَالنَّاسِ،
فَهُوَ مِنْ مَعْدِنِ السُّخَافَةِ وَالْإِفْكِ

سَعِيداً بِوَحْدَتِي وَانْفِرَادِي
بَيْنَ الصَّنُوبِ الْمَيَادِ^(٥)
نَفْسِي عَنِ اسْتِمَاعِ فَوَادِي
لِحَدِيثِ الْأَزَالِ وَالْأَبَادِ^(٦)
وَأُصْغِي إِلَى خَرِيرِ الْوَادِي
وَالنَّهْرِ، وَالضُّبَاةِ الْمَادِي
بَعِيداً عَنِ أَتْنِي وَبِلَادِي
فَهُوَ حَيٌّ، يَعِيشُ عَيْشَ الْجَمَادِ^(٧)
مِنْ طَرِيفٍ مُسْتَحْدَثٍ، وَتِلَادِ^(٨)
بَعِيداً عَنِ لَغْوِ تِلْكَ النَّوَادِي^(٩)
وَمِنْ ذَلِكَ الْهَرَاءِ الْعَادِي^(١٠)

(١) مريع: مخيف. سرمدى: دائم.

(٢) يرزح: يسقط إعياء. المنكود: الشديد، العسير.

(٣) الزمان الأبدى، أي الزمان الدائم.

(٤) نظمها في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٩ هـ / ٤ أبريل - نيسان ١٩٣١ م.

(٥) المياد: الذي يمد، أي يتهايل، ويتبختر، ويتحرك.

(٦) الأزال: جمع الأزل أي القديم. والأباد: جمع الأبد: الدائم.

(٧) أعني: أتعجب.

(٨) المال الطريف والطارف: الجديد المستحدث. والتلاد والتليد، أي: القديم الموروث.

(٩) اللغوم الكلام: ما لا يلتفت إليه.

(١٠) الإفك: الكذب. الهراء: الكلام الفاسد، كثير الخنا والخطأ.

أَيْنَ هُوَ مِنْ خَرِيرِ سَاقِيَةِ الْوَادِي وَخَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ
وَحَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ وَخَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ
هَذِهِ عَيْشَةٌ نَقَدُسُهَا نَفْسِي وَخَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ
وَحَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ وَخَفِيفِ الْغُصُونِ، ثَمَّهَا الطَّلُ

آيَتُهَا الْحَالِمَةُ بَيْنَ الْعَوَاصِفِ (٧)

[من الخفيف]

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْغَابِ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ شَوْكِ، وَدُودِ
وَالرِّيحِ حِينَ تَحْسَبُ الْحَسَكَ الشَّرِيرَ وَالرِّيحِ حِينَ تَحْسَبُ الْحَسَكَ الشَّرِيرَ
فَأَفْهَمِي النَّاسَ...، إِنَّمَا النَّاسُ خُلِقُوا فَأَفْهَمِي النَّاسَ...، إِنَّمَا النَّاسُ خُلِقُوا
وَدَعِيهِمْ يَجْهَلُونَ فِي ظُلْمَةِ الْإِنَّمِ وَدَعِيهِمْ يَجْهَلُونَ فِي ظُلْمَةِ الْإِنَّمِ
كَالْمَلَكِ الْبَرِيِّ، كَالرُّودَةِ الْبَيْضَاءِ، كَالْمَلَكِ الْبَرِيِّ، كَالرُّودَةِ الْبَيْضَاءِ،
كَأَغَاثِي الطُّيُورِ، كَالثَّقَنِ السَّاجِرِ كَأَغَاثِي الطُّيُورِ، كَالثَّقَنِ السَّاجِرِ
كَثُلُوجِ الْجِبَالِ، يَغْمُرُهَا النُّورُ كَثُلُوجِ الْجِبَالِ، يَغْمُرُهَا النُّورُ
أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رَوْحٌ جَمِيلٌ أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رَوْحٌ جَمِيلٌ
وَبَنُو الْأَرْضِ كَالْقُرُودِ، وَمَا أَضَدَّ وَبَنُو الْأَرْضِ كَالْقُرُودِ، وَمَا أَضَدَّ
أَنْتِ مِنْ رِيْشَةِ الْإِلَهِ، فَلَا تُذْ أَنْتِ مِنْ رِيْشَةِ الْإِلَهِ، فَلَا تُذْ
أَنْتِ لَمْ تَخْلُقِي لِيقْرُبِكَ النَّاسُ أَنْتِ لَمْ تَخْلُقِي لِيقْرُبِكَ النَّاسُ

قَالَ قَلْبِي لِلَّهِ (٧)

[من الخفيف]

فَرَّقْتَ بَيْنَ الصُّخُورِ بِجُهْدِ فِي جِبَالِ الْهَمُومِ، أَنْبَتَ أَغْصَانِي
وَأَزْهَرْتَ لِلْعَوَاصِفِ، وَخَدِي وَتَغَشَّانِي الضُّبَابُ...، فَأَوْرَقْتَ

- (١) الطَّلُ: الندى.
- (٢) نظمتها في ١٥ شَوَّال ١٣٥١ هـ / ١١ فَبْرِ - شِبَاط ١٩٣٣ م.
- (٣) الْحَسَكُ: الحقد والعداوة، ونبات له شوك.
- (٤) الْخِضَمُ: البحر.
- (٥) الصَّعِيدُ: التراب.
- (٦) غَيْرُ مَوْزُوعَةٍ.

وَتَمَايَلْتُ فِي الظُّلَامِ، وَعَظَرْتُ
وَبَجِدِ الحَيَاةِ، وَالشُّوقِ غَنِيَتْ...،
وَرَمْتُ لِلوَهَادِ أَفْنَانِي الخَضِرَ،
وَمَضْتُ بِالشُّدَى فَقُلْتُ: «سَتَبِي
«وَتَغَرُّلْتُ بِالرُّبِيعِ، وَبِالفَجْرِ

فَضَاءَ الأَسَى بِأَنْفَاسٍ وَرَدِي
فَلَمْ تَفْهَمِ الأَعَاصِيرُ قَضِي
وَضَلَّتْ فِي الثَّلَجِ تَحْفَرُ لِحْدِي^(١)
فِي مَرُوجِ السَّمَاءِ بِالْعِطْرِ تَجْدِي،
فَمَاذَا سَتَفْعَلُ الرِّيحُ بَعْدِي،

(١) الوهاد: الحُفْر، والواحدة وهدة. الأفنان: الأغصان. قوله: رمت، يعني أن المصائب حطمت. اللحد: القبر.

قافية الرّاء

إرادة الحياة^(١)

[من المقارب]

إذا الشُّعْبُ يوماً أرَادَ الحياةَ فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرُ^(٢)
ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجِلِي ولا بُدَّ لِلْقَيْدِ أنْ يَنْكَسِرَ
وَمَنْ لَمْ يَمَانِقْهُ شَوْقُ الحياةِ تَبَخَّرَ في جَوْهَا، وَاَنْدَثَرُ^(٣)
فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْفُهُ الحياةُ مَنْ صَفَعَةَ الْقَدَمِ الْمُنْتَصِرُ^(٤)
كَذَلِكَ قَالَتْ لِي الْكَائِنَاتُ وَحَدَّثَنِي رُوحَهَا الْمُسْتَتِرُ

وَقَدَّمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الْفِجَاجِ وفَوْقَ الْجِبَالِ وَتَحْتَ الشُّجَرِ: (٥)
«إِذَا مَا طَمَحْتُ إِلَى غَايَةٍ رَكِبْتُ الْمَنَى، وَتَسَيَّتُ الْحَذَرَ»
«وَلَمْ أَتَجَنَّبْ وَغُورَ الشُّعَابِ وَلَا كُبَّةَ اللَّهَبِ الْمُسْتَعِيرِ»^(٦)
«وَمَنْ لَا يَحِبُّ صُعُودَ الْجِبَالِ يَعِشُ أَبَدَ الدُّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرِ»^(٧)
فَعَجَّتُ بِقَلْبِي دِمَاءَ الشُّبَابِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاخُ أَخَرٍ... (٨)

(١) نظمها في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ / ١٦ سبتمبر - أيلول ١٩٣٣ م.

(٢) لا يفعل الشعب شيئاً إلا بقضاء الله وقدره، فالخذرا.

(٣) اندثر: زال من الوجود.

(٤) صفعه: ضرب قفاه بجمع كفّه لا شديداً. ولكن الشاعر أطلق معناها.

(٥) الدَّمْدَمَةُ: الغضب، دمد علىه: كلمة مُغَضَّباً. الفِجَاج: جمع الفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(٦) الشُّعَاب: جمع الشَّعْبَة: ما عَظُم من سواقي الأودية، وَصَدَع في الجبل يَأْوِي إليه المطر.

الكُبَّة: الدفعة في القتال والجري.

(٧) أيد الدهر، أي: على الدوام.

(٨) عَجّ: صاح وارتفع صوته. عَجَّتْ الرِّيح اشتدت فأنارت الغبار. ويريد بأن دماءه تحركت.

وَأَطْرَقْتُ، أَصْغَى لِقَصْفِ الرُّعُودِ وَعَزَفِ الرِّيَّاحِ، وَوَقَعَ الْمَطَرُ^(١)

وَقَالَتْ لِي الْأَرْضُ - لِمَا سَأَلْتُ:
«أَبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ
«وَالْعَمَلِ مَنْ لَا يَمَاشِي الزَّمَانَ،
«هُوَ الْكُونُ حَيٌّ، يَحْبُ الْحَيَاةَ
«فَلَا الْأَفَقُ يَحْضُنُ مِثْتَ الطُّيُورِ،
«وَلَوْلَا أُمُومَةُ قَلْبِي الرُّؤُومُ
«فَوَيْلَ لِمَنْ لَمْ تَشْفِقْهُ الْحَيَاةُ،
أَيَا أُمَ هَلْ تَكْرَهُينَ الْبَشَرَ؟»
وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رَكُوبَ الْخَطَرِ،
وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشَ الْحَجَرِ،
وَيَحْتَقِرُ الْمِيتَ، مَهْمَا كَبُرَ
وَلَا النَّحْلُ يَلْتِمُ مِيتَ الزُّهَرِ،
لَمَّا ضُمَّتِ الْمِيتَ تِلْكَ الْحَقَرُ^(٢)
مَنْ لَعْنَةُ الْعَدَمِ الْمُنْتَصِرُ!

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي
سَكَرْتُ بِهَا مِنْ ضِيَاءِ النُّجُومِ
سَأَلْتُ الدُّجَى: هَلْ تُعِيدُ الْحَيَاةَ
فَلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفَاءَ الظُّلَامِ
وَقَالَ لِي الْغَابُ فِي رَقَةٍ
«يَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضُّبَابِ،
«فَيَنْطَفِئُ السَّحَرُ، سَحَرُ الْغُصُونِ،
«وَيَسْخَرُ السَّمَاءُ الشَّجِيءُ الْوَدِيعُ،
«وَيَتَهَوَّى الْغُصُونُ، وَأَوْرَاقُهَا،
«وَيَتَلَهَوُّ بِهَا الرِّيحُ فِي كُلِّ وَادٍ،
«وَيَفْنَى الْجَمِيعُ كَحَلْمٍ بَدِيعٍ،
«وَيَبْقَى الْبُذُورُ، الَّتِي حُمِلَتْ
«وَذَكَرَى فُصُولِ، وَرُؤْيَا حَيَاةٍ،
الْخَرِيفُ مَثْقَلَةٌ بِالْأَسَى وَالضُّجَرُ
وَعُثِّيتُ لِلْحُزْنِ حَتَّى سَكِرَ
لَمَّا أَذْبَلْتَهُ رَبِيعُ الْعُمُرِ؟
وَلَمْ تَتَرَنَّ عَذَارَى السَّحَرِ
مَحَبَّةً مِثْلَ خَفَقِ الْوَتَرِ:
شِتَاءُ الثَّلُوجِ، شِتَاءُ الْمَطَرِ،
وَسَحَرُ الزُّهُورِ، وَسَحَرُ الثَّمَرِ
وَيَسْخَرُ الْمَرْجُ، الشَّهْيُ الْعَطَرِ
وَأَزْهَارُ عَهْدٍ حَبِيبٍ نَضِيرٍ^(٣)
وَيَدْفِنُهَا السَّيْلُ، أَنَّى غَبِرَ
تَأَلَّقَ فِي مُهْجَةٍ وَانْدَثَرَ^(٤)
ذَخِيرَةَ عُمْرٍ جَمِيلٍ، غَبِرَ
وَأَشْبَاحَ دُنْيَا، تَلَاثَتْ زُمَرُ.

(١) أَطْرَقْتُ: سَكَتَ وَلَمْ أَتَكَلَّمْ، وَأَرَخَيْتُ عَيْنِي أَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ.

(٢) الرُّؤُومُ: الْعَطُوفُ.

(٣) النَّضِيرُ: الْحَسَنُ، وَالنَّاعِمُ.

(٤) الْمُهْجَةُ: الدَّمُ، أَوْ الرُّوحُ. اِنْدَثَرَ: زَالَ وَانْحَى.

وَتَحْتَ الثُّلُوجِ، وَتَحْتَ الْمَدَرِ^(١)
وَقَلْبَ الرَّبِيعِ الشَّدِيدِ الْخَضِرِ^(٢)
وَعَطْرِ الزُّهُورِ، وَطَعْمِ الثَّمَرِ

وَمَعَانِقَةَ - وَهِيَ تَحْتَ الضُّبَابِ،
لِطَيِّفِ الْحَيَاةِ الَّذِي لَا يُمَلُّ،
وَحَالِمَةَ بَاغَانِي الطَّيُورِ،

وَتَذَوِي صُرُوفٍ، وَتَحْيَا أُخْرَ^(٣)
مَوْشَحَةً بِغَمُوضِ السَّحَرِ،
وَسِحْرُ الْمَسَاءِ؟ وَضَوْءُ الْقَمَرِ؟
وَنَحْلٌ يَفْنِي، وَغَيْمٌ يَمُرُّ؟
وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِي أَنْتَظِرُ؟
ظَمِئْتُ إِلَى الظِّلِّ تَحْتَ الشَّجَرِ،
يَفْنِي، وَيَرْقُصُ فَوْقَ الزَّهَرِ،
وَهَمْسِ النَّسِيمِ، وَلَحْنِ الْمَطَرِ،
وَأَنْ أَرَى الْعَالَمَ الْمُنْتَظَرُ؟
وَفِي أَفْقِ الْيَقَظَاتِ الْكَبَرِ^(٤)
حَتَّى غَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَرَ،
وَأَبْصَرْتُ الْكَوْنَ عَذْبَ الصُّورِ،
وَأَحْلَامِهِ، وَصَبَاهُ الْعَظَرِ،
تُعِيدُ الشُّبَابَ الَّذِي قَدْ غَبَرَ^(٥)
وَحُلْدَتِ فِي نَسْلِكَ الْمَدْحَرِ،
شَبَابَ الْحَيَاةِ وَخَضَبَ الْعُمُرِ،
يُبَارِكُهُ النُّورُ أَنْ ظَهَرَ،
إِلَيْكَ الثَّرَى، الْحَالِمُ، الْمَزْدَهَرُ^(٦)
إِلَيْكَ الْوُجُودَ، الرَّحِيبَ، النَّضِيرُ^(٧)

وَتَمِشِي الزَّمَانُ، فَتَنَمُو صُرُوفٍ،
وَتُصْبِحُ أَحْلَامُهَا بِقُطْعَةٍ،
تُسَائِلُ: أَيْنَ ضَبَابُ الصُّبَاحِ؟
وَأَسْرَابُ ذَاكَ الْفَرَّاشِ الْأَنِيقِ؟
وَأَيْنَ الْأَشْعَةُ وَالْكَائِنَاتُ؟
ظَمِئْتُ إِلَى النُّورِ، فَوْقَ الْغُصُونِ،
ظَمِئْتُ إِلَى النَّبْعِ، بَيْنَ الْمَرْجِ،
ظَمِئْتُ إِلَى نَفَمَاتِ الطَّيُورِ،
ظَمِئْتُ إِلَى الْكَوْنِ! أَيْنَ الْوُجُودُ
هُوَ الْكَوْنُ، خَلْفَ سُبَاتِ الْجُمُودِ،
وَمَا هُوَ إِلَّا كَخَفَقِ الْجَنَاحِ
فَصَدَعَتْ الْأَرْضُ مِنْ فَوْقِهَا
وَجَاءَ الرَّبِيعُ، بِأَنْغَامِهِ،
وَقَبَّلَهَا قَبْلًا فِي الشُّفَاهِ،
وَقَالَ لَهَا: قَدْ مُنِحَتْ الْحَيَاةُ،
وَبَارَكَكَ النُّورُ، فَاسْتَقْبَلِي
وَمَنْ تَعْبُدُ النُّورَ أَحْلَامُهُ،
إِلَيْكَ الْفَضَاءُ، إِلَيْكَ الضِّيَاءُ،
إِلَيْكَ الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَبِيدُ!

- (١) المدر: قطع الطيف اليابس.
- (٢) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
- (٣) الصرُوف من الدهر: جدثانه، ونوابه.
- (٤) السبات: النوم، والراحة.
- (٥) غبر: ذهب، وغبر أيضاً مكث، ضد.
- (٦) الثرى: الندى، والتراب الندي.
- (٧) يبيد: يذهب وينقطع. الرحيب: الواسع.

«فميدي - كما شئت - فوق الحقول،
«وناجي النسيم، وناجي الفيوم،
«وناجي الحياة وأشواقها،
يُحُلِّو الثُّمَارَ وَغَضُ الزَّهَرِ»^(١)
وناجي النجوم، وناجي القمر»
وفتنة هذا الوجود الأغر»^(٢)



«وشف الدجى عن جمال عميق،
«ومند على الكون سحر غريب،
«وضاءت شموع النجوم الوضاء،
«ورفرف روح، غريب الجمال
«ورن نشيد الحياة المقدس
«وأعزلن في الكون: أن الطموح
«إذا طمحت للحياة النفوس
يُثْبُ الخيال، ويُذكي الفكر»^(٣)
يصرّفه ساحر مقتدر»^(٤)
وضاع البخور، بخور الزهر»
بأجنحة من ضياء القمر»
في هيكلي، حالم، قد سُجِرَ
لهيب الحياة، وروح الظفر»
فلا بُدَّ أن يستجيب القدر!»
«وَرَفَرَفَ رُوحٌ، غَرِيبُ الْجَمَالِ
«وَرَنَ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمَقْدَسِ
«وَأَعْزَلْنَ فِي الْكَوْنِ: أَنَّ الطَّمُوحَ
«إِذَا طَمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النَّفُوسُ

إِيَّاكَ^(٥)

[مجزوء الكامل]

إِيَّاكَ وَالتَّحْدِيقَ مِنْ
وتطاول الأعناق نحو
فالحب في طفيلانه
فلقد حسوت زُعَافَهُ
خَلَّلَ الْبَرِاقِعَ لِلْحَوَرِ^(٦)
جمال رِيَّاتِ الْخَفَرِ^(٧)
كَالسُّنْبُلِ إِمَّا يَنْهَمُرُ
وَحَبَّرْتُ مِنْهُ الْمَسْتَرَّ^(٨)

(١) الغض: الطري. ماد يميد: تحرك، واضطرب.

(٢) الأغر: الأبيض.

(٣) الدجى: الظلام. شف: كشف. يذكي: يشعل. يُثْب: إذا شب ولده.

(٤) يصرّفه: يتصرف به، يقلّبه، يحوله من وجه إلى وجه.

(٥) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٦) البراقع: جمع البرقع: غطاء للوجه. الحور: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها.

(٧) رِيَّاتِ الْخَفَرِ: كناية عن النساء.

(٨) الزُعَاف: السم.

الجنة الضائعة^(١)

[مجزوء الكامل]

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذْبَةٍ فِي عَذْوَةِ الْوَادِي النَّضِيرِ^(٢)
 فَضِيَّةِ الْأَسْحَارِ مُذْ هَبَّةِ الْأَصَائِلِ وَالْبُكُورِ^(٣)
 كَانَتْ أَرْقُ مِنْ الزُّهْرِ رِ، وَمِنْ أَغَارِيدِ الطُّيُورِ
 وَالذُّ مِنْ بِيحْرِ الصُّبَا فِي بَسْمَةِ الطُّفْلِ الْغَرِيرِ^(٤)
 قَضَيْتُهَا وَمَعِيَ الْحَبِيبَةُ لَا رَقِيبَ وَلَا نَذِيرَ
 إِلَّا الطُّفُولَةَ حَوْلَنَا تَلْهُوَمَعَ الْحُبُّ الصَّغِيرَ
 أَيَّامَ كَانَتْ لِلْحَيَا قَ حَلَاوَةُ الرُّوضِ الْمَطِيرِ
 وَطَهَارَةُ الْمَوْجِ الْجَمِيدِ لِرِ، وَسِحْرُ شَاطِئِهِ الْمُنِيرِ
 وَوَدَاعَةُ الْقُصْفُورِ، بِي مِنْ جَدَاوِلِ الْمَاءِ النَّمِيرِ^(٥)
 أَيَّامَ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الذُّ نِيَا سَوَى مَرَحِ السُّرُورِ
 وَتَتَبَعَ النُّحْلُ الْأَنْبِ حَتَّى وَقَطَفَ تَيْجَانِ الزُّهُورِ
 وَتَسَلَّقَ الْجَبَلَ الْمَكْدُ لِرِ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصُّخُورِ
 وَبَنَاءِ أَكْوَاخِ الطُّفُو لَةِ تَحْتَ أَعْشَاشِ الطُّيُورِ
 مَسْقُوفَةً بِالْوَرْدِ، وَال أَعْشَابِ، وَالْوَرَقِ النَّضِيرِ
 نَبِي، فَتَهْدُمُهَا الرِّيَا حُ، فَلَا نَضْجُ وَلَا نَثُورِ
 وَنَعُودُ نَضْحَكُ لِلْمَرُو جِ، وَلِلزَّنَابِقِ، وَالْفَدِيرِ
 وَنَخَاطِبُ الْأَصْدَاءِ، وَه يِ تَرِفُ فِي الْوَادِي الْمُنِيرِ^(٦)
 وَنَعِيدُ أَغْنِيَةَ السُّوَاقي، وَهِيَ تَلْفُو بِالْخَرِيرِ^(٧)
 وَنَظْلُ نَرْكُضُ خَلْفَ أَسْ رَابِ الْفَرَاشِ الْمُسْتَطِيرِ
 وَغَرُّ مَا بَيْنَ الْمَرُو جِ الْخَضِرِ، فِي سَكْرِ الشُّعُورِ

(١) نظمها في ١٢ رمضان ١٣٥١ هـ / ٩ جانفي - كانون الثاني ١٩٣٣ م.

(٢) عذوة الوادي: شاطئه.

(٣) الأصائل: جمع الأصيل وهو وقت ما قبل الغروب.

(٤) الغرير: الصغير لا تجربة له.

(٥) الماء النмир: الزاكي، والناجع عذبا كان أو غير عذب.

(٦) الأصداء: جمع الصدى: طائر الليل يقفز قفزانا.

(٧) تلفو: تتكلم، وتتكلم بما لا يعتد به.

بل - للحياة، وللحبور^(١)
 ٤ الرّحيب، والنّهر الكبير
 خلام، أو حلّو الغرور
 ضب من أمانينا قصور^(٢)
 ل، ورونق المّرج الخضير
 د، وكلّ أجماد الدّهوز
 ٤ بكلّ أنواع السّور
 ح الكون ما يغوي الوقور^(٣)
 المعبود - في كلّ الأمور
 ل من الوجود، وبالحقير:
 معتوه، والشيخ الكبير
 ٤ الوديعه، بالحمير
 ر، بالسّنايل، بالسّفير^(٤)
 م، بالجدول، بالفديز
 ٤، الحلو، مطمحنا الأخير
 ٤، أو نفني، أو ندور
 ل، وليس يُذكرُنا الفتور
 صاب من المّرح المثير
 دام مجنّحه، تطير
 ذا الكون والباقي قشور^(٥)
 نيا بأوراق الزّهوز
 ٤ بنا، كاسراب الطيوز
 رده مجنّحه ينوز
 ق رؤوسنا أنّ نيسير

نشدو، ونرقص - كالبللا
 ونظّل ننزّ للفضا
 ما في فؤادينا من الأ
 ونشيد في الأفق المخ
 أزهي من الشفق الجمي
 وأجل من هذا الوجو
 أبدا، تذلّلها الحيا
 وتبتّ فينا من مرا
 فنسير، ننشد لهونا
 ونظّل نعبث بالجلي
 - بالسائل الأعمى وبال
 بالقطّة البيضاء، بالش
 بالعشب، بالفنن المنو
 بالرمل، بالصخر المحط
 والهو، والعبت البري
 ونظّل نقفز، أو ننز
 لا ننام اللّهو الجمي
 فكأننا نحيأ بأع
 وكأننا نمشي بأق
 أيام كنا لب ه
 أيام تفرش سبلنا الد
 وتمرّ أيام الحيا
 بيضاء لاعبة، مفر
 وترقرف الأفراح فو

-
- (١) الحبور: السرور.
 (٢) المخضب: المصطبغ، الملون.
 (٣) تبث: تبث. المراح: النشاط والبطر والتبخر. يغوي: يضل.
 (٤) الفنن: الفصن. المنور: المزهر.
 (٥) اللب: القلب، والعقل.

آو، توارى فَجَرِي الـ
 وَفَنَى، كما يَفْنَى النُّشِيدُ
 آوَاهُ، قَدْ ضَاعَتْ عَلَيَّ
 وَبَقِيَتْ فِي وادي الزُّمَّا
 وأدوسُ أشواكُ الحياةِ
 وأرى الأباطيلَ الكثيرةَ
 وَتَصَادَمَ الأهواءُ بالـ
 ومذلةُ الحقِّ الضَّعيفِ
 وأرى ابنَ آدَمَ سائراً
 ما بينَ أهوالِ الوجودِ
 مُتَسَلِّقاً جَبَلَ الحياةِ
 دامي الأَكْفُفُ، مُمَزَّقُ الأـ
 مترنِّحُ الخطواتِ ما
 هالتهُ أَشْبَاحُ الظُّلَا
 ودويُّ إغْصَارِ الأسي،

قُدْسِي فِي لَيْلِ الدُّهُورِ^(١)
 لَدُ الحُلُوِّ فِي صَمْتِ الأَثِيرِ^(٢)
 سَعَادَةُ القَلْبِ الغَرِيرِ
 فِي الجَهَمِ أَدَابُ فِي المَسِيرِ^(٣)
 بِقَلْبِي الدَّمَامِي الكَسِيرِ
 رةً، والمَأْتَمُ، والشُّرُورُ^(٤)
 أهواءُ فِي كَلِّ الأُمُورِ
 فَبِ، وَعِزَّةُ الظُّلَمِ القَدِيرِ
 فِي رَحْلَةِ العُمُرِ القَصِيرِ
 دِ، وَتَحْتَ أَعْيَاءِ الضَّمِيرِ
 الوَغْرِ، كَالشَّيْخِ الضَّرِيرِ
 قَدَامِ، مُغْبِرُ الشُّعُورِ
 بَيْنَ المَزَالِقِ وَالصُّخُورِ
 مِ، وَرَاعَهُ صَوْتُ القُبُورِ^(٥)
 والمَوْتُ، فِي تِلْكَ الرُّعُورِ

ماذا جَنَيْتُ مِنَ الحياةِ
 غَيْرَ النَّدَامَةِ والأسي
 هذا حَصَادِي مِنَ حَقْوِ
 هذا حَصَادِي كُلُّهُ،

وَمِنْ تَجَارِيِبِ الدُّهُورِ
 واليَاسِ والدُّمَعِ الغَزِيرِ؟
 لِ العَالَمِ الرَّحْبِ الخَطِيرِ
 فِي يَقْظَةِ العَهْدِ الأَخِيرِ

قَدْ كُنْتُ فِي زَمَنِ الطُّفُو
 أَخِيَا كَمَا تَحْيَا البَلَا

لَةً، والسُّدَاجَةِ، والطُّهُورِ
 بَلُّ، والجَدَاوِلُ، والزُّهُورِ

(١) توارى: احتجب. ونسبة الفجر إلى نفسه يرمز بها إلى أيام الفرح.

(٢) الأثير: الفضاء الواسع.

(٣) أداب: أجهد. الجهم: العباس.

(٤) المأتم: الذنوب. يصور الشابي مأساته مع آفات عصره، الظلم. وتحكم القوي بالضعيف، والباطل وصراعه مع الحق ويلفت إلى انتشار الشرور.

(٥) هالته: أفزعته.

لا نَحْفَلُ، الدنيا تدو ر باملها، أو لا تَدُورُ^(١)
واليومَ أخيا مُرَهَقَ الـ أعصاب، مَشْبُوبَ الشُّعُورِ^(٢)
متأججَ الإحساس، أحـ فُلٌ بالعَظِيمِ، وبالْحَقِيرِ
تثني على قلبي الحياة، ويزحفُ الكونُ الكبيرُ
هذا مصيري، يا بني أُمِّي، فما أَشقى المَصِيرَ!^(٣)

ماتم الحب^(٤)

[من مجزوء الرمل]

لَيْتَ شِعْرِي!
أَيُّ طَيْرٍ
يَسْمَعُ الْأَخْزَانَ تَبْكِي بَيْنَ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ
ثُمَّ لَا يَتَّيْفُ فِي الْفَجْرِ، بِرَنَاتِ النُّجَيْبِ^(٥)
يُخْشِعُ، وَاكْتِثَابُ؟

لست أدري
أَيُّ أَمْرٍ
أَخْرَسَ الْعُضْفُورَ عَنِّي، أَتَرَى مَاتَ الشُّعُورُ
فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ، حَتَّى فِي حُشَايَاتِ الطُّيُورِ؟^(٦)
أَمْ بَكَى خَلْفَ السَّحَابِ؟

فِي الدُّيَاجِي
كَمْ أَنَا جِي

(١) لا نحفل: لا نبالي.

(٢) مشبوب: موقد.

(٣) قوله: يا بني أمي، يعني يا أبناء الأرض، أي البشر.

(٤) نظمها في ٢٣ محرم ١٣٤٥ هـ / ٣ أوت - آب ١٩٢٧ م.

(٥) النجيب: البكاء الشديد.

(٦) حشاشات: جمع حُشَاة: بقية الروح في المريض والجريح.

مَسْمَعِ الْقَبْرِ، بِغَضٍّ حَاتٍ نَحِيبِي، وَشُجُونِي^(١)
 ثُمَّ أَصْغِي، عَلَيَّ أَسْمَعُ تَرْدِيدَ أُنْيِي
 فَأَرَى صَوْتِي فَرِيدًا!

فَأُنَادِي:

«يَا فُؤَادِي»

«مَاتَ مَنْ تَهَوَّى! وَهَذَا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الْحَبِيبَ»^(٢)
 «فَأَبْكُ يَا قَلْبُ يَا فَيْكَ مِنَ الْحُزَنِ الْمَذِيبِ»
 «إِبْكُ يَا قَلْبُ، وَجِدًا»

ذُلُّ قَلْبِي،

مَاتَ حُبِّي!

فَأَذْرِفِي يَا مُقَلَّةَ اللَّيْلِ، الدَّرَارِي عِبْرَاتِ^(٣)
 حَوْلَ حُبِّي، فَهَوِّدْ بِي وَدَعْ آفَاقَ الْحَيَاةِ
 بَعْدَ أَنْ ذَاقَ اللَّهْيَبَ

وَأَنْدِيهِ،

وَأَغْسِلِيهِ،

بِدُمُوعِ الْفَجْرِ، مِنْ أَكْوَابِ زَهْرِ الزُّنْبَقِ
 وَأَذْفُنِيهِ بِجَلَالِ، فِي ضَفَافِ الشَّقَقِ
 لِيَرَى رُوحَ الْحَبِيبِ

(١) الدياجي: الحنادس، وكأنه جمع ذُنْبِجَاة: ظلمة. الشجون: الاحزان.

(٢) اللحد: القبر.

(٣) مقلة الليل، يعني عينه الساهرة. الدراري: جمع الدَّرَّة: اللؤلؤة العظيمة ويعني بالدراري الدموع تشبيهاً.

النَّجْوَى (١)

[من مجزوء الرمل]

قَفْ قَلِيلًا، أَيُّهَا السَّارِي الْقَمَرُ!	واضطرب ^(٢)
يَا سَمِيرِي! فِي أَوْثِقَاتِ الْكَدَرِ	والضجر ^(٣)
وَاسْقِنِي مِنْ جَذُولِ النُّورِ الْبَدِيعِ	قَدَحًا
عَلَّيْ أَفْهَمَ هَيْنُومَ الرُّبَيْعِ	إِنْ صَحَا ^(٤)
كَمْ فُؤَادٍ إِذْ تَوَلَّتْهُ الشُّجُونُ	والهموم
بُثُّ أَسْلَاكَكَ، وَالذَّمْعُ هَتُونُ	ما يروم ^(٥)
إِنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُخْرًا بِالْبَشَرِ	يَا قَمْرًا
فَلَكُمُ أَحْزَنُكَ الدَّهْرُ الْخَطِرُ	بالنُّكْر ^(٦)
أَيُّهَا الْقَامُوسُ يَا صَوْتَ الْحَيَاةِ!	وَصَدَاهَا ^(٧)
وَأَغَانِيهَا الْعِذَابُ الشَّادِيَاتِ	وَنَدَاهَا
مَا لِأَمْوَاجِكَ يُطْفِئُهَا الْغُرُورُ	فَتُورُ
ثُمَّ تَأْوِي نَحْوَهَا تَيْكُ الصُّخُورِ	كَالْكَبِيرِ ^(٨)
أَتَرَاهَا تَذْكُرُ الْأَمْسَ الْجَمِيلَ	وَسَلَامَةً
فَتَحْيِي ذَلِكَ الْمَجْدَ النَّبِيلَ	بِإِتِسَامَةٍ
وَتَغْنِي، ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ	تَحْتَبِيهَا
لَوْعَةَ الْيَوْمِ، فَتَبْكِي وَتَتْنُ	لِشَقَاهَا ^(٩)

(١) نظمها في ٨ رمضان ١٣٤٣ هـ / ٢ أبريل - نيسان ١٩٢٥ م.

(٢) الساري: الذي يسير ليلاً، وأراد القمر.

(٣) السمر: الذي يسمر أي يسهر الليل ولا ينام. الكدر: نقض الصفاء.

(٤) الهينوم: الكلام الذي لا يفهم.

(٥) بُث: نشر. هتون، أي ينصب.

(٦) النُّكْر: المنكر، والأمر الشديد.

(٧) القاموس: البحر. الصدى: ما يسمعه المصوت في الوادي أو غيره.

(٨) الكبير، أي المكسور.

(٩) فتبكي وتتن، يعني الأمواج، مجازاً.

الصَّيْحَةُ (١)

[من المنسرح]

يَا قَوْمُ! عَيْنِي شَامَتْ	لِلْجَهْلِ فِي الْجَوِّ نَاراً ^(٢)
تَلَوْ سَحَاباً رُكَّاماً	يَنْتَلُو قَتَاماً مُثَاراً ^(٣)
يُثِيرُ فِي الْأَرْضِ رِيحاً	يُجِجُ فِيهَا غُبَاراً
تُلْفِي الشَّدِيدَ صَرِيحاً!	تُبْقِي الْأَدِيبَ حِمَاراً ^(٤)
مِنْهَا الْفَضَاءُ ظِلَامٌ!	وَالنَّاسُ مِنْهَا سُكَارَى
قَدْ أَوْرَثْتَهُمْ دُوراً	وَأَغْقَبْتَهُمْ خُمَاراً ^(٥)
لَا يَغْرِفُ الْمَرْءُ مِنْهَا	لَيْلًا رَأَى أَمَّ نَهَاراً
يَحَالُ كُلِّ خَيَالٍ	سَرَى، تَسْرِبِلَ فَاراً ^(٦)

يَا قَوْمُ بَرْتُكُمْ حَثِيثاً	خَطَى وَرَاءَ، كِبَاراً ^(٧)
نَبَذْتُمُ الْعِلْمَ نَبَذَ الْ	خَوَى قَلِي، وَصَغَاراً ^(٨)
لَيْسَ الْجَهْلُ ثَوْباً	اتَّخَذْتُمُوهُ شِعَاراً
يَا قَوْمُ مَا لِي أَرَاكُمْ	قَطَنْتُمُ الْجَهْلَ دَاراً؟
أَصْفَعْتُمْ تَجْدَ قَوْمٍ	شَادُوا الْحَيَاةَ فَخَاراً
أَبْقُوا سَمَاءَ الْمَعَالِي	بِمَا أَضَاءُوا مَنَاراً
حَاكُوا لَكُمْ ثَوْبَ عِزٍّ	خَلَعْتُمُوهُ احْتِقَاراً
ثُمَّ ارْتَدَيْتُمْ	لِبُوسٍ خِزْيٍ، وَعَاراً ^(٩)

(١) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ / ١٣ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.

(٢) شامت: نظرت.

(٣) السحاب الركام: المتراكم من السحاب. القتام: الغبار.

(٤) تُلْفِي: تجدد.

(٥) الخُمَار: الخمرة، أو ما خالط من سكرها.

(٦) يَحَال: يحسب، يظن. سَرَى: سار ليلاً. تَسْرِبِل: ليس.

(٧) قوله: خَطَى وراء يعني التراجع بنبذهم للعلم. حثيث: سريع.

(٨) القِلَى: البغض. الصغار: الاحتقار. النوى: البعد.

(٩) لبوس خيزي: لباس العار.

يَا لَيْتَ قَوْمِي أَصَاخُوا لِمَا أَقُولُ جَهَارًا
يَا ثِيغَرُ! أَسَمِعْتَ لَكِنْ قَوْمِي أَرَاهُمْ سُكَارَى
فَلَا تُبَالِ إِذَا مَا أَعْطُوا نِدَاكَ أَزْوَارًا^(١)
وَاصْبِرْ عَلَى مَا تُلَاقِي وَأَصْدَعْ، وَقِيَّتِ الْعِشَارَا^(٢)

شكوى ضائعة^(٣)

[من البسيط]

هذا الوجود، ومن أعدائها القَدَرُ؟
إِذَا، فهل ترفُضُ الدُّنْيَا، وتنتحر؟
بِالْكَ، ورأيي مريض، كُلُّهُ خَوْرًا^(٤)
لَا يُفْلِتُ الْخَلْقُ مَا عَاشُوا، فَمَا النَّظَرُ؟^(٥)
عَلَى الْخَلِيقَةِ، وَحَشْ، فَاثَكَ حَذِرُ^(٦)
فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ دَفْعًا، وَلَا حَزَرُوا
عَيْنَ، فَتَعَلَّمَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
فَمَا لَهُمْ أَبَدًا مِنْ بَطْشِهِ وَزَرُ^(٧)
وَلَا الْحَيَاةُ. تَسَاوَى النَّاسُ وَالْحَجَرُ!^(٨)
أَنْ يَحْذَرُوهُ، وَهَلْ يُجِدِيهِمُ الْحَذَرُ^(٩)
مَنْ الْخُطُوبِ، وَكَوْنِ كُلِّهِ خَطَرُ؟^(١٠)

يَا لَيْل! مَا تَصْنَعُ النَّفْسُ الَّتِي سَكَنْتَ
تَرْضَى وَتَسْكُتُ؟ هَذَا غَيْرُ مُحْتَمَلٍ!
وَذَا جَنُونٌ، لَعَمْرِي، كُلُّهُ جَزَعٌ
فَلَمَّا الْمَوْتُ ضَرَبَ مِنْ حَبَائِلِهِ
هَذَا هُوَ الْفَزُّ، عَمَاءُ وَعَقْدَةُ
قَدْ كَبُلَ الْقَدَرُ الضَّارِي فَرَائِسَهُ
وَحَاطَ أَعْيُنَهُمْ، كَيْ لَا تُشَاهِدَهُ
وَحَاطَهُمْ بِفَنُونٍ مِنْ حَبَائِلِهِ
لَا الْمَوْتُ يُنْقِذُهُمْ مِنْ هَوْلِ صَوْلَتِهِ
حَارَ الْمَسَاكِينُ، وَارْتَاعُوا، وَأَعْجَزَهُمْ
وَهُمْ يَعِيشُونَ فِي دُنْيَا مَشِيدَةٍ

(١) الأزوار: الانحراف.

(٢) صَدَعَ: أظهر، وجهر.

(٣) نظمها في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ/ ٥ أوت - آب ١٩٣٤ م. وفيها اتهام للقدر بالظلم، والقدر ليس بظالم، فالخذر.

(٤) الجَزَع: الخوف. الخَوْر: الضعف.

(٥) حَبَائِلُ الْمَوْت: أسبابه.

(٦) عَمَاءُ: أخفاه.

(٧) الحَبَائِلُ: الأسباب. الزَّرَرُ: المُلْجَا والمُعْتَصَم.

(٨) الصُّوْلَةُ: السُّطُورَة والاستطالة.

(٩) يجدي: ينفع.

(١٠) الخطوب: جمع الخطب: الشأن والأمر.

وكيف يحذرُ أعمى، مُذِلِّجٌ، تَعَبٌ،
 قد أيقنوا أنه لا شيء يُنقذُهُم
 ولو راوه لَسَارَتْ كي تحاربه
 وَثَارَتْ الجنّ، والأُملاك ناقمة
 لكنّه قوّة تُملي إرادتها
 حقيقة، مرّة، يا ليل، مُبَغِضَةٌ



تَهْدُ اللَّيْلُ، حَتَّى قُلْتُ: «قد نُثِرَتْ
 وَعَادَ لِلصَّمْتِ...»، يُصغي في كآبته
 وَقَهَقَ القَدْرُ الجَبَّارُ، سُخْرِيَّةٌ
 تمشي إلى العَدَمِ المحتوم، باكيةٌ
 وأنت فوقَ الأسى والموت، مبتسمٌ

تِلْكَ النُّجُومُ، وَمَاتَ الجنّ والبَشَرُ
 - كالفيلسوف - إلى الدنيا، ويفتكرُ..
 بالكائنات. تَصَاحَكَ أَيُّهَا القَدْرُ!
 طوائفُ الخلقِ، والأشكالِ والصُّورِ
 ترنو إلى الكون، يَبْنَى، ثم يندثرُ^(١)

أنسيم يهب؟^(٧)

[من الخفيف]

الحمد لله وحده

أنسيم يهبُ في الأسحار
 أم أناشيد مَعْبِدٍ رَتَلَتْهَا
 بين تغريد بلبلٍ وهزارٍ
 كالنسيمات غانيات الجوّاري^(٨)

(١) المدلج: الذي يسير في أول الليل.

(٢) الزمر: الجماعات.

(٣) العَصْرُ: جمع العَصْرِ.

(٤) نعنو: نخضع.

(٥) الصُّنْدُرُ: الرجوع. الورد: الإشراف على الماء.

(٦) ترنو، من الرنوّ: إدامة النظر بسكون الطُّرف.

(٧) نظمها سنة ١٩٣١ م، ردّاً على الشيخ عامر بن محمد الصالح الشامي وكان قد هدّاه بمناسبة زواجه. وقد احتفظ بالقصيدة محمد الصالح بن عامر بالقصيدة، فلم تنشر في الديوان الذي أشرف على طبعه الأستاذ أبو شادي.

(٨) غانيات: جمع غانية: حسناء استغنت ببجائها.

الأطيار أم غُنة النهر الجاري
 مي فكانت فريدة الأشعار^(١)
 وسمير العلوم، رب الفخار^(٢)
 على بابه بلا استكبار
 وتجنّيه ما بها من ثمار
 خَوَدَيْكَ من شبه جلال الوقار
 والمجد جذوة من نار
 عمراً طيباً بغير تبار
 أنجالك الفر من غلا وفخار
 في ظلامي وفي بياض نهاري
 فما في قبولها من عار
 النفس قوي النهى يد الأدهار^(٣)
 والسلام عليك من ابن أخيك
 بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

أم أريج الزهور أم نغمة
 أم تهانك صاغها فكرك السا
 يا سليل العلا، وترب المعالي
 أنت من تسجد البلاغة والمجد
 تربه العلوم أوجهها الفر -
 إن يكن أسبغ الزمان على
 فجنبيك لا تزال من الهمة
 بسط الله في الحياة إليكم
 وأراك الله! ما شئت في
 فهم صحبتي وإخوان نفسي
 هاته بنت وقتها فتقبلها
 ولتعش في الحياة مغتبط

مناجاة عصفور^(٤)

[من الكامل]

ثَملاً بِغَبْطَةِ قَلْبِهِ الْمَرْوِر^(٥)
 وَخِي الرَّبِيعِ السَّاحِرِ الْمُسْجُورِ^(٦)
 تَرْنُو إِلَيْكَ بِنَاطِرٍ مَنظُورٍ
 لَكِنْ مَوَدَّةً طَائِرٍ مَأْسُورٍ

يَا أَيُّهَا الشَّادِي الْمَفْرُودُ هَهُنَا
 مُتَنَقِّلاً بَيْنَ الْحَمَائِلِ، تَالِيَا
 غَرْدًا، فَفِي تِلْكَ السُّهُولِ زَنَابِقُ
 غَرْدًا، فَفِي قَلْبِي إِلَيْكَ مَوَدَّةُ

(١) الخريدة: الجارية البكر.

(٢) التَّزَبُّ: المثل.

(٣) النهى: العقل. وقوله: يد الأدهار يعني أيد الدهور.

(٤) نظمها في ٢٧ محرم ١٣٤٧ هـ / ١٦/ جويلية - تموز ١٩٢٨ م.

(٥) ثَمِل: سكران.

(٦) الحمايل: جمع الخميطة: الشجر الكثير الملتف.

لِعَذَابِهِ جَنِيَّةُ الدُّيُجُورِ..... (١)
مِثْلُ الطُّيُورِ بِمُهَجِّي وَضَمِيرِي (٢)
فَلَيْثُ مِثْلُ البُّلْبُلِ الْمَكْسُورِ (٣)
مَشْبُوءَةٌ بِمَوَاطِفِي وَشُعُورِي (٤)
كَالْمَغْرَفِ، الْمُتَحَطِّمِ الْمَهْجُورِ

هَجَرَتْهُ أَسْرَابُ الْحَمَامِ، وَانْبَرَتْ
غَرْدٌ، وَلَا تُرْهِبُ بِمِينِي، إِنِّي
لَكِنْ لَقَدْ هَاضَ التُّرَابَ مَدَامَعِي
أَشْدُّو بَرَنَاتِ النِّيَاحَةِ وَالْأَسَى
غَرْدٌ، وَلَا تُحْفَلُ بِقَلْبِي، إِنَّهُ



وَأَصْدَحُ بِفَيْضِ فَوَادِكِ الْمَسْجُورِ (٥)
رُوحُ الْوُجُودِ، وَسَلَوَةُ الْمَقْهُورِ
لَكِنْ بِصَوْتِ كَأَبِي وَزَفِيرِي
مُتَدَفِّقٌ بِحَرَارَةِ وَطْهُورِ
يَرْضَى فَوَادِي أَوْ يُرَى ضَمِيرِي
غَنًّا، يَفِيضُ بِرُكْبَةٍ وَقُتُورِ (٦)
مَا بَيْنَهُمْ كَالْبُلْبُلِ الْمَاسُورِ (٧)
وَحَوَاطِيرِي، وَكَأَبِي، وَسُرُورِي
مِنْهُمْ بِوَهْدَةِ جَنْدَلٍ وَصُخُورِ (٨)
تَذْمُرُوا مِنْ فِكْرَتِي وَشُعُورِي
فَقَلُّوهُمْ فِي وَحْشَتِي وَخُبُورِي (٩)
مُتَرَبِّصٌ بِالنَّاسِ شَرُّ مَصِيرِ (١٠)
وَرَمَى الْوَرَى فِي جَا حِمٍ مَسْجُورِ (١١)

رَبَّلْ عَلَى سَمْعِ الرُّبُوعِ نَشِيدَهُ
وَأَنْشِدْ أَنْشِيدَ الْجَمَالِ، فَإِنَّمَا
أَنَا طَائِرٌ، مُتَفَرِّدٌ، مُتَرَنِّمٌ
يَتَنَاجِي صَوْتَ الطُّيُورِ، لِأَنَّهُ
مَا فِي وَجُودِ النَّاسِ مِنْ شَيْءٍ بِهِ
فَإِذَا اسْتَمَعْتُ حَدِيثَهُمُ الْفَيْتَهُ
وَإِذَا حَضَرْتُ جُمُوعَهُمُ الْفَيْتَنِي
مَتَوَحِّدًا بِمَوَاطِفِي، وَمَشَاعِيرِي،
يَنْتَابِنِي حَرْجُ الْحَيَاةِ كَأَنِّي
فَإِذَا سَكَتَ تَضَجُّرُوا، وَإِذَا نَطَقْتُ
أَوْ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ بَلَّوْهُمْ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا خَبِيثٌ غَادِرٌ
وَيَوُدُّ لَوْ مَلَكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ

- (١) الدُّيُجُور: الظلام.
- (٢) المهجة: الدم، أودم القلب، والروح.
- (٣) هاض: كسر بعد انجبار. الملامع: جمع الملمع.
- (٤) مشبوءة: متوقدة.
- (٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.
- (٦) الحديث الغث: الذي لا خيره فيه.
- (٧) الفيتني: وجدنتي.
- (٨) يتابني: يأتيني مرة بعد مرة. الوهدة: الأرض المنخفضة. الجندل: ما يقله الرجل من الحجارة.
- (٩) قلوت: أبغضت. الحبور: السرور.
- (١٠) متربص: منتظر ماذا يجل به.
- (١١) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. وشلة القتل في المعركة. الوري: الخلق.

لِيَبْلُ غُلَّتُهُ الَّتِي لَا تَرْتَوِي
وَإِذَا دَخَلْتُ إِلَى الْبِلَادِ فَإِنْ أَفْ
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حُلُوَّةٌ فَتَانَةٌ
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ غَا
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ مُرْ
يَا أَيُّهَا الشَّادِي الْمَغْرُدُ ههنا
قَبْلُ أَزَاهِيرِ الرَّبِيعِ، وَغَنَمُهَا
وَاشْرَبْ مِنَ النَّبْعِ، الْجَمِيلِ، الْمَلْتَوِي
وَأَتْرُكْ دَمَوْعَ الْفَجْرِ فِي أَوْرَاقِهَا
فَلَرُبَّمَا كَانَتْ أَنْيْنًا صَاعِدًا
ذَرَفَتْهُ أَجْفَانُ الصُّبْحِ مَدَامْعًا

وَيَكْخُضُ تُهْمَةً قَلْبِهِ الْمَغْفُورِ
كَارِي تُرْقِرِفُ فِي سُفُوحِ الطُّورِ^(١)
تَحْتَالُ بَيْنَ تَبْرُجٍ وَسُفُورِ^(٢)
رَقَّةٌ بِمَوَارِ الدِّمِّ الْمَهْدُورِ؟^(٣)
تَرْثِي لَصَوْتِ تَفْجُعِ الْمَوْتُورِ؟^(٤)
تَعْنُو لِغَيْرِ الظَّالِمِ الشُّرَيْرِ؟^(٥)
تَادُ لِكُلِّ دَعَارَةٍ وَفُجُورِ؟
تَمِلًا بِغَبْطَةِ قَلْبِهِ الْمَرُورِ!
رَنَمَ الصُّبْحِ الضَّاحِكِ الْمَجُورِ^(٦)
مَا بَيْنَ دَوْحِ صَنْوِيرٍ وَعَدِيرِ^(٧)
حَتَّى تُرَشِّفَهَا عُرُوسُ النُّورِ^(٨)
فِي اللَّيْلِ مِنْ مَتَوَجِّعٍ، مَقْهُورِ
الْأَقَّةِ، فِي دَوْحَةٍ وَزُهُورِ...

يا موت^(٩)

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالاحزان والذكريات،
وشظايا من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قَلَّتْهَا فِي أَيَّامِ
الْأَسَى الَّتِي تَلَتْ نَكْبَتِي بِوَفَاةِ الْوَالِدِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

[مجزوء الكامل]

يَا مَوْتُ! قَدْ مَرَقْتَ صَدْرِي وَقَصَمْتَ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي^(١٠)

- (١) الطُّور: الجبل، وفناء الدار.
- (٢) السُّفُور: الكشف والظهور.
- (٣) الحَوَار: الذي يتحرك ويهوج.
- (٤) الموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه.
- (٥) تعنو: تخضع.
- (٦) الرنم: الترنم: الصوت الحسن، التطريب.
- (٧) دوح: جمع دوحه: الشجرة العظيمة.
- (٨) ترشف: امتص. عروس النور، يعني الشمس.
- (٩) نظمها في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ/ غرة أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٩ م.
- (١٠) قصم: كسر. أرزاء: جمع رُزء: مصيبة.

وَسَخِرْتُ مِنِّي أَيُّ سُخْرِ (١)
 دِ أَجْرُ أَجْنَحَتِي بِذُعْرِ ...
 الْكَوْنِ أَذْرُعُ كُلِّ وَغْرِ (٢)
 وَمَنْ إِلَيْنِ أَثْبُ سَرِي
 لَ، إِذَا أَذَقَمَ عَلَيَّ ذَهْرِي (٣)
 مَارِي، وَكَاسَاتِي، وَخَمْرِي
 رَابِي، وَأَغْنِيَتِي، وَفَجْرِي ... (٤)
 وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ (٥)
 ذُ بَغِيرِهِ، وَهَتَكَتْ سِتْرِي (٦)
 شَهْمًا، يَمِيشُ بِكُلِّ خَيْرٍ
 أَنْ يَسْتَوِي فِي الْأَفْقِي بِذُرِي
 لَةِ يَصُدُّ عَنِّي كُلَّ شَرٍّ
 سُهُ سَوَى حَزَنِي وَضُرِّي
 عَنْ صَوْنِ أَفْرَاحِي وَيَشْرِي (٧)
 لَةِ، وَرَايَتِي، وَعِمَادَ قَصْرِي

وَرَمَيْتَنِي مِنْ حَالَتِي،
 فَلَيْسَتْ مَرْضُوضُ الْفَوْا
 وَقَسَوْتُ إِذْ أَبْقَيْتَنِي فِي
 وَقَجَعْتَنِي فَيَمَنْ أَحِبُّ،
 وَأَعُدُّهُ، فَجَرِي الْجَمِيدِ
 وَأَعُدُّهُ، وَزَيْدِي وَبَحْرِ
 وَأَعُدُّهُ، غَابِي، وَبَحْرِ
 وَرَزَاتَنِي فِي عُنْدَتِي،
 وَهَدَمْتُ صَرْحًا، لَا أَلُو
 فَفَقَدْتُ رُوحًا، طَاهِرًا،
 وَفَقَدْتُ قَلْبًا، هُمُ
 وَفَقَدْتُ كَفًّا، فِي الْحَيِ
 وَفَقَدْتُ وَجْهًا، لَا يُعْبُ
 وَفَقَدْتُ نَفْسًا، لَا تَنِي
 وَفَقَدْتُ رُكْنِي فِي الْحَيِ



وَقَصَمْتُ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
 يَ وَقَدْ مَزَقْتُ صَدْرِي؟
 سَوَدْتُ بِالْأَحْزَانِ فُخْرِي
 تِ أَثْنُ، مُنْفَرِدًا بِإِصْرِي (٨)
 أَقُولُ: «أَيْسَنَ تَرَاهُ قَبْرِي؟»

يَا مَوْتُ! قَدْ مَزَقْتَ صَدْرِي
 يَا مَوْتُ! مَاذَا تَبْتَفِي مِنْ
 مَاذَا تَوَدُّ، وَأَنْتَ قَدْ
 وَتَرَكْتَنِي فِي الْكَائِنَا
 وَأَجُوبُ صَحْرَاءَ الْحَيَاةِ،

-
- (١) حَالِق: أَي عَال.
 (٢) أَذْرُعُ كُلِّ وَغْر: اجْتَازَ كُلَّ صَعْب.
 (٣) ادْهَمُ الظَّلَام: اسْوَدَّ.
 (٤) الْمَحْرَاب: الْغُرْفَةُ، وَمَقَامُ الْإِمَامِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَالْمَوْضِعُ يَنْفَرِدُ بِهِ الْمَلِكُ فَيَتَبَاعَدُ عَنِ النَّاسِ.
 (٥) رَزَاتَنِي: أَصْبَتَنِي.
 (٦) الْوَدُّ: أَحْتَمِي.
 (٧) لَا تَنِي: لَا تَفْتَرِ.
 (٨) الْإِصْرُ: الذَّنْبُ.

ماذا تودُّ من المَقْدَّ
 ماذا تودُّ من الشَّقِيَّ
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُنِي فَهَـا
 أَوْ كُنْتَ تَرْقُبُنِي فَهَـا
 خَذْنِي إِلَيْكَ، فَقَدْ تَبَخُّ
 وَتَهْدَلْتُ أَغْصَانُ أَيِّ
 وَتَنَائِرْتُ أَوْرَاقُ أَخْلَا
 خَذْنِي إِلَيْكَ! فَقَدْ ظَلِمْتُ
 خَذْنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَر
 خَذْنِي، فَمَا أَشْقَى الَّذِي
 بَ فِي الْوُجُودِ بِغَيْرِ وَزْرِ؟^(١)
 بِعَمِيشِهِ، النَّكِيدُ، الْمُضِرُّ^(٢)
 تِ الْكَاسِ، أَشْرَبُهَا بِصَبْرِ
 تِ السَّهْمِ، أَرْشُقُهُ بِنَخْرِي^(٣)
 رَ فِي فِضَاءِ الْهَمِّ عُمَرِي...
 لَامِي، بِلَا تَمَرٍ وَزَهْرٍ^(٤)
 مِي عَلَى حَسَكِ الْمَرِّ...^(٥)
 تَ لِكَابِكَ، الْكَدِيرُ، الْأَمْرُ...
 قُبُ فِي قَفْصَاكَ الْجَوْنَ فَجَرِي^(٦)
 يَقْضِي الْحَيَاةَ بِمِثْلِ أَمْرِي..

يَا مَوْتَ! قَدْ مَزَقْتَ صَدْرِي
 يَا مَوْتَ! قَدْ شَاعَ الْفَوَا
 وَغَدَوْتُ أَمْثِي مُطْرَقاً مِنْ
 يَا مَوْتَ! نَفْسِي مَلَبَ الدُّنْ
 وَقَصَمْتَ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
 دُ، وَأَقْفَرْتُ عَرَصَاتُ صَدْرِي^(٧)
 طُولَ مَا أَثْقَلْتُ فِكْرِي^(٨)
 يَا، فَهَلْ لَمْ يَأْتِ دَوْرِي؟

شِعْرِي^(٩)

[من المَجْتِثْ]

شِعْرِي نَفَاةٌ صَدْرِي إِنْ جَاشَ فِيهِ شُعُورِي^(١٠)

- (١) الوزر: الإثم والذنب.
- (٢) العيش النكيد: الشديد.
- (٣) النحر: أعلى الصدر.
- (٤) تهدل: استرخى.
- (٥) الحسك: نبات له شوك.
- (٦) الجون: الأسود، والأبيض، ضد. وأراد السواء.
- (٧) عرصات: جمع عرصة: فسحة بين الدور لا بناء فيها.
- (٨) مطرق: ساكت لا يتكلم. وأطرق، أيضاً، أرخى عينه ينظر إلى الأرض.
- (٩) نظمها في ٢١ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ / ١٣ جوان - حزيران ١٩٢٥ م. وهي مما زيد على الديوان.
- (١٠) نفاة صَدْرِي: مما ينفثه صَدْرِي، أي: يقذفه. جاش: اضطرب.

لَوْلَاهُ مَا انْجَابَ عَنِّي غَنِمْتُ الْحَيَاةَ الْخَطِيرَ^(١)
وَلَا وَجَدْتُ اكْتِسَابِي وَلَا وَجَدْتُ سُورِي
بِهِ تَرَانِي حَزِيناً أَبْكِي بِدَمْعٍ غَزِيرِ
بِهِ تَرَانِي طَرِيباً أَجْرُ ذَيْلِ حُبُورِي

لَا أَنْظُمُ الشُّعْرَ أَرْجُو بِهِ رِضَاءَ الْأَمِيرِ
بِمَذْحَةٍ أَوْ رِثَاءِ تُهْدِي لِرَبِّ السَّرِيرِ^(٢)
حَسْبِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَنْ يَرْضِيهِ ضَمِيرِي
مَا الشُّعْرُ إِلَّا فُضَاءٌ يَرْفُ فِيهِ مَقَالِي^(٣)
فِيهَا يَسُرُّ بِلَادِي وَمَا يَسُرُّ الْمَعَالِي
وَمَا يُثِيرُ شُعُورِي مِنْ خَافَقَاتِ خَيَالِي

لَا أَقْرُضُ الشُّعْرَ أَبْفِي بِهِ اقْتِنَاصَ نَوَالِ^(٤)
الشُّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَمَالِهِ ذَا جَلَالِ
فَلَيْتَمَا هُوَ طِيفٌ يَسْعَى بِوَادِي الظَّلَالِ^(٥)
يَقْضِي الْحَيَاةَ طَرِيداً فِي ذُلَّةٍ، وَاعْتَزَالِ
يَا شِعْراً! أَنْتَ مَلَائِكِي وَطَارِفِي، وَتِلَادِي^(٦)
أَنَا إِلَيْكَ مُرَادٌ وَأَنْتَ نِغَمٌ مُرَادِي^(٧)
قِفْ، لَا تَدْعُنِي وَحِيداً وَلَا أَدْعُكَ تَنَادِي
فَهَلْ وَجَدْتُ حُسَاماً يُنَاطُ دُونَ نِجَادِ^(٨)

-
- (١) انجَاب: انزاح.
(٢) السرير، أي عرش الملك.
(٣) المقال، أي القول.
(٤) النوال: العطاء. ويحمد في هذه القصيدة مفهومه للشعر، فيدعو إلى الجمالية والصدق والترفع.
(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام.
(٦) المال الطارف: المال المكتسب حديثاً. والتلاد والتلید: المال الموروث القديم.
(٧) المراد: الهدف والغاية.
(٨) الحسام: السيف. يُنَاط: يحمل، النجاد: حمل السيف.

كَمْ حَطَمَ الدَّفْرُ ذَا هِمَّةٍ كَثِيرَ الرَّمَادِ^(١)
الْقَاهُ تَحْتَ نَعَالٍ مِنْ ذِلَّةٍ وَجَدَادٍ
رَفَقاً بِأَقْلٍ بِلَادِي! يَا مَنْجُونِ الْعَوَادِي!^(٢)

فكرة الفنان^(٣)

[من الكامل]

دُنْيَاكَ كَوْنٌ عَوَاطِفٍ وَشَعُورٍ
لَتَجِفَّ لَوْ شِئِدَتْ عَلَى التَّفْكِيرِ
كَاهِيكِلِ، الْمُتَهَدِّمِ، الْمَهْجُورِ
كَالْمَوْتِ، مُقْفِرَةً، بِغَيْرِ سُورٍ^(٤)
لِلنَّاسِ، بَيْنَ جَدَاوِلِ وَزُهُورٍ
يَهْتَرُ مِنْ مَرَحٍ، وَقَرْطِ حُبُورٍ
أوراقٍ وَرِدِ «اللَّذَّةِ» الْمَنْضُورِ^(٥)
فِي الْكَوْنِ تَحْتَ غَمَامَةٍ مِنْ نُورٍ
الْمَشْبُوبِ بَيْنَ خَمَائِلِ وَغَدِيرٍ^(٦)
لِلْمَوْتِ، لِلْأَيَّامِ، لِلدِّيْجُورِ^(٧)
وَالسُّخْرِ، وَاللَّذَاتِ، وَالتَّغْيِيرِ^(٨)
فِيهَا بِصَوْتِ الْحَالِمِ، الْمَحْبُورِ
عَزَمَ الشَّبَابِ، وَغَبَطَةُ الْعُصْفُورِ

عِشْ بِالشُّعُورِ، وَلِلشُّعُورِ، فَلَيْمًا
شِئِدَتْ عَلَى الْعَقْطَبِ الْعَمِيقِ، وَإِنَّمَا
وَتَظَلُّ جَايِذَةَ الْجَمَالِ، كَثِيبَةً
وَتَظَلُّ قَاسِيَةَ الْمَلَامِحِ، جَهْمَةً
لَا الْحُبُّ يَرْقُصُ فَوْقَهَا مَتَغْنِيَا
مُتَوَرِّدَ الْوَجَنَاتِ سَكْرَانِ الْخَطَى
مُتَكَلِّلًا بِالْوَرْدِ، يَنْثُرُ لَلْوَرَى
كَذَا! وَلَا الْفَنُّ الْجَمِيلُ بِظَاهِرٍ
مَتَوَشِّحًا بِالسُّخْرِ، يَنْفُخُ نَائِيَةً
أَوْ يَلْمُسُ الْعَوْدَ الْمَقْدَسَ، وَاصْفَاءً
مَا فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْمَسْرَةِ، وَالْأَسَى
أَبَدًا وَلَا الْأَمَلُ الْمَجْنَحُ مَنْشِدًا
تِلْكَ الْأَنَاشِيدَ الَّتِي تَهْبُ الْوَرَى

- (١) قوله: كثير الرماد، يعني الكريم عن طريق الكناية.
- (٢) المنجئون: الدولار يستقر عليه، والدهر، وأراد دماً للدهر. والعوادي من الكرم: ما يُعَرَّ أصل
- الشجر العظام.
- (٣) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٠ هـ / ٧ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٣١ م.
- (٤) جهمة: عابسة. مقفرة أي لا شيء فيها.
- (٥) الورى: الخلق.
- المنصور، أي النصر والناصر من النبات: الشديد الخضرة.
- (٦) الناي: من الآلات الموسيقية. الخمائل: جمع الخملة: الشجر الكثير الملتف.
- (٧) الديجور: الظلام.
- (٨) التغيرير: التعرض للهلكة.

فَهوَ الْخَيْرُ بِتِيهِهَا الْمَسْجُورُ^(١)
 بَيْنَ الْجَاهِمِ، وَالْدَمِ الْمَهْدُورِ
 مَتَغْنِيًا، مِنْ أَغْصَرِ وَدُهورِ
 مَا زَالَ فِي الْأَيَّامِ جَدُّ صَغِيرِ
 مَتَوَجِّعًا، كَالطَّائِرِ الْمَكْسُورِ
 مَتَنَطِّسًا، فِي خَفَّةٍ وَغُرُورِ:^(٢)
 مِنْ سِرِّ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْتُورِ
 مِنْ سَادِجٍ، مِتْفَلْسَفٍ، مَغْرُورِ!

وَاجْعَلْ شُعُورَكَ، فِي الطَّبِيعَةِ قَائِدًا
 صَحْبَ الْحَيَاةِ صَغِيرَةً، وَمَشَى بِهَا
 وَعَدَا بِهَا فَوْقَ الشَّوَاهِقِ، بِاسْمًا
 وَالْعَقْلِ، رَغَمَ مَشِيبِهِ وَوَقَارِهِ،
 يَمْشِي...، فَتَضَرَّعُهُ الرِّيَّاحُ، فَيَنْثِي
 وَيَظَلُّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ، مِتْفَلْسَفًا
 عَمَّا تُحْجِبُهُ الْكَوَاكِبُ خَلْفَهَا
 وَهُوَ الْمَهْتَمُّ بِالْعَوَاصِفِ... إِيَالَهُ



لَلِيَمِّ لِلْأَمْوَاجِ، لِلذَّيْجُورِ^(٣)
 لِلْهَوْلِ، لِلْأَلَامِ، لِلْمَقْدُورِ
 فِي أَفْقِهَا، الْمَتَلَبِّدِ، الْمَقْرُورِ^(٤)
 فِي لَيْلِهَا، الْمَتَهَيِّبِ، الْمَحْذُورِ
 مِنْ ثَغْرِهَا الْمَتَاجِحِ، الْمَسْجُورِ^(٥)
 يَقِظُ الْمَشَاعِرِ، حَالِمٍ، مَسْجُورِ
 هِيَ خَيْرُ مَا فِي الْعَالَمِ الْمَنْظُورِ^(٦)

وَافْتَحْ فُؤَادَكَ لِلْوُجُودِ، وَخَلِّهِ
 لِلثَّلَجِ تَنْشُرُهُ الزُّوَاعِجُ، لِلْأَسَى
 وَاتْرِكْهُ يَقْتَحِمُ الْعَوَاصِفَ... هَائِمًا
 وَيَخُوضُ أَحْشَاءَ الْوُجُودِ... مَغَامِرًا
 حَتَّى تُعَايِنَهُ الْحَيَاةُ، وَيَرْتَوِي
 فِتْمَعِشَ فِي الدُّنْيَا بِقَلْبٍ زَاخِرٍ
 فِي نَشْوَةٍ، صُوفِيَّةٍ قُدْسِيَّةٍ

-
- (١) التيه: المفازة، والضلال.
 (٢) متنطس: متقدّر، متأقّ في الطهارة، وفي المطعم والملبس والكلام.
 (٣) اليم: البحر.
 (٤) المقرور: الذي أصابه القُر أي البرد.
 (٥) المسجور: الموقد، والساكن أيضاً.
 (٦) تتجلى في البيت نزعة الشاعر الصوفية.

قافية السَّين

نظرة في الحياة^(١)

[من المجتث^٢]

فِيهَا الضَّعِيفُ يُدَاسُ	إِنَّ الْحَيَاةَ صِرَاعٌ
إِلَّا شَدِيدُ الْمِرَاسِ ^(٣)	مَا فَازَ فِي مَاضِيهَا
فَكُنْ فَنَى الْإِحْتِرَاسِ ^(٤)	لِلْخَبِّ فِيهَا شَجُونٌ
الْكُونُ كَوْنُ التَّبَاسِ	الْكُونُ كَوْنُ شَقَاءٍ
وَضَجَّةٌ وَاحْتِلَاسٌ	الْكُونُ كَوْنُ اخْتِلَاقٍ
السُّرُورُ، وَالْإِسْتِشَاسُ	سَيَّانٌ عِنْدِي فِيهِ
لِلنَّاسِ فِيهِ مَزَايَا ^(٥)	بَيْنَ النَّوَائِبِ بَوْنٌ
الْبَلَى يُنَادِي الْبَلَايَا	السَّبْعُ لَمْ يَدْرِ إِلَّا
سَوَى حَقِيرِ الرُّزَايَا ^(٦)	وَالْبَعْضُ مَا ذَاقَ مِنْهَا
سَيَنْقُضِي بِالْمَنَايَا ^(٧)	إِنَّ الْحَيَاةَ سُبَاتٌ
أَمَالُنَا، وَالْخَطَايَا	وَمَا الرُّوْيُ فِيهِ إِلَّا
بَيْنَ الْجَفُونِ بَقَايَا	فَإِنْ تَبَقَّظَ كَانَتْ

إِنَّ السُّكِينَةَ رُوحٌ فِي اللَّيْلِ لَيْسَتْ تُضَامُ^(٧)

-
- (١) نظمها في ١٢ ربيع الأول هـ / ٣٠ سبتمبر - أيلول ١٩٢٥ م.
 (٢) المراس: الشدة. وقوله: شديد المراس يعني القوي.
 (٣) الخب: الخداع. الشجون: جمع الشجن: الهم والحزن، وهي هنا بمعنى: الحاجة حيث كانت.
 (٤) النوائب: جمع النابة: المصيبة. بون: بعد.
 (٥) الرزايا: جمع الرزية: المصيبة.
 (٦) السبات: النوم.
 (٧) تضام: تظلم.

والرُّوحُ شُعْلَةٌ نُورٌ
لا تنطفئ بريح الـ
بَلْ قَدْ يَمُجُّ لَظَاهَا
كُلُّ الْبَلَايَا... جِيعاً
وَالذُّلُّ سُبَّةٌ عَارٍ
الفجر يسطع بعد الدُّ
وَيَرْقُدُ اللَّيْلُ قَسْراً
وَلِلشُّعُوبِ حَيَاةٌ
وَالْيَأْسُ مَوْتُ وَلَكِنْ
وَالْجَدُّ لِلشُّعْبِ رَوْحٌ
فَإِنْ تَوَلَّتْ تَصَدَّتْ

مِنْ فَوْقِ كُلِّ نِظَامٍ
إِرْهَاقٍ أَوْ بِالْحَسَامِ
سَيْلاً، وَيَطْفِئُ الضَّرَامَ^(١)
تَفْنِي وَيَحْيَا السَّلَامُ!
لا يَرْضِيهِ الْكَرَامُ!
جِي، وَيَأْتِي الضُّيَاءُ
عَلَى مِهَادِ الْعَفَاءِ^(٢)
حِيناً وَحِيناً فَنَاءُ
مَوْتُ يُثِيرُ الشُّقَاءُ
تُوجِي إِلَيْهِ الْمَنَاءُ
لِلْبَلَاءِ^(٣) حَيَاتُهُ

شكوى اليتيم^(٤)

[من المتقارب]

عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، أَنِي يَضْجُ
تَنَهَّدْتُ مِنْ، مُهْجَةٍ، أَتَرَعْتُ
فَضَاعَ التَّنَهَّدُ فِي الضُّجَّةِ
فَسِرْتُ وَنَادَيْتُ: «يَا أُمُّ هَيَا
وَجِئْتُ إِلَى الْغَابِ، أَسْكُبُ أَوْجَا
نَحِيباً تَذَافَعُ فِي مَهْجَتِي
فَلَمْ يَفْهَمِ الْغَابُ أَشْجَانَهُ
فَسِرْتُ وَنَادَيْتُ: «يَا أُمُّ هَيَا

صَرَخَ الصُّبْحُ وَنَوَّحَ الْمَسَا
بِذَمِّعِ الشُّقَاءَ وَشَوْكَ الْأَسَى^(٥)
بِمَا فِي ثَنَائِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ^(٦)
إِلَى! فَقَدْ سَمَّتَنِي الْحَيَاةُ
عَ قَلْبِي نَحِيباً، كَلَفَحَ اللَّهَيْبُ
وَسَالَ يَرُنُّ بِنَدْبِ الْقُلُوبِ
وَوَظَلَ يُرَدِّدُ الْحَانَةَ
إِلَى! فَقَدْ عَذَّبَتْنِي الْحَيَاةُ

(١) يَمُجُّ: يرفع صوته. الضَّرَام: ما اشتعل من الحطب، ويريد الاشتغال عموماً.

(٢) المهاد: جمع المهدي، أي: السرير. العفاء: الزوال.

(٣) البلاء: الزوال.

(٤) نظمها في ٢١ صفر ١٣٤٥ هـ/ ٣١ أوت - آب ١٩٢٦ م.

(٥) المهجة: القلب، أو دم القلم، والروح.

(٦) الثنايا: جمع الثبئة: العقبة، أو الطريقة في الجبل.

وَقَمْتُ عَلَى النَّهْرِ، أَهْرِقُ دُمْعًا تَفْجَرُ مِنْ فَيْضِ حُزْنِي الْأَلِيمِ
يَسِيرُ بِصَنْتٍ عَلَى وَجْنَتِي وَيَلْمَعُ مِثْلَ دُمُوعِ الْجَحِيمِ
فَمَا خَفَّفَ النَّهْرُ مِنْ عَذْوِهِ وَلَا سَكَتَ النَّهْرُ عَنْ شَذْوِهِ
فَسَرْتُ، وَنَادَيْتُ: «يَا أُمُّ! هَيَّا إِلَيَّ! فَقَدْ أَضْجَرْتَنِي الْحَيَاةُ»

وَلَمَّا نَدَيْتُ وَلَمْ يَنْفَعِ، وَنَادَيْتُ أُمِّي فَلَمْ تَسْمَعْ
رَجَعْتُ بِحُزْنِي إِلَى وَحْدَتِي وَرَدَدْتُ نَوْحِي عَلَى مِسْمَعِي
وَعَانَقْتُ فِي وَحْدَتِي لَوْعَتِي وَقَلْتُ لِنَفْسِي: «أَلَا فَاسْكُتِي!»

حرم الأمومة^(١)

[من الكامل]

الْأُمُ تَلْتُمُ طِفْلَهَا، وَتَضُمُّهُ حَرَمٌ، سَيَاوِي الْجَمَالِ، مُقَدَّسٌ
تَتَأَلَّهُ الْأَفْكَارُ، وَفِي جَوَارِهِ وَتَعُودُ طَاهِرَةً هُنَاكَ الْأَنْفُسُ^(٢)
حَرَمُ الْحَيَاةِ يَطْهَرُهَا وَحَنَانِهَا هَلْ فَوْقَهُ حَرَمٌ أَجَلُّ وَأَقْدَسُ؟
بِوَرَكْتَ يَا حَرَمَ الْأُمُومَةِ وَالضَّبَا كَمْ فِيكَ تَكْتُمِلُ الْحَيَاةُ وَتَقْدُسُ^(٣)

النبي المجهول^(٤)

[من الخفيف]

أَيُّهَا الشُّعْبُ! لَيْتَنِي كُنْتُ حَطَّابًا فَأُمُورِي عَلَى الْجَذْوِ بِفَأْسِي!
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالشُّيُولِ، إِذَا سَالَتْ تَهْدُ الْقُبُورَ: رِمْسًا بِرِمْسِ!
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالرِّيَّاحِ، فَأُطْوِي كُلَّ مَا يَجْنُقُ الزُّهُورَ بِنَحْسِي
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالشَّتَاءِ، أَغْثِي كُلَّ مَا أَذْبَلُ الْحَرِيفُ بِقَرْسِي!^(٥)

(١) نظمها في ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ / ٣ أوت - أغسطس - آب ١٩٣٤ م.

(٢) تتأله: تتمبذ، وآله: عبذ.

(٣) تقدس، أي: تصير مقدسة.

(٤) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٤٨ هـ / ٢١ جانفي - كانون الثاني ١٩٣٠ م.

(٥) القرّس: البرد الشديد.

فألقي إليك ثورة نفسي!
 فادعوك للحياة بنسبي^(١)
 أنت حي، يقضي الحياة برمس...^(٢)
 وتقضي الدهور في ليل ملئ...^(٣)
 حوالبك دون مس وجس
 واطرعتها بخمرة نفسي...
 رحيقي، ودست يا شعب كاسي^(٤)
 وكفكفت من شعوري وحي
 باقة لم يمسه أي إنسي...
 ورودي، ودستها أي دوس
 وبشوك الجبال توجت رأسي



ليت لي قوة العواصف، يا شعبي
 ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجت
 ليت لي قوة الأعاصير...! لكن
 أنت روح غيبية، تكره النور،
 أنت لا تدرك الحقائق إن طافت
 في صباح الحياة ضمخت أكوابي
 ثم قدمتها إليك، فأهرقت
 فتألت... ثم أسكت الآمي،
 ثم نظدت من أزاير قلبي
 ثم قدمتها إليك، فمزقت
 ثم البستني من الحزن ثوباً

لأقضي الحياة، وحدي، بيأس
 في صميم الغابات أدفن بؤسي
 بأهل لخمري ولكاسي
 وأقضي لها بأشواق نفسي
 أن مجد النفوس يقطر جس
 وألقي إلى الوجود بيأس
 تخط السيل حفرة رمسي^(٥)
 ويشدو النسيم فوق يهمس^(٦)
 كما كن في غضارة أمسي^(٧)
 لاعب بالتراب والليل مغس...^(٨)

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي
 إنني ذاهب إلى الغاب، علي
 ثم أنساك ما استطعت، فما أنت
 سوف أتلو على الطيور أناشيدي،
 فهي تدري معنى الحياة، وتدري
 ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل،
 ثم تحت الصنوبر، الناضر، الحلو،
 وتظل الطيور تلغو على قبري
 وتظل الفصوص تمشي حوالي،
 أيها الشعب؟ أنت طفل صغير،

(١) التمس: التكلم بسرعة.

(٢) الرمس: القبر.

(٣) الملئ: اختلاط الظلام.

(٤) أهزق: أراق. الرحيق: الخمرة.

(٥) الرمس: القبر.

(٦) تلغو: تتكلم بما لا يعتد به.

(٧) الغضارة: النعمة، والسعة والخصب.

(٨) مغسي، أي: مظلم.

فكرة، عبقرية، ذات بأس
ظلمات العصور، من أمس أمس...
في حاسبيتي، ورقة نفسي

أنت في الكون قوة، لم تسسها
أنت في الكون قوة، كبلتها
والشقي الشقي من كان مثلي

رحيق الحياة في خير كأس
واستخفوا به، وقالوا بيأس:
فيا بؤسه، أصيب بمس
وناجى الأموات في غير رمس
ونادى الأرواح من كل جنس
وغنى مع الرياح بجرس
الشياطين، كل مطلع شمس
إن الحبث منبع رجس^(١)
فهو روح، شريعة، ذات نحن^(٢)

هكذا قال شاعر، ناول الناس
فأشاحوا عنها، ومروا غضاباً
«قد أضاع الرشاد في ملعب الجن»
«طالما خاطب العواطف في الليل»
«طالما رافق الظلام إلى الغاب»
«طالما حدث الشياطين في الوادي،
إنه ساحر، تعلمه السحر»
«فأبعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل»
«أطردوه، ولا تُصيخوا إليه»

عاش في شعبه الغبي بتعس
فساموا شعوره سؤم بخس^(٣)
وهو في شعبه مصاب بمس^(٤)
ليحيا حياة شغل وقُدس
الذي لا يُظله أي بؤس
يقضي الحياة: حرساً بحرس^(٥)
ومشي في نشوة المتحسي
ورود الربيع من كل قنس^(٦)

هكذا قال شاعر، فيلسوف،
جهل الناس روحه، وأغانيها
فهو في مذهب الحياة نبي
هكذا قال، ثم سار إلى الغاب،
وبعيداً... هناك... في معبد الغاب
في ظلال الصنوبر الحلوي، والزيتون
في الصباح الجميل، يشدو مع الطير،
نافخاً نايه، حوالبه، تهر

(١) الرجس: القدر، والمائم، وما استقدر من العمل.

(٢) أصاخ: أضغى.

(٣) السؤم في البيع: المغالة.

(٤) يدعي النبوة كما ترى!

(٥) الحرس: الدهر.

(٦) القنس: أعلى الرأس. والناي: من الآلات الموسيقية.

على منكبيه مثل الدِّمَقْسِ^(١)
وتلغو في الدَّوْحِ، مِنْ كُلِّ جَنَسٍ^(٢)
يرنو للطَّائِرِ المتحسِّي
إلى سُدفَةِ الظَّلامِ الْمَمْسِي^(٣)
ظلماتُ الوجودِ في الأرض تُغْشي^(٤)
يَسْأَلُ الكونَ في خشوعٍ وَهْمَسٍ
وصميمِ الوجودِ، أَيْانَ يُرْسِي؟
ونَشِيدِ الطُّيُورِ، حينَ تَمْسِي^(٥)
وَرُسُومِ الحَيَاةِ من أَمَسِ أَمَسٍ^(٦)
سُكُونُ الفَضَا، وأَيَّانَ تَمْسِي؟؟
حَلَقَاتِ السَّنَنِ: حَرَساً بِحَرَسٍ^(٧)

تُضْجِي بين الطُّيُورِ وتُغْشي!^(٨)
نفوسُ الوري بِخُبْثٍ وَرَجَسٍ^(٩)
حياةٌ غريبةٌ، ذاتُ قُدسٍ

شَعْرُهُ مُرْسَلٌ، تُدَاعِبُهُ الرِّيحُ
والطُّيُورُ الطَّرَابُ تشدو حواليه
وتراه عند الأصيلِ، لدى الجدولِ،
أو يغني بين الصَّنوبرِ، أو يرنو
فإذا أَقْبَلَ الظَّلامُ، وأَمَسَتْ
كان في كوخه الجميلِ، مقيماً
عن مصبِّ الحياة، أينَ مَدَاهُ؟
وأريجِ الوُودِ في كُلِّ وادٍ
وهزيمِ الرِّيحِ، في كُلِّ فَجٍّ
وأغاني الرِّعَاةِ أينَ يُوارِها
هكذا يَصْرِفُ الحَيَاةَ، ويُفْنِي

يا لها من معيشةٍ في صميمِ الغابِ
يا لها من معيشةٍ، لم تُدَنْسْهَا
يا لها من معيشةٍ، هي في الكونِ

الدِّمَقْسُ^(٩)

[من الخفيف]

يَنْقُضِي العَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ وَيَأْسٍ وَالْمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وَتَأْسٍ^(١٠)

(١) الدِّمَقْسُ: القز، أو الديباج، أو الكتان.

(٢) الدَّوْحُ: جمع الدَّوْحَةِ: الشجرة العظيمة.

(٣) السُّدفَةُ: الظلام، والطائفة من الليل. يرنو، من الرنو: إدامة النظر بسكون الطرف.

(٤) تُغْشي: تظلم.

(٥) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. هزيم الرياح: صوت الرياح، والهزيم: الرعد.

(٦) الحَرَسُ: الدهر.

(٧) صميم الغاب، يعني وسطه. وصميم الشيء: خالصه.

(٨) الوري: الخلق، الرُّجَسُ: القَذَرُ.

(٩) نظمها في ١٩ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ / ٢٠ جوان - حزيران ١٩٢٧ م.

(١٠) التأسّي: التصبر.

هَذِهِ سُنَّةُ الْحَيَاةِ، وَنَفْسِي
مُلِيءُ الدَّهْرِ بِالْخِذَاعِ، فَكَمْ قَبْدٌ
كَلَّمَا أَسْأَلُ الْحَيَاةَ عَنِ الْحَقِّ
لَمْ أَجِزْ فِي الْحَيَاةِ لِحَنًا بَدِيعًا
فَسُئِمْتُ الْحَيَاةَ، إِلَّا غِرَارًا
نَاوَلْتَنِي الْحَيَاةُ كَأَسَا دِهَاقًا
وَسَقَتْنِي مِنَ التَّعَاسَةِ أَكْوَابًا
إِنَّ فِي رَوْضَةِ الْحَيَاةِ لِأَشْوَاكًا

لَا تَسُودُ الرَّحِيقَ فِي كَأْسِ رِجْسٍ (١)
صَلَّلَ النَّاسَ مِنْ إِمَامٍ وَقَسٍّ (٢)
تَكُفُّ الْحَيَاةَ عَنْ كُلِّ قَمَسٍ
يَسْتَبِينِي سَوَى سَكِينَةِ نَفْسِي (٣)
تَتَلَاشِي بِهِ أَنْاشِيدُ يَاسِي
بِالْأَمَانِي، فَمَا تَنَاوَلْتُ كَأْسِي (٤)
تَجَرَّعْتُهَا، فَيَا شَدَّ تَغْسِي!
بِهَا مُزَّقَتْ زَنَابِقُ نَفْسِي

ضَاعَ أَمْسِي! وَأَيْزَنَ مِنِّي أَمْسِي؟
وَقَضَى الْحُبُّ فِي سُكُونٍ مُرْبِعٍ
لَمْ تُخَلِّفْ لِي الْحَيَاةَ مِنَ الْأَمْسِ
تَتَهَادَى مَا بَيْنَ غَصَّاتِ قَلْبِي
كَخِيَالٍ مِنْ عَالَمِ الْمَوْتِ، يَنْسَابُ
تِلْكَ أَوْجَاعُ مَهْجَةٍ، عَذَّبَتْهَا

وَقَضَى الدَّهْرُ أَنْ أَعِيشَ بِيَاسِي
سَاعَةَ الْمَوْتِ بَيْنَ سُخْطٍ وَبُؤْسٍ
سَوَى لَوْعَةٍ، تَهْبُ وَتُرْسِي
بِسُكُونٍ وَبَيْنَ أَوْجَاعِ نَفْسِي
بَصُمْتُ مَا بَيْنَ رَمْسٍ وَرَمْسٍ (٥)
فِي جَحِيمِ الْحَيَاةِ أَطْيَافُ نَحْسٍ (٦)

شجون (٧)

[من الخفيف]

عَجِبًا لِي! أَوْدُ أَنْ أَفْهَمَ الْكَوْنَ،
لَمْ أَفِزْ مِنْ خَفَائِقِ الْكَوْنِ إِلَّا

وَنَفْسِي لَمْ تَسْتَطِعْ فَهَمَ نَفْسِي!
أَنْنِي فِي الْوُجُودِ مُرْتَادُ رَمْسٍ

(١) الرحيق: الخمرة.

(٢) البيت يدل على مرارة الشاعر وتأله من الوصوليين والمستغلين للدين. ولكنه ينطوي على اتهام الدهر بالخداع ومشاركة المستغلين، وهو ليس كذلك.

(٣) يستبي: يأنر.

(٤) دِهَاق: محتلىء.

(٥) الرمس: القبر.

(٦) المهجة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.

(٧) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٩ هـ / ١٨ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٣٠ م.

كُلُّ دَهْرٍ يَمُرُّ يَفْجَعُ قَلْبِي لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ الزَّمَانِ الْمَوْسِي
 فِي ظِلَامِ الْكُهُوفِ أَشْبَاحُ شُومٍ وَهَذَا الْقَضَاءُ أَطْيَافُ نَحْسٍ
 وَخِلَالِ الْقُصُورِ أَنْتَ حُزْنٍ وَبِتِلْكَ الْأَكْوَاخِ أَنْضَاءُ بؤسٍ^(١)
 وَالْقَضَاءُ الْأَصَمُّ يَعْتَسِفُ النَّاسَ وَيَقْ خِي مَا بَيْنَ سَيْفٍ وَقَوْسٍ^(٢)

هَذِهِ صُورَةُ الْحَيَاةِ، وَهَذَا لَوْنُهَا فِي الْوُجُودِ، مِنْ أَمْسٍ أَمْسٍ
 صُورَةُ لِلشَّقَاءِ دَائِمَةُ الطَّرْفِ وَلَوْنٌ يَسُودُ فِي كُلِّ طَرَسٍ^(٣)

(١) الأنضاء: جمع النضو: الثوب الخلق، أو المهزول من الإبل وغيرها.
 (٢) يعتسف: يظلم، أو يخط على غير هداية. والمعنى: أن القضاء أصم وظالم.
 وهذا غير صحيح، ويدل على فساد رأي الشاعر، وسوء ظنه بالقضاء والقدر.
 (٣) الطرس: الصحيفة.

قافية العين أنشودة الرعد^(١)

[من مجزوء الرمل]

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ لَمَّا عَانَقَ الْكَوْنُ الْخُشُوعَ
وَاخْتَفَى صَوْتُ الْأَمَانِي خَلْفَ آفَاقِ الْمَجْرُوعِ^(٢)

* * *

رَتَّلَ الرَّعْدُ نَشِيداً رَدَّدَتْهُ الْكَائِنَاتُ
مِثْلَ صَوْتِ الْحَقِّ إِنْ صَا حَ بِأَعْمَاقِ الْحَيَاةِ

* * *

يَتَهَادَى بِضَجِيجٍ فِي خَلَايَا الْأَوْدِيَةِ^(٣)
مِثْلَ جَبَّارٍ بَنَى الْجَنَّةَ بِأَقْصَى الْمَاوِيَةِ
فَسَأَلْتُ اللَّيْلَ، وَاللَّيْلُ لُ كَثِيبٌ، وَرَهَيْبٌ
شَاخِصاً بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلُ لُ جَمِيلٌ، وَغَرِيبٌ

* * *

أُتْرَى أَنْشُودَةُ الرَّعْدِ بِدُ أُنَيْنُ وَحَنِينُ
رَتَّمَتْهَا بِخُشُوعٍ مُهْجَةُ الْكَوْنِ الْحَزِينِ؟

* * *

(١) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٤ هـ / ٢٨ فيفري - شباط ١٩٢٦ م.

(٢) المجوع: النوم ليلاً.

(٣) يتهادى: يتهايل.

أَمْ هِيَ الْقُوَّةُ تَسْمَى بِاعْتِسَافٍ وَاضْطِحَابٍ^(١)
يَتَرَاءَى فِي ثَنَائِي صَوْتُهَا رُوحَ الْعَذَابِ؟

غَيْرَ أَنْ اللَّيْلَ قَدْ ظَلَّ رُكُوداً، جَامِداً
صَامِتاً مِثْلَ غَدِيرِ الْقَفِّ، مِنْ دُونِ صَدَى^(٢)

إلى البلبل^(٣)

(من مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الْبَلْبَلُ يَا شَا عَرَ أَحْلَامَ الرَّبِيعِ
غَنِّي إِنَّ عَلَى صَوْتِكَ أُنْدَاءَ الدَّمُوعِ
غَنِّي فَهُوَ يَرِينِي أَمَلِ الْقَلْبِ الصَّرِيعِ
تَأْتِيهِ الْفِكْرُ يَنَاجِي حَيْرَةَ الْفِكْرِ الشَّرِيعِ
بِخَشُوعٍ وَسُكُونٍ وَحَنِينٍ
يَتَكَلَّمُ

انْفَضَّ الْطَّلُ فِي الْطَّلِ حَيَاةٌ حَائِرَةٌ^(٤)
شَرَدَتْهَا عَنْ فُؤَادِ اللَّيْلِ كَفَّ جَائِرَةٌ
وَتَفَرَّدَتْ إِنَّ لِلْوَرْدَةِ عَيْناً فَاتِرَةٌ
أَغْضَتْهَا رَاحَةُ اللَّيْلِ فَقَدْ هَبَّ الصَّبَاحُ
إِنَّمَا أَنْتَ حَيَاةٌ سَاحِرَةٌ
تَتَرَنَّمُ

رُتِّلِ التَّغْرِيدَ شَعْرِيّاً عَلَى سَمْعِ الزَّهْوَرِ

(١) الاعتساف: الظلم، والخط على غير هدى.

(٢) الصدى ما يسمعه المصوت في الوادي أو غيره.

(٣) نُشِرَتْ فِي جَرِيدَةِ النَّهْضَةِ بِتَارِيخِ أَوَّلِ فَيْفْرِ - شِبَاطِ ١٩٢٨.

(٤) الطَّل: الندى.

واترك الرقة تهفو حول أوراد الفديرة
فعرّوس النهر قد هبت يناعيها الخريز
وتصبّت نسمة الفجر الشعاع المستطير
مثل هفاف الغيوم السابحة
في ضحاها

إنّ الحان الظلا م أثره المكتبة
تتوارى بسكون خلف تلك الأسحبة
سئم الورد أنيد من اللوعة المنتحبة^(١)
فانشد الحن رخيماً يطرب الكون رنيمه
وادفن الحسرة في اللحد الرحيب
ورؤاها

فيك يا بلبل ما في الشعر من وحي تعوب
فيك ما في الفجر من رقة للاء طروب
فيك ما في الكون من فن ومن سحر خلوب
فيك ما في الزهرة من شعر الدموع
فيك ما في الدمعة المنحدرة
من معاني

انفث الشعر ففي شعرك روح خالدة
كلما هبت على تلك الزهور الراقدة
أيقظت في صدرها نبض الحياة الهاجدة
فاستفاقت تنفّث بأغانٍ ساجية^(٢)
وعلى أجفانها سحر نضير
وأمان

فيك يا طير توجّست أغاريد الحياة

(١) المنتحبة: التي تبكي بكاءً شديداً.

(٢) ساجية: هادئة.

وتسَمَّعتُ لصوتِ ضلٍّ عن قلبي صِداه
فغدا ينشده لكنه خاب وتاه
فتهاوى مُضرمَ الفلَّة مشبوحاً صِداه
لأغاريدِ الحياة الضائعة

ولُغاهما^(١)

إنَّ في صدرك أوتار السماء البساجعة
وبأعماقك أحلام الحياة الرائعة
وبأفاقك فجرًا من حياة راتعة
في رياض الظهرِ في تلك المغاني الخالدة^(٢)
وبأجفانك أضواء عذاب

من ساهما

أنت لحنٌ ساحرٌ قد جُسم الدهرُ صِداه
فغدا يهتف صِداها بأنغام هواء
رامقاً في نضرة الأز هازٍ أطياف مُناها^(٣)
ساكباً من قلبه الطا فح بالوحي لحونه
في فؤاد الورد المستمعة

لِرَخيمة^(٤)

من نشيد القلبِ في ظلَّ الحياة الشاعرة
من دموع الحب من سحر الأمانى الناضرة
من لظى اللوعة في تلك الأغاني الحائرة
في عيون الخُرْد العي بين ضياء ضاحكا
صاغك الدهرُ ملاكاً ساحراً

برنيمة

(١) اللغا واللفو: ما لا يُعتمد به من الحديث.

(٢) المغاني: المنازل.

(٣) أطياف: جمع طيف: الخيال الطائف بالنام.

(٤) الصوت الرخيم: اللين السهل.

أنتَ قلبُ الشاعرِ الدُّ مُترعٌ بالحبِّ النَّمير^(١)
سأه موطنه الضُّد كُ ومأواه الحَقيرُ
قهفا والشوقُ يُدنيه إلى النورِ النَضيرُ
ثم أَمسى بينَ أفنا في الغياضِ العازفةِ
شاعراً ينشطر الوحيُ الجميلُ
من حياته

صوتك المشبوبُ من نارِ الحياةِ الخالدة^(٢)
جائشاً بالنَّغمةِ السَّكرى الطروبِ الشاردةِ
يبعثُ الآمالَ بالنَّفْسِ اليؤوسِ الخامدةِ
مثلها تنبعثُ البسمة من جفنِ الحياةِ
حينما يستيقظ الفجرُ الجميلُ
من سباته

(١) مُترع: ملان. نَمير: عذب.

(٢) مشبوب: متوقِّد.

قافية الفاء

بقايا الخريف^(١)

[من المتقارب]

كَرِهْتُ الْقُصُورَ، وَقُطَّانَهَا وَمَا حَوْلَهَا مِنْ صِرَاعٍ عَنِيفٍ
وَكَيْدِ الضَّعِيفِ لِسُغَى الْقَوِيِّ وَعَضْفِ الْقَوِيِّ بِجَهْدِ الضَّعِيفِ
وَجَاشْتُ بِنَفْسِي دُمُوعَ الْحَيَاةِ وَعَجْتُ بِقَلْبِي رِيَّاحَ الصُّرُوفِ^(٢)
لِقَلْبِ الْفَقِيرِ الْحَطِيمِ الْكَسِيرِ وَدَمَعِ الْأَيَّامِ السَّفِيحِ الذَّرِيفِ^(٣)
وَنُوحِ الْيَتَامَى عَلَى أُمَهَاتٍ تَوَارَيْنَ خَلْفَ ظِلَامِ الْحُتُوفِ^(٤)
فَسَرْتُ إِلَى حَيْثُ تَأْوِي أَغَانِي الـ رَبِيعٍ، وَتَذْوِي أَمَانِي الْخَرِيفِ^(٥)
وَحَيْثُ الْفَضَا شَاعِرٌ، حَالِمٌ يَنَاجِي السُّهُولَ بِوَحْيِ طَرِيفِ
وَقَدْ دَثَّرْتُهُ غَيُومُ الْمَسَاءِ بَظَلٍ، حَزِينٍ، ضَرِيحٍ، شَفِيفِ^(٦)
وَبَيْنَ الْغُصُونِ الَّتِي جَرَّدَتْهَا لِيَالِي الْخَرِيفِ، الْقَوِيُّ الْعُسُوفِ^(٧)
وَقَفْتُ، وَحَوْلِي غَدِيرٌ، مَوَاتٌ تَمَادَتْ بِهِ غَفَوَاتُ الْكُھُوفِ
قَضْتُ فِي حَفَافِيهِ تِلْكَ الزُّهُورُ فَكَفَّنَهَا بِالصَّقِيعِ الْخَرِيفِ
سِوَى زَهْرَةٍ شَقِيبَتْ بِالْحَيَاةِ وَمَلَبَّثُهَا بِالْمَقَامِ الْخَفِيفِ^(٨)
يُرْوَعُهَا فِيهِ قَصْفُ الرُّعُودِ: وَيُحْزِنُهَا فِيهِ نَذْبُ الزَّرْفِيفِ^(٩)

(١) نظمها في ٦ رمضان ١٣٤٦ هـ / ٢٧ فيفري - شباط ١٩٢٨ م.

(٢) جاش: اضطرب وتحرك. عَجَّ: صاح ورفع صوته. الصرُوف: حدّاثان الدهر ونوابه.

(٣) الأيَّام: جمع الأيّم: التي لا زوج لها بكراً أو ثيباً. الدمع الذريف: أي المذروف والسائل.

(٤) الحُتُوف: من الحُتَف: الموت.

(٥) تذوي: يذبل.

(٦) دَثَّرته: غطته. شَفِيف: شفاف. الضَّرِيح: المدمي، أو المصطبغ بالحمرة.

(٧) الْعُسُوف: الظُّلُوم.

(٨) ملَبَّثُهَا: مقامها.

(٩) الزَّرْفِيف: السريع، وزَفَتِ الرِّيح: هَبَّتْ فِي مُضِيِّ، وأراد ذلك.

وَيَنْتَابُهَا فِي الصُّبْحِ السَّدِيمُ
وَتُرْهِبُهَا غَادِيَاتُ الْغَمَامِ
فَتَرْتَوِ لَهَا حَوْلَهَا مِنْ زُهُورٍ
فَتَبْكِي بِكَاءِ الْغَرِيبِ، الْوَحِيدِ
تُبَاكِ بِه لُبُّهَا الْمُسْتَطَارَّ، وَتَرُ
وَتَشْكُو أَسَاها بَيَاضَ النَّهَارِ
وَلَكِنْ لَقَدْ فَقَدْتُ فِي الْوَجُو
فَمَا نَمُ إِلَّا الصُّخُورِ الْقَوَاسِي
فَجَادَتْ بِرُوحٍ شَقِيٍّ شَجِيٍّ
وَمَاتَتْ، وَقَدْ غَادَرَتْهَا بِقَاعٍ
فَبَانَتْ حَيَالُ الْغَدِيرِ الْأَصَمِّ
وَقَدْ خَضِبَتْهَا غَيُومُ الْمَسَاءِ
فَسَلُّهَا: «تَرَى كَيْفَ غَاضَ الْأَرِيحُ؟»
«وَكَيْفَ خَبَتْ بِسَمَاتِ الْحَيَاةِ»
«وَكَيْفَ لَوَتْ جِيدَهَا الْحَادِثَاتُ»
ذَكَرْتُ بِمُضْجِعِهَا الْمَطْمَئِنُّ
مِصَارِعَ آمَالِي الْقَابِرَاتِ
فَقَلْبْتُ طَرْفِي بِمَهْوَى الزُّهُورِ

وَفِي اللَّيْلِ حُلُمٌ، مُرِيْعٌ مُخِيفٌ^(١)
وَتَوَلَّيْتُهَا كُلَّ رِيحٍ غَصُوفٍ^(٢)
وَمَا نَمُ إِلَّا السَّحِيْقُ، الْجَفِيفُ^(٣)
بَشْجُو كَظِيمٍ، وَنُوحٌ ضَعِيفُ^(٤)
ثِي بِهِ مَا طَوَّتُهُ الْحُتُوفُ^(٥)
وَتَنَدَّبُ حَظَّ الْحَيَاةِ السُّخِيفِ
دِرْفِقًا مُصِيخًا، وَقَلْبًا رَؤُوفٍ
وَالَا الصَّدَى الْمُسْتَطَارَّ الْمُتَوَفٍ
لَقَدْ عَذَّبْتَهُ اللَّيَالِي صُنُوفٍ
مِنْ الْأَرْضِ ضَنْكٍ، حَيَاةُ الصَّرُوفِ^(٦)
وَقَدْ أَحْرَسَ الْمَوْتُ ذَاكَ الْحَفِيفِ
كَفَانِيَةً ضَرَجَتْهَا السَّيُوفُ^(٧)
وَكَيْفَ ذَوَى سِخِّ ذَاكَ الرَّفِيفِ؟^(٨)
بِأَجْفَانِهَا، وَعَرَاهَا الْكُصُوفُ؟^(٩)
وَالْمَوْتُ بِذَاكَ الْقَوَامِ اللَّطِيفِ؟^(١٠)
وَمَرَقَدَهَا فِي السَّفِيرِ الْجَفِيفِ^(١١)
وَخَيْبَتَهَا فِي الصَّرَاعِ الْعَنِيفِ
وَصَعَّدَتْهُ فِي الْفَضَاءِ الْأَسِيفِ^(١٢)

(١) السديم: الضباب الرقيق.

(٢) الغاديات من الغمام: غيوم الصباح، الواحدة غادية.

(٣) ترنو: تديم النظر مع سكون الطَّرف. السحيق الجفيف، أي المسحوق الجاف.

(٤) الشجوة: التطريب. الكظيم: المكروب.

(٥) مُسْتَطَار: منتشر. الحتوف: من الحتف: الموت.

(٦) الضنك: الضيق في كل شيء. القاع: الأرض السهلة المطمئنة، الصروف: النواذب.

(٧) خَضِبَتْهَا: صبغتها ولونتها. الغانية: الحسناء التي غنيت بجياله. ضَرَجَتْهَا: أدمتها.

(٨) الأريح: توهج ريح الطيب. غاض: قل ونقص. الرفيف: المتندي من الشجر وغيرها.

(٩) خَبَتْ: هَدأت. عراها: غشيها.

(١٠) الجيد: العنق. الحادِثات: نواذب الزمان.

(١١) السفير: ما تساقط من ورق الشجر. الجفيف: الجاف.

(١٢) الأسيف: الحزين.

وَقُلْتُ: «هُوَ الْكَوْنُ مَهْدُ الْجَمَالِ
وَاطْرَقْتُ، أَصْفَى لِمَنْسِ الْأَسَى
وَعَاضَتْ ثَمَالَهُ نُورِ النَّهَارِ
وَلَكِنْ لِكُلِّ جَمَالٍ خَرِيفٌ!»
وَقَدْ غَشِيَ النَّفْسَ هَمٌّ كَثِيفٌ^(١)
وَأَزْخَى ظِلَامُ الْوُجُودِ السَّجُوفِ^(٢)

(١) أطرق: سكت ولم يتكلم.
(٢) عاضت: قَلَّتْ. الثَمَالَةُ: البقية. السجوف: جمع السُجُوف: السُّتُر.

قافية القاف

الغزال الفاتن^(١)

[من مجزوء الخفيف]

بَذَرَ الحُبَّ بَذَرَهُ فِي فُؤَادِي فَأَوْرَقَا
بِلِحَاطٍ نَوَافِثٍ فَجَنَى حَظِي الشُّقَا
وَسَمَى فِيهِ مُهْرَهُ عَادِيًا، ثُمَّ أَغْنَقَا^(٢)

رُبَّ ظَنَبِي عَلِقْتُهُ بِالْبَهَا قَدْ تَقَرَّطَقَا^(٣)
ثُمَّ مِنْ وَضْلِهِ الْجَمِيدِ يَلِ غَدَا الْقَلْبُ مُمْلِقَا
سَحَرَ اللَّبَّ طَرْفُهُ مَا دَهَا الرِّيقُ لَوَرْقِي^(٤)
أَوْصَبَ الصَّبُّ صَدُّهُ وَالشُّقَا لَوْ تَرَفَّقَا^(٥)
صَارَ مُلْقَى بِحُبِّهِ مُوْتَقَا لَيْسَ مُطْلَقَا
صَارَ ذَا جَنَّةٍ بِهِ ذَا عَذَابٍ، مُؤَزَّقَا^(٦)
يَرْقُبُ الْبَذَرَ جَفْنُهُ لِيُنَاجِيَهُ مَا لَقَى
هَامَ فِي الْعَيْنِ غَرْبُهُ وَهَمَى ثُمَّ أَغْدَقَا^(٧)
وَهَمَى صَوْبُ هَمِّهِ فَاسْتَقَى مِنْهُ مَا اسْتَقَى^(٨)

(١) نظمها في ٧ رجب ١٣٤١ هـ / ٢٣ فيفري - شباط ١٩٢٣ م.

(٢) الإغناق: ضرب من سير الإبل والدواب مستبطر.

(٣) تفرطق: لبس القُرطق: ضرب من اللباس، معرب: كثرته الفارسية.

(٤) اللب: القلب، والعقل.

(٥) الصب: المشتاق.

(٦) الجنة: المس من الجنون.

(٧) الغرب: الفيضة من الدمع، أو الدمع: همى: سال. أغدق المطر: كثر.

(٨) الصوب: المطر، ويريد الدمع.

وَدَمٍ صَارَ مُهْرَقًا ^(١)	كَمْ قُلُوبٍ تَفْطَرَتْ
مِثْلَ غَيْمٍ تَذْفَقًا	وَدُمُوعٍ تَسْلَسِلَتْ
سُ رُضَابٌ مُرَوِّقًا ^(٢)	دُونَ أَنْ تَبْلَعَ النُّفُورَ
مُهَجِ الْخَلْقِ شَقُّوقًا؟ ^(٣)	وَشَقِيقِي بِخَدِّهِ
وَدُمُوعِي تَنْسَقًا	ثَغْرَهُ مِنْ عُقُودِهِ
وَنَحُولِي تَمْنَطَقًا ^(٤)	خَضْرَهُ مِنْ نَحَافَتِي
وَدِمَائِي تَخْلُقًا ^(٥)	مَرَشَفَاهُ بِخَدِّهِ
كَيْدِي قَدْ تَحْرَقًا ^(٦)	مِنْ لَظَى جَمْرِ خَدِّهِ
غُضُنُ بَائٍ عَلَى نَقَا ^(٧)	قَدُّهُ فَرَّقَ رَدْفِهِ
بَرْقُ غَيْمٍ تَأَلَّقًا ^(٨)	جِيدُهُ تَحْتَ فَرْعِهِ
نَسَبُ صَارَ مُعْرِقًا ^(٩)	نَسَبِي فِي غَرَامِهِ

الحب^(١٠)

[من البسيط]

مِنَ السَّمَاءِ، فَكَانَتْ سَاطِعَ الْفَلَقِ ^(١١)	الْحُبُّ شُعْلَةٌ نُورٍ سَاحِرٍ، هَبَطَتْ
وَعَنَ وَجْوهَ اللَّيَالِي بُرْقُعَ الْغَسَقِ ^(١٢)	وَمَزَقَتْ عَن جَفُونِ الدُّهْرِ أَغْشِيَةَ
أَيَّامُهُ بِضِيَاءِ الْفَجْرِ وَالشُّفَقِ	الْحُبُّ رُوحٌ إلهِيٌّ، مَجْنَحَةٌ

(١) مُهْرَقٌ: أي مصبوب.

(٢) الرضاب: الريق.

(٣) المهج: جمع المهجة: الروح، أو دم القلب، أو الدم.

(٤) تمنطق: شد وسطه بمنطقة.

(٥) المرشف: حيث يمض الماء.

(٦) اللظى: النار أو لهبها.

(٧) الردف، أي: المؤرخة. النقا: القطعة من الرمل محدودة.

(٨) الفرع: أعلى الشيء، والشعر التام.

(٩) قوله: صار معرقاً، يعني صار قديماً.

(١٠) نظمها في ٢٩ صفر ١٣٤٦ هـ / ٢٨ أوت - أغسطس - آب ١٩٢٧ م.

(١١) الفلق: الصبح.

(١٢) البرقع: القناع. الغسق: ظلمة أول الليل.

نَجْمًا، جَمِيلًا، ضَحُوكًا، جِدُّ مُؤْتَلِقٍ
وَلَا تَأَلَّفَ فِي الدُّنْيَا بَنُو أَفْقٍ
خَاصَّ الْجَحِيمِ، وَلَمْ يُشْفِقْ مِنَ الْحَرَقِ (١)
خَوْفِي إِذَا ضَمَنِي قَبْرٌ؟ وَمَا فَرَقِي (٢)

يَطُوفُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَيَجْعَلُهَا
لَوْلَاهُ مَا سُمِعَتْ فِي الْكَوْنِ أَغْنِيَّةُ
الْحُبِّ جَذُولُ خَيْرٍ، مَنْ تَذَوَّقَهُ
الْحُبُّ غَايَةَ آمَالِ الْحَيَاةِ، فَمَا

(١) أَشْفَقَ: خَافَ.

(٢) الْفَرَقَ: الْخَوْفَ.

قافية الكاف

الحاني السُّكْرَى^(١)

[من الخفيف]

قَدْ سَكِرْنَا بِحُبِّنَا وَاكْتَفَيْنَا يَا مُدِيرَ الْكُؤُوسِ فَاصْرِفْ كُؤُوسَكَ^(٢)
وَاسْكِبِ الْخَمْرَ لِلْعَصَافِيرِ وَالنُّحُلِ وَخَلِّ الثَّرَى يَضُمُّ عَرُوسَكَ^(٣)

مَا لَنَا وَالْكُؤُوسِ، نَطْلُبُ مِنْهَا نَشْوَةَ وَالْفَرَامِ سِحْرُ وَمُكْرًا
خَلَّنَا مِنْكَ، فَالرَّبِيعُ لَنَا سَاقٍ وَهَذَا الْفَضَاءُ كَأْسٌ وَخَمْرًا

نَحْنُ نَحْيَا كَالطَّيْرِ، فِي الْأَفْقِ السَّاجِي وَكَالنُّحْلِ، فَوْقَ غَضِّ الزُّهُورِ^(٤)
لَا تَرَى غَيْرَ فِتْنَةِ الْعَالَمِ الْحَيِّ وَأَحْلَامِ قَلْبِهَا الْمَسْحُورِ...
نَحْنُ نَلْهُو نَحْتِ الظَّلَالِ، كَطِفْلَيْنِ سَعِيدَيْنِ، فِي غُرُورِ الطُّفُولَةِ
وَعَلَى الصُّخْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْوَادِي وَبَيْنَ الْمَخَافِ الْمَجْهُولَةِ

نَحْنُ نَغْدُو بَيْنَ الْمَرْجِ وَتُغْمِي وَنُغْنِي مَعَ النُّسِيمِ الْمَغْنِي
وَتُنَاجِي رُوحَ الطَّبِيعَةِ فِي الْكَوْنِ وَنُصْغِي لِقَلْبِهَا الْمَتَغْنِي

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ / ١٥ سبتمبر - أيلول ١٩٣٣ م.

(٢) المدير، يعني: الساقى يقدم الخمرة.

(٣) الثرى: التراب الندي.

(٤) الساجي: الساكن.

نحنُ مثلُ الربيعِ : نمتشي على أرضٍ فوقها يرقصُ الغرامُ، ويلهو
من الزهرِ، والرّوى، والخيالِ
ويغني في نشوةٍ ودلالِ

نحن نحيا في جنةٍ من جنّاتِ السّحرِ
نحن في عُشنا المورّدِ، نتلو
في عالمٍ بعيدٍ...، بعيدٍ...
سُورَ الحبِّ للشبابِ السّعيدِ

قد تركنا الوجودَ للنّاسِ،
ودهبنا بلبّه، وهو رُوحُ
فلنقضوا الحياةَ كيف أرادوا
وتركنا القشورَ، وهلي جمادُ

قد سكرنا بحبنا، واكتفينا
نحن نحيا فلا نريدُ مزيداً
طَفَحَ الكأسُ، فاذهبوا يا سقاءُ
حسبنا ما منحنا يا حياةُ
حسبنا زهرنا الذي نتشّى
حسبنا كأسنا التي نترشّف^(١)
إن في ثغرنا رحيقاً سماوياً
وفي قلبنا ربيعاً مفوّف^(٢)

أيها الدُّهرُ، أيها الزّمنُ الجاري
أيها الكونُ! أيها القدرُ الأعمى!
إلى غيرِ وجهةٍ وقرارٍ! ^(٣)
قفوا حيثُ أنتم! أو فسيروا! ^(٤)
والحبُّ، والوجودُ، الكبيرُ
ودعونا هنا: تُغني لنا الأحلامُ

وإذا ما أبينتم، فاجملونا
وزهورُ الحياةِ، تعبقُ بالعطرِ
ولهيبُ الغرامِ في شفتينا
وبالسّحرِ، والصّبا في يدينا

(١) نترشّف: نمتص. نتشّى: نشم رائحته.

(٢) الرحيق: الخمرة. مفوّف: من الفوف وهي ضرب من برود اليمن. وثوب مفوّف، أي رقيق، والربيع المفوّف يعني الملون.

(٣) القرار: الثبوت، والاقامة في مكان.

(٤) وصف القدر بأنه أعمى يدل على استخفاف مرفوض بالقضاء والقدر.

الأشواق التائهة^(١)

[من الخفيف]

يا صَمِيمَ الحَيَاةِ! إِنِّي وَجِيدٌ
يا صَمِيمَ الحَيَاةِ! إِنِّي فَوَادٌ
يا صَمِيمَ الحَيَاةِ! قَدْ وَجَمَ النَّائِي
يا صَمِيمَ الحَيَاةِ! أَيْنَ أَغَانِيكَ!
مُذَلِّجٌ، تَائِهَةٌ، فَأَيْنَ شُرُوقُكَ؟^(٢)
ضَائِعٌ، ظَامِيٌّ، فَأَيْنَ رَجِيقُكَ؟^(٣)
وِغَامُ الْفَضَا فَأَيْنَ بُرُوقُكَ؟
فَتَحَّتِ النُّجُومُ يُضْفِي مَشُوقُكَ

كُنْتُ فِي فَجْرِكَ، الْمَوْشِحِ بِالْأَلَا
حَالاً، يَنْهَلُ الضُّيَاءَ، وَيُضْفِي
ثُمَّ جَاءَ الدُّجَى...، فَامْسَيْتُ أَوْرَاقاً، بِذَاداً، مِنْ ذَابِلَاتِ الْوَرُودِ^(٤)
وَضَبَاباً مِنَ السَّيْءِ، يَتَلَاثِي
كُنْتُ فِي فَجْرِكَ الْمَغْلُفِ بِالسُّحْرِ،
وَسَحَاباً مِنَ الرُّؤْيَى، يَتَهَادَى
وَضِيَاءً، يَغَايِقُ الْعَالَمَ الرَّحْبَ
وَانْقَضَى الْفَجْرُ...، فَاِنْحَدَرْتُ مِنْ
حَلَامٍ، عِطْرًا، يَرِفُ فَوْقَ وَرُودِكَ
لَكَ، فِي نَشْوَةٍ بِوَحْيِ نَشِيدِكَ
بَيْنَ هَوْلِ الدُّجَى وَصَمْتِ الْوُجُودِ
فَضَاءً مِنَ النَّشِيدِ الْهَادِي
فِي ضَمِيرِ الْأَزَالِ وَالْأَبَادِ^(٥)
وَيَسْرِي فِي كُلِّ خَافٍ وَبَادٍ^(٦)
الْأَفَقَ تَرَاباً إِلَى صَمِيمِ الْوَادِي

يا صَمِيمَ الحَيَاةِ! كَمْ أَنَا فِي الدُّ
بَيْنَ قَوْمٍ، لَا يَفْهَمُونَ أَنَاشِي
فِي وَجُودٍ مَكْبُورٍ بِقِيُودٍ
فَاِحْتَضَنِي، وَضَمَّنِي لَكَ - كَالْمَا
نِيَا غَرِيبٌ أَشْقَى بِغُرْبَةِ نَفْسِي
بَدَ فَوَادِي، وَلَا مَعَانِي بِؤْسِي
تَائِهٌ فِي ظَلَامٍ شَكٍّ وَنَحْسٍ
ضِي - فَهَذَا الْوُجُودُ عِلَّةٌ يَأْسِي

- (١) نظمها في ٥ شعبان ١٣٤٩ هـ / ٢٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٠ م.
- (٢) صميم الحياة، يعني وسطها، وصميم الشيء: خالصة. المذللج: الذي يسير من أول الليل.
- (٣) الرحيق: الحمرة.
- (٤) الدجى: الظلام. بداد: متفرقة.
- (٥) يتهادى: يتمايل. الأزال: جمع الأزل. القدام: جمع الأبد: الدهر، والقديم، والدائم.
- (٦) يسري: يسير ليلاً. الخافي والبادي: يعني المستتر والظاهر.

لم أجد في الوجود إلا شقاء
وأماناً، يُغرقُ الدَّمْعُ أحلاها
وأناشيد، يأكُلُ اللَّهَبُ الدَّامي
ووروداً، تموت في قبضة الأشد
سأم هذه الحياة معاد
ليتنى لم أفد إلى هذه الدنيا،
ليتنى لم يعانق الفجر أحلامي،
ليتنى لم أزل - كما كنت - ضوءاً
سرمدياً، ولذة، مُضمَّجِلَةٌ^(١)
وُفني يَمُ الزَّمانُ صداها
مَراتها، وُبقِي أساها
حوالك ما هذه الحياة المملَّة؟!
وصباح، يكرُّ في إثر ليل
ولم تَسبح الكواكب حولي!^(٢)
ولم يَلثم الضياء جفوني!
شائعاً في الوجود، غير سجين!

(١) السرمدى، الدائم والطويل من الليالى. مضمحل: المتقلل. والضحل: الماء القليل على الأرض.

(٢) لم أفد: لم أت.

قافية الّلام

قلب الأم^(١)

[من الكامل]

يا أيها الطُّفْلُ الَّذِي	قَدْ كَانَ كَاللُّحْنِ الْجَمِيلِ
وَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ، نَعْدُ	بُتًى فِي غِيَابَاتِ الْأَصِيلِ ^(٢)
يا أيها الطُّفْلُ الَّذِي	قَدْ كَانَ فِي هَذَا الْوُجُودِ
فَرِحًا، يُنَاجِي فَتْنَةَ الدِّ	لُنْيَا بِمَعْسُولِ النَّشِيدِ
هَا أَنْتَ ذَا قَدْ أَطْبَقْتَ	جَفْنَيْكَ أَخْلَامَ الْمُنُونِ
وَقَطَّائِرْتَ زُمُرُ الْمَلَا	ئِكَ حَوْلَ مَضْجَعِكَ الْأَمِينِ
وَمَضَتْ بِرُوحِكَ لِلْسَمِ	ءِ عَرَائِشُ الثُّورِ الْحَبِيبِ
يَحْمِلُنْ نِيجَانًا، مُدَّةً	بَةً، مِنْ الزُّهْرِ الْغَرِيبِ
هَا أَنْتَ ذَا قَدْ جَلَلْتَ	كَ سَكِينَةَ الْأَبَدِ الْكَبِيرِ
وَبَكَّنْتَ هَاتِيكَ الْقُلُوبَ	بُ، وَضَمَّكَ الْقَبْرِ الصَّغِيرِ
وَتَفَرَّقَ النَّاسُ الَّذِي	نَ إِلَى الْمَقَابِرِ شَيْعُوكُ
وَنَسُوكُ مِنْ دُنْيَاهُمْ،	حَتَّى كَانَ لَمْ يَعْرِفُوكُ
شَفَلَتْهُمْ عَنْكَ الْحَيَاةُ،	وَحَرَّبُ هَذِي الْكَائِنَاتِ
إِنَّ الْحَيَاةَ - وَقَدْ قَضَى	يَتَ قُبَيْلَ مَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ -
بَحْرًا، قَرَارَتُهُ الرَّدَى	وَنَشِيدُ لِحْتِهِ، شَكَاةُ ^(٣)
وَعَلَى شَوَاطِئِهِ الْقُلُوبَ	بُ تَتَنُّ، دَامِيَةً عُرَاةً
بَحْرًا، تَجِيْشُ بِهِ الْعَوَا	صَفُ فِي الْعَيْشِيَّةِ وَالْغَدَاةِ

(١) نظمها في ٥ شعبان ١٣٥٠ هـ / ١٦ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣١ م.

(٢) الغيبة: ما سترك. الأصيل: وقت ما قبل الغروب.

(٣) الردى: الهلاك. اللجة: معظم الماء. الشكاة: المرض.

وَتُظَلَّةُ سَحْبُ الظَّلَامِ
 نَسِيْتِكَ أَمْوَاجُ الْبُحَيِّ
 وَالْبُلْبُلُ الشَّادِي، وَهَاتِي
 وَجَدَاوِلُ الْوَادِي النَّضِي
 وَمَسَالِكُ الْجَبَلِ الصَّغِي
 حَتَّى الرَّفَاقِ...، فَلِئْتَمَ
 فِي حَيْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ:
 لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا بِأَنَّهُ
 حَمَلَتْكَ غِيْلَانُ الظَّلَامِ
 فَنَسُوكَ مِثْلَ النَّاسِ...،
 بَيْنَ الْخَمَائِلِ وَالْجَدَا
 وَنَسُوا وَدَاعَةَ وَجْهِكَ الـ
 وَنَسُوا تَغْنِيكَ الْجَمِي
 وَمَضُوا إِلَى الْمَرْجِ الْبَهِيمِ
 وَيُزْحَزِحُونَ صُخُورَهُ
 وَيَشْيِدُونَ مِنَ الرَّمَالِ
 غُرَفًا، وَأَكْوَاخًا تُكَلِّ
 وَيَنْضُدُونَ مِنَ الرَّيِّ
 طَاقَاتٍ وَرِدِّ، أَبَدٍ
 يُلْقَوْنَهَا فِي النَّهْرِ قُر

فَلَا سَكُونٌ وَلَا إِيَاسٌ^(١)
 رَّةً، وَالنُّجُومُ اللَّامِعَةُ
 لَكَ الْمَرْوُجُ الشَّابِعَةُ
 بِرَقِصَتِهَا وَخَرِيرِهَا^(٢)
 بِرَقِصَتِهَا وَزُهْرِهَا
 لَبِثُوا مَدًى يَتَسَاءَلُونَ
 «أَيْنَ اخْتَفَى هَذَا الْأَمِينُ؟»^(٣)
 لَكَ فِي اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ^(٤)
 إِلَى الْجِبَالِ النَّائِيَةِ^(٥)
 وَانصَرَفُوا إِلَى اللَّهِوِ الْجَمِيلِ
 وَلِ، وَالرَّوَابِي، وَالسُّهُولِ^(٦)
 هَادِي، وَمَنْظَرِكَ الْوَسِيمِ
 لَمْ يَصَوْتِكَ الْحَلْوِ، الرَّخِيمِ^(٧)
 حَجَّ، يَطَارِدُونَ طَيُورَهُ
 وَيَعَابِثُونَ زُهْرَهُ
 الْبَيْضِ، وَالْحَصْبِ النَّضِيرِ^(٨)
 لَهَا الْخَشَائِشُ وَالزُّهُورُ
 بَيْنَ التَّضَاحِكِ وَالْحُبُورِ^(٩)
 تُزْرِي بِأَوْرَادِ الْقُصُورِ^(١٠)
 بَانًا لِأَلْهَةِ السُّرُورِ

(١) إِيَاسٌ: إقامة.

(٢) النَّضِيرُ: شديدة الخضرة.

(٣) مَشْبُوبَةٌ: متوقفة.

(٤) الدَّاجِيَةُ: المظلمة.

(٥) الْغِيْلَانُ: جمع الغول: الهلكة، والداهية، والسَّعْلَةُ.

(٦) الْخَمَائِلُ: جمع الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. الرَّوَابِي: المرتفع من الأرض.

(٧) الصَّوْتُ الرَّخِيمُ: اللين السهل.

(٨) الْحَصْبُ: الحجارة، واحدها حَصْبَةٌ.

(٩) يَنْضُدُونَ: يضمون الأشياء بعضها إلى بعض. الْحُبُورُ: السرور.

(١٠) تُزْرِي، أي تحترق. أَبَدٌ: قديم، أو دائم. أَوْرَادُ: ورد.

فَتَسِيرُ فِي السِّيَارِ، رَا
 كُلُّ نَسُوكَ، وَلَمْ يَعُودُوا
 وَالذَّهْرُ يَذْفُنْ فِي ظِلَامٍ
 إِلَّا فَوَادًا، ظِلٌّ يَخْفُقُ فِي
 وَيُودُ لَوْ بَذَلَ الْحَيَا
 فَلِذَا رَأَى طِفْلًا بَكَكَ
 يُصْغِي لَصَوْتِكَ فِي الْوَجْهِ
 يُصْغِي لِنَغْمَتِكَ الْجَمِيدِ
 فِي رَنَةِ الزَّمَارِ فِي
 فِي ضَجَّةِ الْبَحْرِ الْمَجْلَلِ
 فِي لَجَّةِ الْغَابَاتِ، فِي
 فِي نُغْيَةِ الْحَمَلِ الْوَدِيعِ
 بَيْنَ الْمَرْجِ الْخَضِرِ وَالسَّ
 فِي آهَةِ الشَّاكِي، وَضَوْ
 فِي شَهْقَةِ الْبَاكِي يَوْجُ
 فِي كُلِّ أَصَوَاتِ الْوُجُرِ
 وَرَخِيمِهَا، وَعَنِيْفِهَا
 وَيَرَاكَ فِي صُورِ الطَّبِيعِ
 وَحَزِينِهَا وَبَهِيْجِهَا
 فِي رَقَّةِ الْفَجْرِ الْوَدِيعِ
 فِي فِتْنَةِ الشُّفْقِ الْبَدِيعِ
 فِي رَقْصِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ
 فِي سِخْرِ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ

قِصَّةٌ عَلَى نَغَمِ الْخَرِيرِ
 يَذْكُرُونَكَ فِي الْحَيَاةِ
 الْمَوْتِ حَتَّى الذُّكْرِيَّاتِ
 الْوُجُودِ إِلَى لِقَاكَ
 إِلَى الْمَنِيَّةِ، وَافْتِدَاكَ
 وَإِنْ رَأَى شَبَحًا دَعَاكَ
 حُودَ، وَلَا يَرَى إِلَّا بِهَاكَ
 لَمْلَمَةً فِي خَرِيرِ السَّاقِيَّةِ
 لَغْوِ الطُّيُورِ الشَّادِيَةِ^(١)
 فِي هَدِيرِ الْعَاصِفَةِ^(٢)
 صَوْتِ الرُّعُودِ الْقَاصِفَةِ^(٣)
 وَفِي أَنْشِيدِ الرُّعَاةِ^(٤)
 فَحْجِ الْمَجْلَلِ بِالنَّبَاتِ
 ضَاءِ الْجَمُوحِ الصَّاحِبِ
 جُهَا نُوَاحِ النَّادِيَةِ
 دِ: طَرُوبِهَا وَكَثِيبِهَا
 وَبَغِيضِهَا، وَحَبِيبِهَا^(٥)
 حَمَّة: حُلُوبِهَا، وَذَمِيمِهَا
 وَحَقِيرِهَا وَعَظِيمِهَا
 وَفِي اللَّيَالِي الْحَالَةِ
 وَفِي النُّجُومِ الْبَاسِمَةِ
 رة، تَحْتَ أَضْوَاءِ النُّجُومِ
 وَفِي تَهَاوِيلِ الْغُيُومِ^(٦)

(١) الزمار: آلهة موسيقية. اللغو: الكلام، أو ما لا يُعتد به من الحديث.

(٢) المجلجل: المدوي.

(٣) اللجة، هنا بمعنى الكثرة.

(٤) النغية: أول الخبر قبل أن تستثبته. ونغى: تكلم بكلام يُفهم، وأراد هنا صوت الحمل.

(٥) الصوت الرخيم: السهل اللين.

(٦) التهاويل: الألوان المختلفة.

فِي لَمَعَةِ الْبَرْقِ الْخَفُوقِ فِي هَوِيٍّ الصَّاعِقَةِ^(١)
 فِي ذُلَّةِ الْوَادِي، كَبُرَ الْجِبَالِ الشَّامِقَةِ
 فِي مَشْهَدِ الْغَابِ الْكَثِيبِ فِي الْوُرُودِ الْعَاوِيَةِ^(٢)
 فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْحَزِينِ، فِي الْكُهُوفِ الْعَارِيَةِ
 اعْرِفْتَ هَذَا الْقَلْبَ فِي ظِلْمَاءِ هَاتِيكَ اللَّحُودِ؟^(٣)
 هُوَ قَلْبٌ أُمُكْ، أُمُكْ السُّكْرَى بِأَحْزَانِ الْوُجُودِ
 هُوَ ذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي سَيَعِيشُ كَالشَّادِي الضَّرِيرِ
 يَشْدُو بِشُكْوَى حَزْنِهِ الدَّاءِ جِي إِلَى النَّفْسِ الْآخِرِ^(٤)
 لَا رَبَّةَ النَّسِيَانِ تَرْحِمُ حُزْنُهُ وَتَرَى شَقَاءَهُ
 كَلَا فِي أَنْامِلِهَا أَسَاءَهُ^(٥)
 وَلَا الْأَيَّامُ تُبْلِي لَذَارُ إِكْلِيلِ الْجَنُونِ^(٦)
 إِلَّا إِذَا ضَفَرَتْ لَهُ الْأَقْدُ تَلَهُو بِمَرَأَةِ السُّنُونِ
 وَغَدَا شَقِيًّا ضَاحِكًا مَهْمَا تَقَلَّبْتَ الْحَيَاةَ
 هُوَ ذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي فِي شِعَابِ الْكَائِنَاتِ^(٧)
 وَتَدْفَعُ الزَّمْنَ الْمَذْمُومَ دَ بَلْبُلُ الْغَابِ الْجَمِيلِ
 وَتَغْنَبُ الدُّنْيَا، وَغَرَّ تِكَ: لَا يَمَلُّ، وَلَا يَمِيلُ
 سَيَظُلُّ يَعْبُدُ ذَكْرِيَا بَيْتَهَا الْمَسْرَّةَ، وَالشُّبَابَ
 كَالْأَرْضِ: تَمُشِي فَوْقَ ثَرِّ وَالْعَوَاصِفِ
 وَاللَّيْلِ، وَالْفَجَرُ الْمَجْنَحُ طِنَهُ الشُّقَائِقُ، وَالْوُرُودُ
 وَالْحُبُّ تَنْبَتُ فِي مَوَا يَخْطُو - الْمَقَابِرُ وَاللَّحُودُ
 وَالْمَوْتُ تُحْفَرُ - أَيْنَمَا

(١) الهوي: السقوط من علٍ إلى سفلى. الصاعقة: العذاب، والصاعقة: الهلاك، والموت، ونار تسقط من السماء.

(٢) ورود: جمع ورد، وهي بمعنى أسد، مهنا.

(٣) لحود: جمع لحد: قبر.

(٤) الداجي: المظلم.

(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع والواحدة: الأظفلة. الأسى: الحزن. تبلي: تدرس.

(٦) ضفر الحبل: فتله. وضفر الشعر: نسج بعضه على بعض عريضاً.

(٧) المذموم: الغاضب. الشعاب: جمع الشعبة: الطائفة من الشيء.

وتمر بين فجاجها	اللذات، حالة، تميد ^(١)
سكرى، وأشواق الورى	ترنو إلى الأفق البعيد... ^(٢)
وتَظَلُّ تَرْقُصُ للآسى	للّهو، أشباح الدُمُوز
حتى يُوَارِيهَا ضَبَا	بُ الموت في وادي الدُثُور ^(٣)
وتَظَلُّ تُورِقُ، ثم تَزْهَرُ	ثم يَنْشُرُهَا الصُّبَاخ
للموت، للشوك المزق	للجداول، للرياح
بَسَمَاتُ نُفَرٍ، حالم	يفتر في سَهو السُرُوز
وورود روض، باسم	يُصْفِي لألحان الطيُوز
وتَظَلُّ تخفُّ، ثم تشدو	ثم يطويها التراب
قُبَلٍ، وأطيَّار، تُفرد	للحياة وللشباب
وتَظَلُّ تمثي في جوار	الموت أفرح الحياة!...
ويفرد الشحرور ما به	نَ الجمَّاجم والرُّفات ^(٤)
والأرض حالة:، تفني	بين أسراب النجوم
أنشودة الماضي البعيد	وسورة الأزل القديم...

أراك^(٥)

[من المتقارب]

أراك، فَتَحَلُّو لَدَيَّ الحياة	وعلاً. نفسي صَبَّاح الأمل
وتنمو بصدري وورود، عذاب	وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة	وذاك الشباب، الوديع، الثمل ^(٦)
ويفتنني سحر تلك الشفاء	ترفرف من حولن القبل
فاعبدُ فيك جمال السماء،	ورقة وزد الربيع، الخضل ^(٧)

(١) الفجاج: جمع الفج: الطريق الواسع بين جبلين. تميد: تضطرب.

(٢) ترنو: من الرنو. لإدانة النظر بسكون الطرف، وهو مع شغل قلب، وإعجاب.

(٣) يوارى: يخفي ويستر. الدثور: الأحماء.

(٤) الرُّفات: الحطام.

(٥) الأزل: القدم.

نظمها في ١١ جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ / ٢٤ أكتوبر - تشرين أول ١٩٣١ م.

(٦) الثمل: السكران.

(٧) الخضل: الندي.

وَطَهَرَ الثَّلُوجَ، وَسَحَرَ المَرُوجَ مُوشِحَةً بِشَعَاعِ الطُّفْلِ^(١)

* * *

أراكِ، فأخْلُقُ خَلْقاً جديداً كَأَنِّي لَمْ أَبْلُ حَرْبَ الوجُودِ^(٢)
ولم أحتَمِلْ فيه عِبْثاً، ثَقِيلاً من الذُّكْرِيَّاتِ الَّتِي لَا تَبِيدُ^(٣)
وأضغاثَ أَيَّامِي، الغَابِرَاتِ وفيها الشَّقِيُّ، وفيها السَّعِيدُ^(٤)
ويَغْمُرُ رُوحِي ضِيَاءٌ، رَفِيقُ تُكَلِّلهُ رَائِعَاتُ الِوَرُودِ
وتُسْتَمِعُنِي هَاتِهِ الكَائِنَاتُ رَفِيقَ الأَغَانِي، وَحُلُو النِّشِيدِ
وتَرْقُصُ حَوْلِي أَمَانٌ، طِرَابُ وَأَفْرَاحُ عُمُرٍ خَلِيٍّ، سَعِيدِ

* * *

أراكِ، فتخَفُّقُ أعصابِ قلبي وتهتزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الوَتْرِ
ويَجْرِي عليها الهَوَى، في حُنُورِ أنَامِلٍ، لُذْنًا، كَرَطَبِ الزَّهْرِ^(٥)
فتخطو أناشيدَ قلبي، سَكْرَى تَغْرُدُ، تَحْتَ ظِلَالِ القَمَرِ
وعَلَانِي نَشْوَةٍ، لَا تُحْدُ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ فَوْقَ البَشَرِ
أودُ بروحي عِنَاقَ الوجودِ بما فيه من أنْفُسٍ، أو شَجَرِ
وليلٍ يَفْرُ، وفَجَرٍ يَكُرُّ وَغَيْمٍ، يَوْثِي رِداءَ السَّحَرِ

زوبعة في ظلام^(٦)

[من السَّريع]

لو كَانَتِ الأَيَّامُ في قبْضِي أَذْرَتْهَا لِلرَّيْحِ، مِثْلَ الرَّمَالِ
وقلتُ: «يَا رِيحُ، بها فاذْهَبِي وبَدِّدِيها في سَحيقِ الجَبَالِ^(٧)

(١) طفل العثي: آخره عند الغروب.

(٢) لم أبُل: لم أختبر.

(٣) لا تبید: لا تذهب، لا تنقطع.

(٤) ضغث الحديث: خلطه.

(٥) الأنامل: رؤوس الأصابع. اللذن: اللين.

(٦) نظمها في ٧ رمضان ١٣٥٢ هـ / ٢٤ ديسمبر. كانون الأول ١٩٣٣ م.

(٧) بدد: فرق.

«بل في فجاج الموت.. في عالم لا يرقص النور به والظلال..

لو كان هذا الكون في قبضي
ما هذه الدنيا، وهذا الوري
النار أولى بعبيد الأسي،
يا أيها الماضي الذي قد قضى
يا حاضر الناس الذي لم يزل!
سخافة دنياكم هذه
ألقىته في النار، نار الجحيم
وذلك الأفق، وتلك النجوم؟
ومسرح الموت، وعش الهموم
وضمه الموت، وليل الأبد
يا أيها الآتي الذي لم يلد
تائهة في ظلمة لا تحذ..

غرفة من يسم^(١)

[من البسيط]

ضعف العزيمة لحذ، في سكينته
وفي العزيمة قوأت، مسخرة
والناس شخصان: ذا يسعى به قدم
هذا إلى الموت، والأجدات ساخرة،
ما كل فعل يحل الناس فاعله
ففي التماجد تمويه، وشغوة،
ما المجذ إلا ابتسامات يفيض بها
وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
فما الحروب سوى وخيشة، نهضت
وأيقظت في قلوب الناس عاصفة
تقضي الحياة، بناء اليأس والوجل^(٢)
تخردون مدامها الشامخ الجبل
من القنوط، وذا يسعى به الأمل^(٣)
وذا إلى المجذ، والدنيا له حوّل^(٤)
تجدد، فإن الوري في رأيهم خطل^(٥)
وفي الحقيقة ما لا يذكرك الدجل^(٦)
فم الزمان، إذا ما انسدت الحيل
فحسد اليوم أمسا، ضمه الأزل^(٧)
في أنفس الناس، فانقادت لها الدول
غام الوجود لها، وازيدت السبل^(٨)

(١) نظمها في ١٣ رمضان ١٣٤٤ هـ/ ٢٧ مارس - آذار ١٩٢٦ م.

(٢) الوجل: الخوف.

(٣) القنوط: اليأس.

(٤) الأجدات: جمع الحدث: القبر. الحوّل: ما أعطاك الله تعالى من النعم والعييد والإماء.

(٥) الوري: الخلق. الخطل: فساد الرأي.

(٦) التمويه، أي: التضليل. الدجل: الكاذب.

(٧) الأزل: القدم.

(٨) ارتد: صار لونه إلى الغبرة.

فَالْدُّهُرُ مُتَّعِلٌ بِالنَّارِ، مُلْتَحِفٌ
وَالْأَرْضُ دَامِيَةٌ، بِالْإِثْمِ طَامِيَةٌ،
وَالْمَوْتُ كَالْأَرْدِ الْجُبَّارِ، مُنْتَصِبٌ
وَفِي الْمَهَامِهِ أَشْلَاءٌ، مُمَزَّقَةٌ

بِالْهَوْلِ، وَالْوَيْلِ، وَالْأَيَّامُ تَشْتَعِلُ
وَمَارِدُ الشَّرِّ فِي أَرْجَائِهَا ثِمِرٌ^(١)
فِي الْأَرْضِ، يَخْطَفُ مَنْ قَدْ خَانَهُ الْأَجَلُ
تَتَلَوُ عَلَى الْقَفْرِ شِعْرًا، لَيْسَ يَتَحَلُّ^(٢)

ذكرى صباح^(٣)

[من الخفيف]

قَدَسَ اللَّهُ ذِكْرَهُ مِنْ صَبَاحٍ
كَانَ فِيهِ النَّسِيمُ، يَرْقُصُ سَكْرَانًا
وَضَبَابُ الْجِبَالِ، يَنْسَابُ فِي رَفَقِ
وَأَغَانِي الرُّعَاةِ، تَحْفَقُ فِي الْأَغْوَارِ
وَرِحَابُ الْفَضَاءِ، تَعْبُقُ بِاللَّحْنِ
وَالْمَلَائِكُ الْجَمِيلُ، مَا بَيْنَ رِيحَانِ
يَتَغَنَّى مَعَ الْعَصَافِيرِ، فِي الْغَابِ
وَشَعُورُ الْمَلَائِكِ تَرْقُصُ بِالْأَزْهَارِ
حُلُمٌ سَاحِرٌ، بِهِ حَلُمُ الْغَابِ
مِثْلُ رُؤْيَا تَلُوحُ لِلشَّاعِرِ الْفَنَّانِ
قَدْ تَمَلَّيْتُ سِحْرَهُ فِي أَنَاةٍ
ثُمَّ نَادَيْتُ، حِينَهَا طَفَحَ السُّحْرُ

سَاحِرٍ، فِي ظِلَالِ غَابِ جَمِيلٍ
عَلَى الْوَرْدِ، وَالنَّبَاتِ الْبَلِيلِ^(٤)
بَدِيعٍ، عَلَى مُرُوجِ الشُّهُولِ
وَالسَّهْلِ، وَالرُّبَى، وَالتُّلُولِ^(٥)
وَالْعِطْرِ، وَالضُّيَاءِ الْجَمِيلِ^(٦)
وَعُشْبٍ، وَسِنْدِيَانٍ، ظَلِيلِ
وَيَرْنُو إِلَى الضُّبَابِ الْكَسُولِ^(٧)
وَالضُّوءِ، وَالنَّسِيمِ الْقَلِيلِ
فَوَاهَا لِحُلُمِهِ الْمَغْسُولِ!
فِي نَشْوَةِ الْخِيَالِ الْجَلِيلِ
وَحَنَانٍ، وَلَذَّةٍ، وَذُهُولِ^(٨)
بِأَرْجَاءِ قَلْبِي الْمَبْتُولِ^(٩)

(١) طامية: يغمرها الماء.

(٢) المهامه: جمع المهمة: المفازة البعيدة. القفر: الخلاء من الأرض. الأشلاء: جمع الشلو: العضو. يتحلل: ينسب إلى غير صاحبه.

(٣) نظمها في ١٢ ذي القعدة ١٣٥١ هـ / ٩ مارس - آذار ١٩٣٣ م.

(٤) البليل: البليل.

(٥) الأغوار: جمع الغور: القفر. الرى: جمع الرابية: التلة.

(٦) عبق به الطيب: لزق به.

(٧) يرنو: يديم النظر بسكون الطرف، ويُعجب بالشيء.

(٨) الأناة: الصبر والعلم.

(٩) المبتول: المنقطع.

يَحَان، وَالتَّوَر، وَالنَّسِيمِ الْبَلِيلِ^(١)
 فِي فِتْنَةِ الدَّلَالِ الْمُلُولِ^(٢)
 رِي، وَأَحْلَامَ قَلْبِي الضَّلِيلِ^(٣)
 وَسَحَرِ مُقَدَّسٍ، تَجْهُولِ
 حَرًّا، فِي مِثْلِ هَذَا الْكُبُولِ^(٤)



يَا شُعُورُ تَمِيدُ فِي الْغَابِ بِالرُّ
 كَبْلِيْنِي بِهَاتِهِ الْخِصْلِ الْمَرْخَاةِ
 كَبْلِي يَا سَلَسَلَ الْحَبِّ أَفْكََا
 كَبْلِيْنِي بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنْ عِطْرِ
 كَبْلِيْنِي، فَأَتِمَّا يُضْبِحُ الْفَنَانُ

دِ، وَطَيَّاتٍ لَيْلِكَ الْمَسْدُولِ^(٥)
 وَفِيَّادٍ، مَصْفُودٍ، مَغْلُولِ^(٦)
 فِي شُحُوبٍ، وَخَيْبَةٍ، وَخَمُولِ^(٧)
 كَمْ فِي ظِلَامِهِ مِنْ قَتِيلِ
 بِالنَّسِيمِ السَّعِيدِ كُلِّ تَمِيلِ
 لَكَ تَاجَا، مِنَ الضِّيَاءِ الْجَمِيلِ
 لَكَ بِأَوْرَاقٍ وَرِدِهِ الْمَطْلُولِ^(٨)



لَيْتَ شَعْرِي! كَمْ بَيْنَ أَمْوَاجِكَ السَّو
 مِنْ غَرَامٍ، مَذْهَبِ التَّاجِ، مَيِّتِ
 وَزَهْوٍ مِنْ الْأَمَانِي تَذْوِي
 أَنْتِ لَا تَعْلَمِينَ... وَاللَّيْلُ لَا يَعْلَمُ
 أَنْتِ أَرْجُوْحَةُ النَّسِيمِ فَمِيلِي
 وَدَعِي الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ تُسَوِّي
 وَدَعِي مُزْهَرَ الْغُضُورِ يُفْشِي

م، وَالزُّهْرَ، فَالْعَبِي، وَأَطِيلِي
 وَأَوْهَامَ ذَهْنِهِ الْمَعْلُولِ
 مَالِ، يَا فِتْنَةَ الْوُجُودِ الْجَلِيلِ
 بَيْنَ طَيَّاتٍ شَعْرِكَ الْمَصْقُولِ!^(٩)
 غَرِيقًا، فِي نَشْوَتِي، وَذُهُولِي!
 حُنُوُ الْمَذْلُومِ، الْمَتْبُولِ^(١٠)

لِلشُّعَاعِ الْجَمِيلِ أَنْتِ، وَلِلْأَنْسَا
 وَدَعِي لِلشَّقِيِّ أَشْوَاقَهُ الظَّمْأَى
 يَا عُرُوسَ الْجِبَالِ، يَا وَرْدَةَ الْآ
 لَيْتَنِي كُنْتُ زَهْرَةً، تَتَشَنَّى
 أَوْ قَرَّاشًا، أَحْوَمُ، حَوْلِكَ مَسْحُورًا
 أَوْ غُصُونًا، أَحْنُو عَلَيْكَ بِأَوْرَاقِي

(١) يَمِيدُ: يَتَحَرَّكُ.

(٢) الْمُلُولُ: الضُّجُرُ.

(٣) الضَّلِيلُ: كَثِيرُ الضَّلَالِ.

(٤) الْكُبُولُ: الْقَيُودُ.

(٥) الْمَسْدُولُ: الْمَسْدُولُ، أَيْ الْمُسْتَرْخِي.

(٦) مَصْفُودٌ مَغْلُولٌ، أَيْ: مَقِيدٌ.

(٧) تَذْوِي: تَذِيلُ.

(٨) الْمَطْلُولُ: الَّذِي أَصَابَهُ الطَّلُ، أَيْ النَّدَى.

(٩) تَتَشَنَّى: تَتَمَائِلُ.

(١٠) الْمَتْبُولُ: الَّذِي ذُهِبَ بِعَقْلِهِ لَشِدَّةِ الْحُبِّ. وَالْمَذْلُومُ كَالْمَتْبُولِ.

أَوْ نَسِيماً، أَضْمُ صَدْرِكَ فِي رَفْقِي، إِلَى صَدْرِي الْخَفُوقِ، النَّحِيلِ
أَهْ! كَمْ يُسَمِّدُ الْجَمَالَ، وَيُشْقِي مِنْ قُلُوبٍ شِعْرِيَّةٍ، وَعُقُولٍ...

خَلَّهَ لِلْمَوْتِ^(١)

[من الرَّمْلِ]

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخُسْفَ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ الْأَرْذَلِ^(٢)
كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدِّمَاءُ دُونَ أَنْ يَثَارَ لِلْحَقِّ الْجَلِي
خَلَّهَ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ!.. فَمَا حَظُّهُ غَيْرَ الْفَنَاءِ الْأَنْكَلِ^(٣)

(١) نظمها في ١ محرم ١٣٤٣ هـ / ٢ أوت - آب أغسطس ١٩٢٤ م.

(٢) الخسف: الدل. يقال: سامه خسفاً أي ذلاً.

(٣) الأنكل: الذي يُنْكَل أي: يلحق الشر والأذى بغيره.

قافية الميم

أكثر يا قلبي فماذا تروم؟^(١)

[من السريع]

يا قلبي الدامي! إلام الوجوم؟
هذي كؤوسي مرة، كالردي
وذاك نايمي صامت، واجم
يا قلبي الباكي إلام البكا؟
فانثر غبار الحزن فوق الدجى
وانقر على دف الهوى لحنه
يا قلبي الداجي! إلام الوجوم؟
مالك لا تُصغي لغير الأسمى؟
مالك قد أصبحت لا تصرف الأيام
أما ترى البلبل في غايه؟
أما ترى الأسحار تبدو بها الغابات؟
أما ترى الآمال في سحرها؟
يكفيك! إن الحزن فظ، غشوم^(٢)
ما ملؤها إلا عصير الهموم^(٣)
يُصغي إلى صوت الغرام القديم^(٤)
ما في فضاء الكون شيء يدوم
واسمع إلى صوت الشاب الرخيم^(٥)
وارقص مع النور الضحك الوسيم
إن لم ألم قلبي فمن ذا ألوم؟
مالك لا ترنو لغير الكلوم؟^(٦)
إلا في شعاب الجحيم؟
يشدو وفوق الغاب تخطو النجوم؟
كالأحلام - خلف السديم؟^(٧)
أما ترى الليل يناغي النجوم؟^(٨)

(١) نظمها في ١٢ صفر ١٣٤٨ هـ / ٢٠/ جويلية - تموز ١٩٢٩ م.

(٢) فظ: غليظ. غشوم: ظلوم.

(٣) الردي: الموت والهلاك.

(٤) الناي: من الآلات الموسيقية. واجم: ساكت على غيظ.

(٥) الرخيم: اللين، السهل. الدجى: الظلام.

(٦) ترنو: تديم النظر بسكون طرفة، الكلوم: الجراح.

(٧) السديم: الضباب الرقيق.

(٨) يناغي: يلاطف.

أَكثَرْتُ يَا قَلْبِي فَبِإِذَا تَرُومُ^(١)
تَرْتِي لَنْ قَدْ هَدَمْتُهُ الرَّجُومُ،
يَلُوي عَلَى مَا خَلَقَهُ مِنْ كَلِيمٍ^(٢)
وَالسَّيْلُ لَا يَبْكِي لَنُوحِ الْهَشِيمِ^(٣)
لَا يَرْحَمُ الْغُضْنَ، الرَّشِيقُ، الْقَيُومُ
يَا قَلْبِي الدَّامِي، وَمَاذَا الْوُجُومُ!

يَا قَلْبِي الدَّاجِي! إِلَامَ الْوُجُومِ؟
هَلْ تَحْسَبُ الْأَيَّامَ فِي رَحْفِهَا
كَلَا! فَإِنَّ الدَّفْرَ يَمُضِي وَلَا
وَالْيَمُّ لَا يَرْتِي لَنْ طَمُهُ
وَالْعَاصِيفُ الْجَبَّارُ فِي سُخْطِهِ
هَذِي هِيَ الدُّنْيَا فَمَاذَا الْأَمَى

إلى عازف أعمى^(٤)

[من مَخْلَع البسيط]

وَكُنْتُ لَا تَعْرِفُ الظَّلَامَ
وَعَامٌ مِنْ فَوْقِكَ الْغَمَامُ^(٥)
خَوَاطِرًا، كُلُّهَا ضَرَامٌ
وِظْلَمَةٌ، مَا لَهَا خِتَامٌ
قَدْ عَضَّكَ الْفَقْرُ وَالسَّقَامُ^(٦)
وَقَرَّ مِنْ قَلْبِكَ السَّلَامُ

أَدْرَكْتَ فَجَرَ الْحَيَاةِ أَعْمَى
فَأُطْبِقَتْ حَوْلَكَ الدِّيَاجِي
وَعِشْتَ فِي وَخْشَةٍ، تَقَاسِي
وَعُرْبَةٍ، مَا بِهَا رَفِيقٌ
تَشَقُّ بِتِيهِ الْوُجُودُ فَرْدًا
وَطَارَدْتَ نَفْسَكَ الْمَاسِي

إِنْ كُنْتُ لَا تُبْصِرُ النُّجُومَ
وَفَوْقَهُ تَخْطُرُ | الْغَيُومُ^(٧)
وَحَوْلَهُ يَرْقُصُ الْغَيْمُ
بِرَافَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ

هَوْنٌ عَلَى قَلْبِكَ الْمَعْنَى
وَلَا تَرَى الْغَابَ، وَهُوَ يَلْفُو
وَلَا تَرَى الْجَذُولَ الْمَغْنَى
فَكَلْنَا بِائِسَ، جَدِيرُ

(١) الداجي: المظلم. تروم: تطلب، تبغي.

(٢) كليم: جريح.

(٣) اليم: البحر. الهشيم: نبت يابس متكسر.

(٤) نظمها في ٢٨ صفر ١٣٤٧ هـ / ١٨ أوت - آب أغسطس ١٩٢٨ م.

(٥) الدياجي: الخنادس، وكأنه جمع الدَّيْجَاة.

(٦) التيه: الصِّلَف والكبر. السقام: المرض.

(٧) يلفو: يتكلم، أو يتكلم بما لا يُعتد به.

وكلُّنا في الحياة أعمى يسوقه زَعَزَعٌ عَقِيمٌ^(١)
وحوله تَزَعَقُ المنايا كأنها جَنَّةُ الْجَحِيمِ: ^(٢)

* * *

يا صاح! إن الحياة قفرٌ مَرُوعٌ، ماؤه سَرَابٌ^(٣)
لا يجتني الطَّرْفُ منه إلَّا عَوَاطِفَ الشُّوْكِ والتراب
واسعدُ النَّاسِ فيه أعمى لا يُبْصِرُ الهولَ والأصَابَ
ولا يرى أنْفُسَ البرايا تَذُوبُ في وَقْدَةِ الْعَذَابِ^(٤)
فاحمد إله الحياة، واقنع فيها بألحائك العذاب
وعش، كما شاءت اللَّيالي من آهة النَّاي والرُّبَابِ^(٥)

أغاني التائه^(٦)

[من الرمل]

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنُجُومٌ، وَبَحَارٌ، لَا تُغَشِّيهَا الْغُيُومُ
وَأَنَاشِيدٌ، وَأَطْيَارٌ تُحْمِمْ وَرَبِيعٌ، مُشْرِقٌ، حُلُوٌّ، جَمِيلٌ
كَانَ فِي قَلْبِي صَبَاحٌ، وَإِيَاءٌ وَابْتِسَامَاتٌ وَلَكِنْ... وَالْأَسَاءُ! ^(٧)
آه! مَا أَهْوَلَ إِغْصَارَ الْحَيَاةِ! آه! مَا أَشْقَى قُلُوبَ النَّاسِ! آه!
كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنُجُومٌ، فَلِذَا الْكُلُّ ظِلَامٌ وَسَدِيمٌ... ^(٨)
كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنُجُومٌ

يا بني أمي! تُرى أين الصَّبَاحُ؟ قد تقضى العُمُرَ والفَجْرُ بعيدَ

(١) الزَّعَزَعُ: الأمر الشديد من شدائد الدهر. ربح عقيم أي: شديدة.

(٢) الجنَّة: الجن.

(٣) السَّرَاب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.

(٤) الوقْدَة: شدة الحر. البرايا: المخلوقات الواحدة بريئة.

(٥) الناي والرباب: آلتان موسيقيتان.

(٦) نظمها في ١٥ شوال ١٣٤٧ هـ / ٢٧ مارس - آذار ١٩٢٩ م.

(٧) الإياء يعني: الشعاع.

(٨) السديم: السحاب الرقيق.

وَطَغَى الْوَادِي بِمَشْبُوبِ النِّوَاخِ وَانْقَضَتْ أَنْشُودَةُ الْفَضْلِ السَّعِيدِ^(١)
 أَيْنَ نَائِي؟ هَلْ تَرَامَتْهُ الرِّيَّاحُ؟ أَيْنَ غَائِي؟ أَيْنَ مَحْرَابُ السُّجُودِ...؟^(٢)
 خَبِرُوا قَلْبِي - فَمَا أَقْسَى الْجِرَاحِ! - كَيْفَ طَارَتْ نَشْوَةُ الْعَيْشِ الْحَمِيدِ!
 يَا بَنِي أُمِّي! تُرَى أَيْنَ الصُّبَاخُ؟ أَوْرَاءَ الْبَحْرِ؟ أَمْ خَلْفَ الْوُجُودِ؟
 يَا بَنِي أُمِّي؟ تُرَى أَيْنَ الصُّبَاخِ!

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ سَتُسْلِيْنِي الْغَدَاةُ وَتُعْزِيْنِي عَنْ الْأَمْسِ الْفَقِيدِ
 وَتُرِيْنِي أَنَّ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ زُمَرُ تَمْضِي، وَأَفْوَاجُ تَعُودِ^(٣)
 فَلِذَا قَلْبِي صَبَاحٌ، وَإِيَّاهُ...، وَإِذَا أَحْلَامِي الْأَوَّلَى وَرُودُ...،
 وَإِذَا الشُّخْرُورُ حُلُوُ النِّعَمَاتِ...، وَإِذَا الْغَابُ ضِيَاءٌ وَنَشِيدُ...؟
 لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ سَتُسْلِيْنِي الْغَدَاةُ أَمْ سَتَنْسَانِي، وَتَبْقِيْنِي وَحِيدُ؟
 لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ تُعْزِيْنِي الْغَدَاةُ؟

لَيْتَ شِعْرِي^(٤)

[مَجْزُوءُ الرَّمْلِ]

مَزَقْتُ ثَوْبَ سَكُونِ اللَّيْلِ أَنْتَ كَلِمَ
 بَيْنَ طَيَّاتِ سِجَافِ الْغَا سِقٍ، الدَّاجِي الْبَهِيمِ^(٥)
 حَرَكْتُ مِنِّي شَعُورًا كَانَ مِنْ قَبْلُ رَمِيمِ^(٦)
 فَتَحَسَّنْتُ مَكَانَ الصَّو تَ، فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ^(٧)
 فَإِذَا بِالْأَرْضِ مُلْقَى هَيَّكَلُ نِضْوِ كَلُومِ^(٨)

(١) مشبوب: متوقد.

(٢) الناي: من الآلات الموسيقية. المحراب: مقام الإمام من المسجد، وصدر البيت.

(٣) زمر: جماعات. الواحد: زمرة.

(٤) القصيدة ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي.

(٥) السجاف: الشق. الداجي: المظلم. الغاسق: الليل.

(٦) الرميم: البقايا المحطمة.

(٧) أديم النهار: بياضه.

(٨) نضو: مهزول. كلوم: جريح.

عَفَرْتُهُ	التَّربُّ	والعَيْدُ	نُ	على	الْحَدِّ	سَجُومٌ ^(١)
فَتَأْمَلْتُ	مَلِيًّا	وجْهَهُ	تَحْتَ	الغَيْومِ		
فإذا	المُلْقَى	بِوَادِي	وطني	جِسْمُ	العلومِ	
يا بني	الأوطانَ	هَبَّوْا	فلقد	طال	الوجودُ ^(٢)	
وانهضوا	نَهْضَةً	جَبَا	رِ	بعزمٍ	مُسْتَقِيمٍ	
لَسْتُ أَبْغِي	نَهْضَةَ	الْعَا	جِزٍ	يتلوها	الحُسُومِ	
لَيْتَ شِعْرِي!	هل	سَحَابُ	الجهلِ	تَذْرُوهُ	العَقِيمِ؟	
فَتَرَى	الْأَعْيُنُ	بَذَرَ	العلمِ	قد	شَقَّ	الغَيْومِ؟
لَيْتَ شِعْرِي!	يا	بِلَادِي	هل	تصافيكِ	العلومِ؟	

في الظلام^(٣)

[من الرمل]

رَفَرْتُ فِي دُجَيَّةِ اللَّيْلِ	الْحَزِينِ	رُومَةً	الأحلام ^(٤)
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمَامَاتِ الشُّجُونِ	مِلُّوْهَا	الآلام ^(٥)	

شَخَصْتُ، لَمَّا رَأَتْ، عَيْنَ النُّجُومِ	بَغْثَةً	العُشَّاقِ
وَرَمَتْهَا مِنْ سَنَاهَا بِرُجُومِ	تَسْكُبُ	الأحرَاقِ ^(٦)

كُنْتُ إِذْ ذَاكَ عَلَى ثَوْبِ السُّكُونِ	أَنْثُرُ	الأحزانِ
وَالْهَوَى يَسْكُبُ أَصْدَاءَ الْمُنُونِ	فِي	فُؤَادِ ^(٧)

(١) سجوم: تذرف الدمع.

(٢) الوجوم: العبوس.

(٣) نظمها في ٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ/ ٢٧ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.

(٤) الزمرة: الجماعة. الدجية: الظلمة.

(٥) الشجون: الأحزان.

(٦) الرجوم: جمع الرجم: ما يُرجم به من حجارة أو غيره. رجه: قذفه.

(٧) المنون: الموت. الفاني: الذي يفنى.

سَاجِئاً مِثْلَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ رَاكِدٌ الْحَيَاةُ^(١)
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْمَاقِ الْحَيَاةِ تَائِيَةً، حَيْرَانٌ

إِنَّ لِلْحَبِّ عَلَى النَّاسِ يَدَا تَقْصِيفُ الْأَعْمَارُ
وَلَهُ فَجْرٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى سَاطِعُ الْأَنْوَارُ
نُورَةُ الشَّرِّ، وَأَخْلَامُ السَّلَامِ، وَجَمَالُ النُّورِ
وَابْتِسَامُ الْفَجْرِ فِي حُزْنِ الظَّلَامِ، فِي الْعَيُونِ الْحُورِ^(٢)

صوت تائه^(٣)

[من الكمال]

قَضَيْتُ أَذْوَارَ الْحَيَاةِ، مُفَكِّراً فِي الْكَائِنَاتِ، مُعَذِّباً، مَهْمُوماً
فَوَجَدْتُ أَعْرَاسَ الْوُجُودِ مَأْتِماً وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزَّمَانِ جَحِيماً
تَذْوِي تَحَارِمْهُ بِضُجَّةٍ صَرَّصِي، مَشْبُوبَةٍ، تَذُرُّ الْجِبَلَ هَشِيماً^(٤)
وَحَضَرْتُ مَائِدَةَ الْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا شَرَاباً، آجِئاً، مَسْمُوماً^(٥)
وَنَفَضْتُ أَعْمَاقَ الْفَضَاءِ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا سُكُوناً، مُتَعَباً تَحْمُوماً
تَتَبَخَّرُ الْأَعْمَارُ فِي جَنَابَاتِهِ وَتَمُوتُ أَشْوَاقُ النُّفُوسِ وَجُوماً^(٦)
وَلَكَسْتُ أَوْتَارَ الدُّهُورِ، فَلَمْ تُفِضْ إِلَّا أَنْيْنًا، دَامِيًا، مَكْلُوماً^(٧)
يَتَلَوُّ أَقَاصِيصَ التَّمَعَّاسَةِ وَالْأَسَى وَيَصِيرُ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ هُمُوماً
شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي الْجَمِيلِ.. أَنَا الشَّقِيقُ سَيٌّ، فَعِشْتُ مَشْطُورَ الْفَوَادِ، يَتِيماً...
فِي غُرْبَةٍ، رُوحِيَّةٍ، مَلْعُونَةٍ أَشْوَاقُهَا تَقْضِي، عِطَاشًا، هَيْماً...^(٨)

(١) راكد: ثابت، جامد.

(٢) الحور: شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها مع اتساع.

(٣) نظمها في ٣ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ / ٢٠ أوت - أغسطس آب ١٩٢٨ م.

(٤) المخارم: جمع المخرم وهو من الجبل: أنفه. والمخارم: الطرق في الغلظ. ريح صرصر: أي: شديدة الصوت. تذر: تترك. الهشيم: الأرض التي ييس شجرها.

(٥) الشراب الآجن: الشراب المتغير.

(٦) الوجوم: الغبوس.

(٧) مكلوم: جريح.

(٨) هيم: أي، عطاش.

يا غربة، الروح المفكرا! إنه
شردت للدنيا.. وكل نائه
يدعو الحياة، فلا يجيب سوى الردى
وتظل سائرة، كأن فقيدها
في الناس يحيا، سائما، مسؤولاً^(١)
فيها يروغ راحلاً ومقيماً
ليدسه تحت الثراب زميماً^(٢)
ما كان يوماً صاحباً وحيماً!^(٣)

يا أيها الساري! لقد طال السرى
أتحال في الوادي البعيد المرتجى؟
سر ما استطعت، فسوف تُلقي - مثلما
ختم ترقب في الظلام نجوماً...؟^(٤)
هيهات! لن تلقى هناك مروماً^(٥)
خلفت - تمشوق الغصون حطياً^(٦)

إلى الشعب^(٧)

[من الخفيف]

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟
أين يا شعب، روحك الشاعر الفنان
أين يا شعب، فك الساحر الخلاق؟
إن يم الحياة يذوي حوائيك
أين عزم الحياة؟ لا شيء إلا
عمر ميّت، وقلب خواء
وحياة، تنام في ظلمة الوادي
أي عيش هذا، وأي حياة؟
أين الطموح. والأخلام؟
أين، الخيال والإلهام؟
أين الرسوم والأنغام؟
فأين المغامر، المقدام^(٨)
الموت، والصمت، والأسى، والظلام
ودم، لا تثيره الآلام^(٩)
وتنمو من فوقها الأوهام
(رب عيش أخف منه الجمام)^(١٠)

(١) السائم: المكلف في أمر يعذب فيه.

(٢) الردى: الهلاك. الرميم: البالي.

(٣) الحميم: القريب.

(٤) الساري: الذي يسير في الليل. والسرى: سير الليل.

(٥) المروم: المطلوب.

(٦) تُلقي: تحذ. حطيم: محطم.

(٧) نظمها في ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٢هـ / ١٥ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٥٣ م.

(٨) اليم: البحر.

(٩) خواء: فارغ.

(١٠) المعجز من بيت للمتنبي.

والجمام: قضاء الموت وقدره.

قد مشت حولك الفصول وغيشتك
ودوت فوقك العواصف وأنواء
وأطافت بك الوحوش وناشتك
يا إلهي أما تحس؟ أما تشدو؟
مل نهر الزمان أيامك الموق
أنت لا ميت فيلبي، ولا حي
أبدأ يرمق الفراغ بطرف
أي سحر دهاك، هل أنت مسحور



فلن تبتهج، ولم تترنم
حتى أوشكت أن تنحطم^(١)
فلم تضطرب، ولم تتألم^(٢)
أما تشنكي؟ أما تنكلم؟^(٣)
وانقاص عمرك المتهدم
فيمشي، بل كائن، ليس يفهم
جامد، يرى العوالم، مظلم^(٤)
شقي؟ أم مارد، يتهمكم؟

آه! بل أنت في الشعوب عجوز،
مات شوق الشباب في قلبه الداوي،
فمضى ينشد السلام... بعيداً..
وهناك، اصطفى البقاء مع السموات،
وارتضى القبر مسكناً، تتلاشي
وتناسي الحياة، والزمن الداوي
فألزم القبر، فهو بيت، شبيه
واعبد «الأمس» وأذكر صور الماضي
وإذا مررت الحياة حواليك
تغنّي الحياة بالشوق والعزم
والربيع الجميل يرقص فوق

فيلسوف، عظم في إهابة^(٥)
وعزم الحياة في أعصابه^(٦)
«في قبور الزمان» خلف مضايه^(٧)
«في قبر أمسه» غير آبه...^(٨)
فيه أيام عمره المتشابه
وما كان من قديم رغبه
بك في صمت قلبه، وخرابه
فدنيا المعجوز ذكرى شبابه^(٩)
جميلاً، كالزهر غضاً صباه
فيحبي قلب الجماد غناها
الورد، والعشب، منيداً، تياها^(١٠)

(١) الأنواء: جمع النوء: النجم مال للغروب.

(٢) ناشه: تناوله.

(٣) في هذا البيت سخرية وتهكم بالخاملين من الناس.

(٤) يرمق: ينظر نظراً خفيفاً.

(٥) الإهابة: الجلد.

(٦) الزاوي: الذابل.

(٧) ينشد: يطلب.

(٨) غير آبه: غير مكترث.

(٩) أذكر: تذكر.

(١٠) تياه: مختال.

جمال الوجود في مرآها
إن الحياة يُغوي بهاها
يُفري بحبها وهواها
بعيداً عن سحرها وصداها^(١)
وخل الحياة تخطو خطاها

ومشى الناس خلفها، يتملّون
فاحذر السحر! أيها الناسك القديس
والربيع الفنان شاعرها المفتون
وتملّ الجمال في ريم الموق...!
وتغرّل بسحر أيامك الأولى



تغني بين المروج الجميلة
بصوت المحبة المعسولة
يناجي زهوره المطلولة^(٢)
وللسمي، والمعاني الجليلة
وفوق المسالك المجهولة
والمجد، والحياة النبيلة
فتنة النور...! فهي رؤيا مهولة...
ولا يرحم الجفون الكليلة^(٣)
ويذكر حياته، ويفيده
عبء على الوجود، وجودة
بعزم، حتى التراب، ردودة
يؤنس الكون شوقه، ونشيدة
وما فيك من جنى يستفيده
أنت داء يُبيدها وتبيده^(٤)
مظلم، قاحل، مريع جموده^(٥)
يغني ولا سحاب يجوده

وإذا هبت الطيور مع الفجر،
وتغني الحياة، والعالم الحي،
والفراش الجميل رفرف في الروض،
وأفاق الوجود للعمل المجدي
ومشى الناس في الشبّاب، وفي الغاب،
يتشّدون الجمال، والنور، والأفراح
فاغضض الطرف في الظلام! وحاذر
وصباح الحياة لا يوقظ الموق
كل شيء يعاطف العالم الحي،
والذي لا يجاوب الكون بالإحساس
كل شيء يساير الزمن المائي
كل شيء - إلّاك - حي، عطوف
فليإذا تعش في الكون يا صاح!
لسيت يا شيخ للحياة بأهل
أنت قفر، جهنمي لهين،
لا ترف الحياة فيه، فلا طير



(١) ريم الموق: بقاياهم. تملّ، أي: املا.

(٢) المطلولة: التي أصابها الطل، أي: الندى.

(٣) الكليلة: الضعيفة المنكسرة.

(٤) يبيدها: يذهب بها.

(٥) قاحل: لا ينبت شيئاً. القفر: الفلاة.

أَنْتَ يَا كَاغَمِنَ الظُّلَامِ حَيَاةُ
كَافِرٌ بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ...! لَا يُصْغِي
أَنْتَ قَلْبُ، لَا شَوْقَ فِيهِ وَلَا عَزَمَ
أَنْتَ دُنْيَا، يُظَلِّهَا أَفَقُ الْمَاضِي
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ، وَالْكَوْنُ إِلَّا
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الْأَرْضِ قَلْبُ
أَنْتَ لَا شَيْءَ فِي الْوُجُودِ، فَمُغَادِرُهُ

تَعْبُدُ الْمَوْتَ...! أَنْتَ رَوْحُ شَقِيٍّ
إِلَى الْكَوْنِ قَلْبُهُ الْحَجَرِيُّ
وَهَذَا دَاءُ الْحَيَاةِ الدَّوِيٍّ^(١)
وَلَيْلُ الْكَآبَةِ الْأَبَدِيِّ
أَمْسُهَا الْغَابِرُ، الْقَدِيمُ، الْقَصِيُّ^(٢)
يَوْمُهُ مَيِّتٌ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ
إِلَى الْمَوْتِ فَهُوَ عَنْكَ غَنِيٌّ

الأبد الصغير^(٣)

[من البسيط]

يَا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ مِنْ دُنْيَا مُحِبَّةٍ
يَا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ مِنْ كَوْنٍ، قَدْ اتَّقَدَّتْ
يَا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ مِنْ أَفَقٍ تَتَمَقُّهُ
يَا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ مِنْ غَابٍ وَمِنْ جَبَلٍ
يَا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ مِنْ كَهْفٍ قَدْ انْبَجَسَتْ
تَمَشِي...، فَتَحْمِلُ غُصْنًا مُزْهِرًا نَضْرًا
أَوْ نَحْلَةً جَرَّهَا التِّيَّارُ مُنْدَفِعًا
أَوْ طَائِرًا سَاحِرًا مَيِّتًا قَدْ انْفَجَرَتْ
يَا قَلْبُ! إِنَّكَ كَوْنٌ، مُدْهَشٌ عَجَبٌ

كَأَنَّهَا، حِينَ يَبْدُو فَجْرُهَا «إِرَمٌ»^(٤)
فِيهِ الشُّمُوسُ وَعَاشَتْ فَرَقَهُ الْأَمَمُ
كَوَاكِبٌ تَتَجَلَّى، ثُمَّ تَنْعَدِمُ
تَذْوِي بِهِ الرِّيحُ أَوْ تَسْمُو بِهِ الْقَمَمُ
مِنْهُ الْجَدَاوِلُ تَجْرِي مَا لَهَا لُجَمُ^(٥)
أَوْ وَرْدَةٌ لَمْ تُشَوِّهِ حُسْنَهَا قَدَمُ
إِلَى الْبَحَارِ، تُغْنِي فَرَقَهَا الدَّيْمُ^(٦)
فِي مُقْلَتَيْهِ جِرَاحٌ جَمَّةٌ وَدَمُ^(٧)
إِنْ يُسَالِرُ النَّاسُ عَنْ آفَاقِهِ يَجْمُؤُا^(٨)

(١) الروي: أي: الصوت الشديد.

(٢) القصي: البعيد.

(٣) نظمها في ٢٠ رمضان ١٣٤٨ هـ / ١١٩٠٠ م فيفري - شباط ١٩٣٠ م.

(٤) إِرَم: إسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن الكريم: سورة الفجر: آية ٧ ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾. وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية أو موضع ببلاد فارس.

(٥) انبجس: انفجر.

(٦) الدَّيْم: جمع الدَّيْمَة. المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق.

(٧) جَمَّة: كثيرة.

(٨) الوجوم: العبوس.

كَأَنَّكَ الْابْدُ الْمَجْهُولُ...، قَدْ عَجَزْتَ عَنْكَ النَّهْيُ، وَانْكَفَرْتُ حَوْلَكَ الظُّلْمُ^(١)

يَا قَلْبُ! كَمْ مِنْ مَسْرَاتٍ وَاخْبِيلَةٍ
غَنَّتْ لِفَجْرِكَ صَوْتاً حَالِماً، فَرِحاً
وَكَمْ رَأَى لَيْلُكَ الْأَشْبَاحَ هَائِمَةً
وَرَفَرَفَ الْأَلْمِ الدَّائِمِي، بِاجْنَحَةٍ
وَكَمْ مُشَتْ فَوْقَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
وَشِيدَتْ حَوْلَكَ الْأَيَّامُ ابْنِيَّةً
وَلَذَّةً، يَتَحَامَى ظِلُّهَا الْأَلْمُ
نَشْوَانٌ ثُمَّ تَوَارَتْ، وَانْقَضَى النِّغَمُ
مَذْعُورَةً تَتَهَاوَى حَوْلَهَا الرَّجْمُ
مِنْ اللَّهِيْبِ، وَأَنَّ الْحَزْنَ وَالنَّدَمَ^(٢)
حَتَّى تَوَارَتْ، وَسَارَ الْمَوْتُ وَالْعَدَمُ
مِنْ الْأَنْشِيدِ تُبْنَى، ثُمَّ تَنْهَدُ

تَمُضِي الْحَيَاةُ بِمَاضِيهَا، وَحَاضِرُهَا
وَأَنْتَ، أَنْتَ الْخِضْمُ الرُّخْبُ، لَا فَرْحُ
وَتَذَهَبُ الشَّمْسُ وَالشُّطَّانُ وَالْقِيَمُ
يَبْقَى عَلَى سَطْحِكَ الطَّاعِي، وَلَا أَلْمُ^(٣)

يَا قَلْبُ! كَمْ قَدْ تَمَلَّيْتَ الْحَيَاةَ، وَكَمْ
وَكَمْ تَوَشَّحْتَ مِنْ لَيْلٍ، وَمِنْ شَفَقٍ
وَكَمْ نَسَجْتَ مِنَ الْأَحْلَامِ أَرْدِيَّةً
وَكَمْ ضَفَرْتَ أَكَالِيلاً مَوْرَدَةً
وَكَمْ رَسَمْتَ رَسوماً، لَا تُشَابِهُهَا
كَأَنَّهَا ظُلُلُ الْفِرْدَوْسِ، حَافِلَةٌ
رَقِصَتَهَا مَرَحاً، مَا مَسَكَ السَّامُ
وَمِنْ صَبَاحٍ تُوشِي ذَيْلُهُ السُّدُمَ^(٤)
قَدْ مَزَقْتَهَا اللَّيَالِي، وَهِيَ تَبْتَسِمُ
طَارَتْ بِهَا زَعَزَعٌ تَدْوِي وَتُحْتَدِمُ^(٥)
هَذِي الْعَوَالِمُ، وَالْأَحْلَامُ، وَالنُّظُمُ
بِالْحَوَرِ، ثُمَّ تَلَاثَتْ، وَاخْتَفَى الْحُلُمُ

تَبْلُو الْحَيَاةَ فَتَبْلِيْهَا وَتَخْلَعُهَا
وَأَنْتَ أَنْتَ: شَبَابٌ خَالِدٌ، نَضْرُ
وَتَسْتَجِدُّ حَيَاةً، مَا لَهَا قِدَمُ
مِثْلُ الطَّبِيعَةِ: لَا شَيْبٌ وَلَا هَرَمُ

(١) النَّهْيُ: الْعَقْلُ. انْكَفَرْتُ السَّحَابُ: تَرَكَمُ.

(٢) أَنْ، مِنْ الْأَيْنِ: الصَّوْتُ الضَّعِيفُ.

(٣) الْخِضْمُ: الْبَحْرُ.

(٤) السُّدُمُ: يُقَالُ مَاءٌ سُدُمٌ أَيُّ: مُنْدَقِقٌ.

(٥) رِيحٌ زَعَزَعٌ: رِيحٌ تَزَعِزِعُ الْأَشْيَاءَ. ضَفَرُ الشَّعْرِ: نَسَجَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

زئير العاصفة^(١)

[من الطويل]

تُسَائِلُنِي: «مَا لِي سَكَتٌ، وَلَمْ أَهَبْ
وَسَيَّلَ الرُّزَايَا جَارْفٌ، مَتَدَفَعُ
بِقُومِي، وَدِيحُورُ الْمَصَائِبِ مُظْلِمٌ»^(٢)،
غَضُوبٌ، وَوَجْهُ الدَّهْرِ أَرِيدُ، أَقْتَمُ؟»^(٣)

سَكَتٌ، وَقَدْ كَانَتْ قِنَائِي غَضَةً
وَقُلْتُ، وَقَدْ أَصَغْتُ إِلَى الرِّيحِ مَرَّةً
وَقُلْتُ وَقَدْ جَاشَ الْقَرِيضُ بِخَاطِرِي
«أَرَى الْمَجْدَ مَعْصُوبَ الْجَبِينِ مَجْدُلًا
«وَقَدْ كَانَ وَضَّاحَ الْأَسَارِيرِ، بِأَسْمًا
تُصْبِخُ إِلَى هَمْسِ النَّسِيمِ، وَتَحْلُمُ»^(٤)
فَجَاشَ بِهَا إِعْصَارُهُ الْمَتَهَزِّمُ»^(٥)
كَمَا جَاشَ صَخَابُ الْأَوَازِي، أَسْحَمُ: ^(٦)
عَلَى حَسَكِ الْأَلَامِ، يَغْمِرُهُ الدَّمُ»^(٧)
يَبُّ إِلَى الْجَلِّ، وَلَا يَتَبَرَّمُ»^(٨)

«فِيَا أَيُّهَا الظُّلُمُ الْمَصْعَرُ خَدَّه
«سَيِّئَارٌ لِلْعَزِّ الْمَحْطَمِ تَاجُهُ
«رِجَالٌ يَرَوْنَ الدَّلَّ عَارًا وَسُبَّةً
«وَهَلْ تَعْتَلِي إِلَّا نُفُوسُ أَبِيَّةٍ
رَوَيْدَكَ! إِنَّ الدَّهْرَ يَبْنِي وَيَهْدُمُ»^(٩)
رَجَّالٌ إِذَا جَاشَ الرُّدَى فَهُمْ هُمُ
وَلَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ، وَالْمَوْتُ مَقْدَمُ
تَصْدَعُ أَغْلَالَ الْمَوَانِ، وَتَحْطُمُ»^(١٠)

(١) لم يؤرخ لها.

(٢) الديحور: الظلام.

(٣) الرزايَا: جمع الرزية. المصيبة. أريد: مغبر. أقتم: أسود.

(٤) تصبخ: تصغي. ويقصد بالقناة قامته.

(٥) جاش: اضطرب.

(٦) القريض، أي الشعر. الأواذي: الموج. الأسحم: السحاب.

(٧) الحسك: نبات له شوك. وأراد هنا الحقد والعداوة.

(٨) يتبرم: يتضجر.

(٩) المصعر خده: المائل خده.

(١٠) الأغلال: القيود. الواحد غل.

إلى الطاغية^(١)

[من الطويل]

يَقُولُونَ: «صَوْتُ الْمُسْتَذِلِّينَ خَافَتْ
وَفِي صَيْحَةِ الشَّعْبِ الْمُسْخَرِ زَعَزَعٌ
وَلَعَلَّمَةُ الْحَقِّ الْغُصُوبُ لَهَا صَدَى
إِذَا التَّفُّ حَوْلَ الْحَقِّ قَوْمٌ فَإِنَّهُ

وَسَمِعَ طِفَاةَ الْأَرْضِ (أَطْرَشُ) أَصْخَمُ^(٢)
تَحَرُّلَهَا شُمُّ الْعُرُوشِ، وَتَهْدُمُ^(٣)
وَدَمْدَمَةُ الْحَرْبِ الضُّرُوسِ لَهَا فَمٌ^(٤)
يُصَرِّمُ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ وَيُبْرِمُ^(٥)

لَكَ الْوَيْلُ يَا صَرْحَ الْمَظَالِمِ مِنْ غَدٍ
إِذَا حَطَّمِ الْمُسْتَعْبِدُونَ قِيُودَهُمْ
أَغْرَكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْضٍ عَلَى قَدَى
أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الْبِلَادِ دَفِينَةٌ
وَلَكِنْ سَيَاتِي بَعْدَ لَايٍ تُشَوِّرُهَا
هُوَ الرُّوعُ، إِنَّ هَبَّ الضَّعِيفِ بِيَأْسِهِ،
إِلَى حَيْثُ تُجْنِي كَفُّهُ بَذْرَ أَمْسِهِ
سَتَجَرُّعُ أَوْصَابِ الْحَيَاةِ، وَتَنْتَشِي
إِذَا مَا سَقَاكَ الدُّهْرُ مِنْ كَأْسِهِ الَّتِي
إِذَا صَوَّقَ الْجَبَّارُ نَحْتَ قِيُودِهِ

إِذَا نَهَضَ الْمُسْتَضْعِفُونَ، وَصَمَمُوا!
وَصَبُّوا حِمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعْلَمُ...!
وَأَنَّ الْفَضَاءَ الرَّحْبَ وَسَنَانُ، مُظْلِمٌ؟^(٦)
تُجْمِجُ فِي أَعْمَاقِهَا مَا تُجْمِجُ^(٧)
وَيَنْبَشِقُ الْيَوْمُ الَّذِي يَتَرَنَّمُ^(٨)
سَتَعْلَمُ مَنْ مِنَّا سَيَجْرِفُهُ الدَّمُ
وَمُزْدَرَعُ الْأَوْجَاعِ لَا بُدَّ يَنْدُمُ^(٩)
فَتُضْغِي إِلَى الْحَقِّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ
قُرَارَتَهَا صَابَ مَرِيرٍ، وَعَلَقَمُ
يُصِيخُ لِأَوْجَاعِ الْحَيَاةِ وَيَفْهَمُ!!

(١) نظمها في ١٥ شعبان ١٣٤٥ هـ / ١٨ فيفري - شباط ١٩٢٧ م.

(٢) أصخم يعني: يابس. وأصحمت وأصخمت الأرض: تغيرت نباتها وأدبر مطرها.

(٣) زعزع يعني: الريح الزعزع التي تزعزع الأشياء. شُم: عالية.

(٤) الدمدمة: الغضب.

(٥) يصرم: يقطع. يبرم: يحكم.

(٦) وسنان: ناعس.

(٧) يجمجم: لا يبين كلامه.

(٨) اللأي: الإبطاء والشدّة.

(٩) مزدرع الأوجاع يعني: مستقرها. وازدروع بمعنى زرع.

يا حمة الدين^(١)

[من الطويل]

لَقَدْ نَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ نَوْمًا مَغْنَطَسًا فَلَمْ يَسْمَعُوا مَا رَدَّدَتْهُ الْعَوَالِمُ^(٢)
وَلَكِنْ صَوْتًا صَارَخًا، مَتَصَاعِدًا مِنَ الرُّوحِ يَدْرِي كُنْهَهُ الْمُتَصَامِمُ^(٣)
سَيُوقِظُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ نَائِمٌ وَيُنْطِقُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ وَاجِمٌ^(٤)

سَكَنْتُمْ حِمَاةَ الدِّينِ سَكَنَةً وَاجِمٍ وَنَعْتُمْ بِمِلْءِ الْجَفَنِ، وَالسَّيْلِ دَاهِمٍ
سَكَنْتُمْ، وَقَدْ ثِمَتَمَ ظَلَامًا، غُضُوفُهُ عَلَانَتُمْ كَفِيرَ نَائِرٍ وَمَعَالِمٍ^(٥)
مَوَاكِبُ الْخِلَافِ وَرَاءَ سَكُونِكُمْ تَضُجُ، وَهِيَ إِنْ الْفَضَاءُ مَائِمٌ
أَفِيقُوا فَلَيْلُ النَّوْمِ وَلِيَّ شَبَابِهِ وَلَا حَتَّ لَلْأَلَاءِ الصُّبْحِ عَلَانَتُمْ^(٦)
فَدُونَ ضَجِيجِ الْفَاسِقِينَ سَكِينَةً هِيَ الْمَوْتُ، ثَمَّ أَوْرَثَتْهُ التَّمَائِمُ^(٧)
عَوَائِدُ تُحْيِي فِي الْبِلَادِ نَوَائِبًا تَقْدُ قُورَامَ الدِّينِ، وَالِدَيْنُ قَائِمٌ^(٨)
أَفِيقُوا، وَهَبُوا هَبَةً ضَيْفَمِيَّةً وَلَا تَحْجُمُوا، فَالْمَوْتُ فِي الْجَبَنِ جَائِمٌ^(٩)
فَدُونَ نِقَابِ الصُّمِّ تَنُمُو مَلَامِحُ تَبْرَقَعَتِ الشَّرُّ الَّذِي لَا يُقَاوِمُ
فَقَدْ قَتَّ فِي زَنْدِ الدِّيَانَةِ مَغْشَرُ أَثَارُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ قَدْ يَسَاجِمُ
فَوَالْحَقُّ، مَا هَذَا الزُّوَايَا وَأَهْلُهَا سَوَى مُصْنَعٍ فِيهِ تُصَاغُ السَّخَائِمُ^(١٠)
لَحَى اللَّهُ مَنْ لَمْ تَسْتِثِرْهُ حِمَاةُ عَلَى دِينِهِ، إِنْ دَاهَمَتْهُ الْعَقَائِمُ
لَحَى اللَّهُ قَوْمًا، لَمْ يُيَالُوا بِأَنْسُهُمْ يُصَوِّبُهَا نَحْوَ الدِّيَانَةِ ظَالِمٌ

(١) نظمها في ١٦ جمادي الأولى ١٣٤٩ هـ.

(٢) مغنطس، يعني إنه نام نوماً مصطنعاً.

(٣) كنهه: جوهره وسره. المتصامم، يريد الذي أغلق أذنيه.

(٤) واجم: عابس.

(٥) شام: نظير.

(٦) الألاء: النعم.

(٧) التمايم: جمع التميمية وهي خرزة رقطاء تُنظم في السِّرْثَم يُعقد في العنق.

(٨) النوائب: المصائب والنوازل.

(٩) هبة ضيفمية، هبة منسوبة إلى الضيفم، أي: الأسد. جائم: مقيم.

(١٠) السخائم: جمع السخيمة: الحقد.

السَّعَادَةُ (٢)

[من البسيط]

تَرْجُو السَّعَادَةَ يَا قَلْبِي وَلَوْ وَجَدْتُ
وَلَا اسْتَحَالَتْ حَيَاةُ النَّاسِ أَجْمَعُهَا
فَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى حُلْمٍ
نَاجَتْ بِهِ النَّاسَ أَوْهَامٌ مَعْرِيدَةٌ
فَهَبْ كُلُّ يُنَادِيهِ وَيُنْشُدُهُ

«خُذِ الْحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مَبْتَسِمًا
وَارْقُصْ عَلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَالِ مَتَبَدِّدًا
وَاعْمَلْ كَمَا تَأْمُرُ الدُّنْيَا بِهَا مَضْضٍ
فَمَنْ تَأَلَّمَ لَمْ تُزَحِّمْ مَضَاضَتُهُ
هَذِي سَعَادَةُ دُنْيَانَا، فَكُنْ رَجُلًا
وإِنْ أُرِدْتَ قِضَاءَ الْعَيْشِ فِي دَعَا
فَاتْرِكْ إِلَى النَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَضَجَّتْهُمْ
وَاجْعَلْ حَيَاتِكَ دَوْحًا مُزْهَرًا نَضِيرًا
وَاجْعَلْ لِيَالِيكَ أَحْلَامًا مُفَرَّدَةً

فِي كَفْهًا، الْغَارُ أَوْ فِي كَفْهَا الْعَدَمُ
غَنَّتْ لَكَ الطَّيْرُ، أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرَّجْمُ (١)
وَالْجَمُّ شُعُورَكَ فِيهَا، إِنَّهَا صَنَمٌ (٢)
وَمَنْ تَجَلَّدَ لَمْ تَهْزَأْ بِهِ الْقَمَمُ
- إِنْ شَنَّتْهَا - أَبَدَ الْأَبَادِ يَبْتَسِمُ!
شَعْرِيَّةٌ لَا يُغْنِي صَفْوَهَا نَدَمُ
وَمَا بَنَوْا لِنِظَامِ الْعَيْشِ أَوْ رَسَمُوا
فِي عُزْلَةِ الْغَابِ يَنْمُو ثَمَّ يَنْعَدَمُ (٣)
إِنَّ الْحَيَاةَ وَمَا تَدْوِي بِهِ حُلْمٌ

النَّاسُ (٧)

[من البسيط]

مَا قَدَسَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَجَمَلُهُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ حُلْمٌ!

(١) نظمها في ٢٦ رمضان ١٣٥١ هـ / ٢٣ جانفي - كانون الثاني ١٩٣٣ م.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) معربة: سيرة الخلق.

(٤) متدد: متمهل. الرجم: ما يرمى به، أي يُقذف به.

(٥) المضض: وجع المصيبة.

(٦) الدَّوْح: جمع الدَّوْحَة: الشجرة العظيمة.

(٧) نظمها في ٢٠ شعبان ١٣٥٢ هـ / ٨ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.

ولو مَشَى فِيهِمْ حَبِياً لِحَطْمَةِ
لا يَعْبُدُ النَّاسُ إِلَّا كُلُّ مَنْعِدٍ
قَوْمٌ، وَقَالُوا بِخَبِيثٍ: «إِنَّهُ صَنَمٌ!»
مُنْعٍ، وَلَسَنَ حَابِأَهُمُ الْعَدَمُ!
يَلْقَى الشَّقَاءَ وَتَلْقَى مَجْدَهَا الرَّمَمُ^(١)

النَّاسُ لَا يُنْصِفُونَ الْحَيَّ بَيْنَهُمْ
الْوَيْلَ لِلنَّاسِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ أَبَدًا
حَتَّى إِذَا مَا تَوَارَى عَنْهُمْ نَدِمُوا!
يَمِثِّي الزَّمَانُ وَرِيحُ الشَّرِّ تَحْتَدُمُ..

(٢)

(١)(٢)

[من الطويل]

أَرَى هَيْكَلَ الْأَيَّامِ يَعْلُو، مُشِيدًا
فِيصْبِحُ مَا قَدْ شِيدَ اللَّهُ وَالْوَرَى
وَقُلْ لِي: «مَا جَذَوَى الْحَيَاةَ وَكَرِهَهَا،
«وَفُوجٍ، تَغْذِيهِ الْحَيَاةُ لِبَانَتَهَا،
«وَعَقْلٍ، مِنَ الْأَضْوَاءِ، فِي رَأْسِ نَابِغٍ
وَأَفْسَدَةٍ حَسْرَى، تَذُوبُ كَابَةٍ
لِنَعْسِ الْوَرَى، شَاءَ الْإِلَهَ وَجُودَهُمْ
وَلَا بَدُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى أَسِهِ الْهَدَمُ
خَرَابًا، كَأَنَّ الْكُلَّ فِي أَمْسِهِ وَهَمٌ!^(٣)
وَتِلْكَ الَّتِي تَذْوِي، وَتِلْكَ الَّتِي تَنْمُو؟»^(٤)
وَفُوجٍ يُرَى تَحْتَ التُّرَابِ لَهُ رَدَمٌ؟
وَعَقْلٍ، مِنَ الظُّلُمَاءِ، يَحْمِلُهُ قَدَمٌ؟^(٥)
وَأَفْسَدَةٍ سَكْرَى، يَرِفُ هَا النُّجْمُ؟
فَكَانَ لَهُمْ جَهْلٌ، وَكَانَ لَهُمْ فَهْمٌ!!

(٦) الغاب

[من البسيط]

بَيْتٌ، بَنَتْهُ لِي الْحَيَاةُ مِنَ الشَّدَى
بَيْتٌ، مِنَ السَّحَرِ الْجَمِيلِ، مُشِيدٌ
وَالظَّلُّ، وَالْأَضْوَاءُ، وَالْأَنْغَامُ
لِلْحَبِّ، وَالْأَحْلَامُ، وَالْإِلْهَامُ

(١) أفذاذ: جمع قَدْ: فرد. الرَّمَم: جمع الرَّمَة: العظم البالي.

(٢) نظمها في ٢٥ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ / ١٠ أوت - أغسطس، آب ١٩٣١ م، وهي دون عنوان كذا.

(٣) الورى: الخلق.

(٤) تذوي: تذبل.

(٥) القَدَم: الغليظ الأحمق الجاني.

(٦) نظمها في ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ / ٢٣ جويلية - تموز ١٩٣٤ م.

باقٍ على الأيام والأعوام
 ساوٍ يُرْفَرَفُ في سُكُونٍ سَامٍ
 ونَسِيرٌ حَالَةٌ، بغيرِ نِظَامٍ
 مِنْ يَابِسِ الأَوْرَاقِ والأَكْمَامِ^(١)
 بِالظِّلِّ، والأَغْصَانِ والأنْسَامِ
 وعلى التَّلَاعِ الخُضْرِ، والأَجَامِ^(٢)
 سَكْرَى، وَمِنْ فِكْرٍ، وَمِنْ أَوْهَامٍ
 حَوِيٍّ، وذَابَتْ كَالذَّخَانِ، أَمَامِي
 وَتَهْدُ الأَلَامِ والأسْقَامِ^(٣)
 في الغَابِ تَبْكِي مَيِّتِ الأَيَّامِ
 حَوِيٍّ بِالْحَنِّ الغَرَامِ الظَّامِي^(٤)
 والسَّنْدِيَانِ، الشَّامِخِ المتسَامِي
 في الغَابِ، شَادِيَةً كَسِرْبِ يَمَامِ^(٥)
 بَيْنَ الْفَجَاجِ الْفِيحِ والأَكَامِ^(٦)
 ثَمَلٍ مِنَ الأَلْحَانِ والأنْغَامِ^(٧)
 بِكَابَةِ الأَحْلَامِ والأَلَامِ
 والشُّعْرِ، والتَّفَكِيرِ، والأَحْلَامِ
 للغَابِ، أَرْزُحْ تَحْتَ عَيْبِ سَقَامِي^(٨)
 هَزِجٍ، مِنَ الأَحْلَامِ والأَهَامِ
 كَالطِّفْلِ، فِي صَمْتٍ، وَفِي اسْتِسْلَامٍ
 فَلَخَالُهَا عَمَدُ السَّمَاءِ، أَمَامِي^(٩)
 وَتَمَايَلَتْ فِي جَنَّةِ الأَحْلَامِ

فِي الْغَابِ سِخْرٌ، رَائِعٌ مُتَجَدِّدٌ
 وَشَذَى كَأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ غَامِضٌ
 وَجِدْوَالٌ، تَشْدُو بِمَعْسُولِ الْغِنَا
 وَمَخَارِفٌ نَسِجَ الزَّمَانِ بِسَاطِهَا
 وَحَنًا عَلَيْهَا الدَّوْحُ، فِي جَبْرُوتِهِ
 فِي الْغَابِ، فِي تِلْكَ الْمَخَارِفِ، وَالرُّبَى،
 كَمْ مِنْ مَشَاعِرٍ حَلَوَةٍ، مَجْهُولَةٍ
 غُنَّتْ كَأَسْرَابِ الطُّيُورِ، وَرَفَرَتْ
 وَلَكُمُ أَصْخَتْ إِلَى أَنْاشِيدِ الْأَسَى
 وَإِلَى الرِّيَّاحِ النَّشَائِحَاتِ كَأَنَّهَا
 وَإِلَى الشُّبَابِ، مَغْنِيًا، مَتَرْنَمًا
 وَسَمِعَتْ لِلطَّيْرِ، الْمَغْرَدِ فِي الْفَضَا
 وَإِلَى أَنْاشِيدِ الرَّعَاةِ، مُرْفَةً
 وَإِلَى الصَّدَى، الْمُنْمَرَجِ، يَهْتَفُ رَاقِصًا
 حَتَّى غَدَا قَلْبِي كَنَائِي، مُتَرَعٍ
 فَشَدَوْتُ بِاللَّحْنِ الْغَرِيبِ مَجْنَحًا
 فِي الْغَابِ، دُنْيَا لِلْخِيَالِ، وَلِلرُّؤْيَى،
 اللَّهُ يَوْمَ مَضِيَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَدَخَلَتْهُ وَحْدِي، وَحَوِيٍّ مُوَكَّبٍ
 وَمَشِيَتْ تَحْتَ ظِلَالِهِ مَتَهَيِّبًا
 أَرْنُو إِلَى الْأَذْوَاخِ، فِي جَبْرُوتِهَا
 قَدْ مَسَّهَا سِخْرُ الْحَيَاةِ، فَأَوْرَقَتْ

- (١) المخاريف: جمع المخرف: جنى النخل.
- (٢) الأجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
- (٣) أصخت: أصغيت. الأسقام: الأمراض.
- (٤) الظامي: العطشان.
- (٥) اليام: الحمام الوحشي.
- (٦) الفجاج: جمع الفج: الطريق بين جبلين. فيح جمع فيحاء: واسعة. آكام: جمع أكمة: تلة.
- (٧) متع: ملان. ثمل: سكران. والتاي: آلة موسيقية.
- (٨) أرزح: أسقط إعياء.
- (٩) أرنو: أديم النظر بسكون الطُرف، وانظر متعجياً.

وَأَصِيحُ لِلصَّمْتِ الْمَفْتَرِ، هَائِفًا
فَلِذَا أَنَا فِي نَشْوَةِ شَعْرِيَّةٍ
وَمِشَاعِرِي فِي يَقْظَةٍ مَسْحُورَةٍ
وَسَنَى كَيْقَظَةِ آدَمَ لَمَّا سَرَى
وَشَجَّتْهُ مُوسِيقَى الْوُجُودِ، وَعَانَقَتْ
وَرَأَى الْفَرَادِيسَ، الْأَنِيقَةَ، تَنْثِي
وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، كَالْأَشْعَةَ فِي الْفَضَا
وَأَحْسَ رُوحَ الْكَوْنِ تَحْفَقُ حَوْلَهُ
وَالْكَائِنَاتِ، تَحْوِطُهُ بِحَنَانِهَا
حَتَّى تَمَلَّأَ بِالْحَيَاةِ كِبَانُهُ
وَلَرُبَّ صُبْحٍ غَائِمٍ، مَتَحَجِّبٍ
تَتَنَفَّسُ الدُّنْيَا ضُبَابًا، هَائِمًا
وَالرَّيْحُ تَحْفَقُ فِي الْفَضَاءِ، وَفِي الثَّرَى
بَاكَرَتْ فِيهِ الْغَابَ مُوَهُونَ الْقَوَى
وَجَلَسَتْ تَحْتَ السَّنْدِيَانَةِ، وَاجِمًا
فَأَرَى الْمَبَانِي فِي الضُّبَابِ، كَأَنهَا
أَوْ عَالَمٌ، مَا زَالِ يَوْلَدُ فِي فَضَا
وَأَرَى الْفَجَاجَ الدَّائِمَاتِ، خِلَالَهُ
فَكَأَنهَا شَعَبُ الْجَحِيمِ، رَهِيْبَةٌ

فِي مِسمَعِي بِغَرَائِبِ الْأَنْسَامِ
فِيَاضَةً بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ
(١)
فِي جِسْمِهِ رُوحَ الْحَيَاةِ النَّامِي (٢)
أَحْلَامُهُ، فِي رَقَةٍ وَسَلَامِ (٣)
فِي مَتَرَفِ الْأَزْهَارِ وَالْأَكْمَامِ (٤)
تَنْسَابُ سَابِحَةً، بِغَيْرِ نِظَامِ
فِي الظِّلِّ، وَالْأَضْوَاءِ، وَالْأَنْسَامِ (٥)
وَبِحَبِّهَا، الرَّبِّ، الْعَمِيقِ، الطَّامِي (٦)
وَسَمِعِي وَرَاءَ مُوَاقِبِ الْأَيَّامِ
فِي كَلَّةٍ مِنْ زَعَزَعٍ وَغَمَامِ (٧)
مَتَدَفِّعًا فِي أَفْقِهِ الْمُتَرَامِي
وَعَلَى الْجِبَالِ الشُّمِّ وَالْأَكَامِ (٨)
مَتَخَاذِلِ الْخُطُوبِ وَالْأَقْدَامِ (٩)
أُرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْكَثِيبِ، أَمَامِي
فِكْرٌ، بِأَرْضِ الشُّكِّ وَالْإِلْهَامِ
ءِ الْكَوْنِ، بَيْنَ غِيَاهِ وَسَدَامِ (١٠)
وَمِشَاهِدِ الْوُدَيَانِ وَالْأَجَامِ (١١)
مَلْفُوفَةٌ فِي غُبُوشَةِ وَظْلَامِ (١٢)

(١) كَذَا النقص في الأصل.

(٢) وسنى: ناعسة.

(٣) شجته: أطربته.

(٤) الفراديس: جمع الفردوس: البستان الذي يجمع ما في البساتين.

(٥) الأنسام، يعني: السائم.

(٦) تحوطه: تحفظه. الطامي: الغامر.

(٧) الزعزع، يعني الريح الزعزع التي تحرك. والكيلة: الستر الرقيق.

(٨) الشم: العالية. أكام: جمع أكمة: تلة.

(٩) موهون القوى: ضعيف.

(١٠) الغياهب: الظلمات. السدام: جمع السديم: الغيم الرقيق.

(١١) الأجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.

(١٢) الغبشة: بقية الليل، أو ظلمة آخره.

وَخِي الْقَرِيضَ وَرِيثَةَ الرُّسَامِ^(١)
 بِالظِّلِّ، وَالضُّوءَ الْحَزِينَ الدَّامِي
 فِي نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ وَالْإِلْهَامِ
 مَنَشُورَةً لِلنُّورِ وَالْأَنْسَامِ^(٢)
 وَالْأَرْضَ بِالْأَعْشَابِ وَالْأَكْمَامِ^(٣)
 وَالْأَفْقَ، وَالشَّفَقَ الْجَمِيلَ، أَمَامِي
 فَيَرِنَ قَلْبِي بِالصَّدَى وَعِظَامِي
 فَوْقَ الزَّمَانِ الزَّاجِرِ الدَّوَامِ

صُورَ مِنَ الْفَنِّ الْمُرُوعِ، أَعْجَزْتُ
 وَلَكُمْ مَسَاءً، حَالِمٍ مَتَوَشِّحٍ
 قَدْ سِرْتُ فِي غَابِي، كَفَيْكَرٍ، هَائِمٍ
 شِعْرِي، وَأَفْكَارِي، وَكُلُّ مُشَاعِرِي
 وَالْأَفْقُ يَزْخَرُ بِالْأَشْعَةِ وَالشَّدَى
 وَالْغَابُ سَاجٍ، وَالْحَيَاةُ مُصِيخَةٌ
 وَعُرُوسُ أَحْلَامِي تُدَاعِبُ عُودَهَا
 رَوْحُ أَنَا، مَسْحُورَةٌ فِي عَالِمِ



حَرَمَ الطَّبِيعَةِ وَالْجَمَالِ السَّامِي
 وَلَقِيتُ فِي دُنْيَا الْخَيَالِ سَلَامِي
 سَكَّرَى مِنَ الْاَوْهَامِ وَالْأَنَامِ^(٤)
 وَجَمَالِهِ قَبْسًا، أَضَاءَ ظِلَامِي^(٥)
 كَنَضَارَةِ الزَّهْرِ الْجَمِيلِ النَّامِي
 وَأَجَلُ مِنْ حُزْنِي وَمِنْ أَلَامِي
 نَشَوَانٌ - بِالْقَلْبِ الْكَثِيبِ الدَّامِي:
 يَا كَاهِنَ الْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ،
 وَالْبَسِ رِدَاءَ الشُّعْرِ وَالْأَحْلَامِ^(٦)
 مَشْبُوبَةً بِحَرَارَةِ الْإِلْهَامِ^(٧)
 كَجَمَالِ هَذَا الْعَالَمِ الْبِسَامِ^(٨)
 وَارْقُصْ مَعَ الْأَضْوَاءِ وَالْأَنْسَامِ^(٩)

فِي الْغَابِ، فِي الْغَابِ الْخَيِّبِ، وَإِنَّهُ
 طَهَّرْتُ فِي نَارِ الْجَمَالِ مَشَاعِرِي
 وَنَسِيتُ دُنْيَا النَّاسِ، فَهِيَ سَخَافَةٌ
 وَقَبَسْتُ مِنْ عَطْفِ الْوُجُودِ وَحُبِّهِ
 فَرَأَيْتُ أَلْوَانَ الْحَيَاةِ نَضِيرَةً
 وَوَجَدْتُ سَحَرَ الْكُونِ أَسْمَى عَنَصْرًا
 فَأَهْبْتُ - مَسْحُورَ الْمَشَاعِرِ، حَالِمًا
 «الْمَعْبُدُ الْحَيُّ الْمَقْدَسُ هَا هُنَا
 «فَاخْلَعْ مُسُوخَ الْحَزَنِ تَحْتَ ظِلَالِهِ
 «وَارْفَعْ صَلَاتَكَ لِلْجَمَالِ، عَمِيقَةً
 «وَاصْدَحْ بِالْحَنِّ الْحَيَاةَ، جَمِيلَةً
 «وَاخْفَقْ مَعَ الْعِطْرِ الْمَرْفُوفِ فِي الْفَضَا
 «وَمَعَ الْيَنَابِيعِ الطَّلِيقَةِ، وَالصَّدَى،

- (١) القريض: الشعر.
- (٢) الشدى: قوة ذكاء الرائحة.
- (٣) الأنام: جمع الإنم: الذنب.
- (٤) قبست: أخذت شعلة نار.
- (٥) المسوخ: جمع المسح: البلاس والجادة.
- (٦) مشبوبة: متوقدة.
- (٧) الصداح: رفع الصوت بغناء.
- (٨) كذا فراغ في الأصل.

وَنَثَرْتُهَا لِعَوَاصِفِ الأَيَّامِ (١)
 من صوت أحزاني، وبطش سقامي
 كالنهر في فكري، وفي أحلامي،
 ذُبُلْتُ مِنَ الأَحْزَنِ والآلامِ،
 كالنار، في روح الوجود النامي،
 عُمرِي نشيداً سَاحِراً الأنغامِ،
 في معبدِ الحقِّ الجليلِ السَّامي (٢)

وَدَرَوْتُ أَفْكَارِي الْحَزِينَةَ لِلدَّجَى
 وَمَضَيْتُ أَشَدُّ لَلْأَشْعَةِ سَاحِراً
 وَهْتَفْتُ: «يَا رُوحَ الْجَمَالِ تَدْفُقِي
 «وَتَغْلَغْلِي كَالنُّورِ، فِي رُوحِي الَّتِي
 «أَنْتِ الشُّعُورُ الْحَيُّ يَزْخَرُ دَافِقاً
 «وَيَضُوعُ أَحْلَامِ الطَّبِيعَةِ، فَاجْعَلِي
 «وَشَدَى يَضُوعٌ مَعَ الْأَشْعَةِ وَالرُّؤَى

يا رفيقي (٣)

[من الخفيف]

أَعْمَتُ جَفُونِي عَوَاصِفُ الأَيَّامِ
 قَفَرٌ، تُغَشِّيهِ دَاجِيَاتُ القَمَامِ... (٤)
 قُي، فَسَبِيلُ الْحَيَاةِ وَغَرُّ أَمَامِي
 تَتَضَاغَى بِهِ وَحُوشُ الْحِمَامِ (٥)
 وَرُ، وَقَامَتْ بِهِ بَنَاتُ الظَّلَامِ
 لَيْلٌ، وَيَلْعِنُ بِالْقُلُوبِ الدَّوَامِي (٦)
 نَا السَّاجِرَ الْجَنِّ...، سَاكِنَ الْأَجَامِ (٧)
 جَانِي، وَأَدِيرْتُ آيساً لِظَلَامِي (٨)
 خَابَ ظَنٌّ وَأَخْطَاتُ أَحْلَامِي
 هَرِ فَوَادٍ إِلَى الْحَقِيقَةِ ظَامِي (٩)

يَا رَفِيقِي! وَإِنَّ أَنْتَ؟ فَقَدْ
 وَرَمْتَنِي بِمَهْمِهِ، قَاتِمٍ،
 خُذْ بِكَفِّي، وَغَنِّي، يَا رَفِيقِي
 كُلَّمَا سِرْتُ زُلَّ بِي فِيهِ مَهْوَى،
 شَعْبَتُهُ الدُّهُورُ، وَانْطَمَسَ الدُّ
 رَاقِصَاتٍ، يَخْلُبُنَ فِي حَلْكِ الدِّ
 غَنِّي، فَالْفَنَاءُ يَذُرُّ عِنْدَ
 قَدْ تَفَكَّرْتُ فِي الْوُجُودِ، فَأَع
 أَنْشُدُ الرَّاحَةَ الْبَعِيدَةَ، لَكِنْ
 فَمَعِي فِي جَوَانِحِي أَبَدُ الدُّ

(١) ذروت: نثر. الدجى: الظلام.

(٢) يضوع: ينوح.

(٣) نظمها في ٢٧ محرم ١٣٤٧ هـ / ١٦ جويلية - تموز ١٩٢٨ م.

(٤) المهمة: القفر. داجيات: جمع داجية: مظلمة.

(٥) تتضاغى: تتصايح. الحمام: قضاء الموت وقدره.

(٦) يخلبن: يسلين.

(٧) يذُر: يدفع. الأجام: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف.

(٨) آيس: يائس.

(٩) الجوانح: الجوانب، والأضلاع، والواحد جانحة. ظامي: عطشان.

فِي طَوَايَاهُ قَبْضَةً مِنْ ضَرَامِ
تَ مُعْضَلَاتِ الدُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ (١)
يَوْمًا تُبَلُّ الْحَيَاةُ بَعْضَ أَوْامِي (٢)
نَشْوَدٌ إِلَّا وَرَاءَ لَيْلِ الرَّجَامِ (٣)
بِهَا قَدْ تَمَزَّقَتْ أَقْدَامِي (٤)
إِنِّي قَدْ مَلَلْتُ مِنْ تَهْيَامِي (٥)



سِرِّ، وَمَا يَحْمِلُونَ مِنْ آلامٍ؟
يَلْقَوْنَ مِنْ صَوْلَةِ الْأَسَى الظَّلَامِ
سَاءَنِي مَا يُسِيرُ قَلْبُ الظَّلَامِ
تَهْفُو بِغُصَّاتِ صَبِيَّةٍ أَيْتَامِ
أَبْهَظْتُهَا قَوَارِعُ الْأَيَّامِ (٦)
فُجِعْتُ فِي وَحِيدِهَا الْبَسَامِ،
فِي دَجَاهَا، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الْفِطَامِ
عَضَهُ الدُّهْرِ بِالْخُطُوبِ الْجِسَامِ (٧)
ذَرَفْتُهَا نَحَاجِرُ الْأَعْوَامِ
فَإِذَا بِالشُّجُونِ سَيْلَ طَامِ (٨)
هَرِ تَدُوسُ الرُّؤُوسَ بِالْأَقْدَامِ
سَمِ، تَتَفَذَّى بِكُلِّ قَلْبٍ دَامِ
بِمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ أَنْغَامِ!

مَا تَرَاحَى الزَّمَانُ إِلَّا وَالْقَى
تَتَلَطَّى، يَدُ الْحَيَاةِ وَزَادَ
أَظْمَاتُ مُهْجَتِي الْحَيَاةِ، فَهَلْ
يَا رَفِيقِي! مَا أَحْسَبُ الْمَنْبَعِ الْمَ
غْنِي، يَا أَخِي فَالْكَوْنُ نَيْهَاءَ،
غْنِي، عَلَيَّ أَنْيَمُ هُمُومِي،

يَا رَفِيقِي! أَمَا تَفَكَّرْتَ فِي الدُّ
فَلَقَدْ حَزَّ فِي فُؤَادِي مَا
فَإِذَا سَرْنِي مِنَ الْفَجْرِ نُورُ
كَمْ بِقَلْبِ الظَّلَامِ مِنْ أَنِي
وَنَشِيجِ مُضَرَّمٍ مِنْ فَتَاةٍ،
وَنُوحٍ يَفِضُّ مِنْ قَلْبِ أُمِّ
قَطَمِ الْمَوْتِ طِفْلَهَا، وَهُوَ نُورُ
وَأَنِينٍ مِنْ مُغْدَمٍ، ذِي سَقَامِ
مَا إِخَالَ النُّجُومَ إِلَّا دُمُوعاً،
فَلَقَدْ ضَرَمَ الشُّجُونَ بَنُوهَا،
وَإِذَا بِالْحَيَاةِ فِي مَلْعَبِ الدُّ
وَإِذَا الْكَوْنُ فَلَذَّةٌ مِنْ جَحِي
وَهُمْ فِي جَحِيمِهِمْ يَتَنَاعُونَ

- (١) تتلظى: تتحرق.
(٢) المهجة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(٣) الرُّجَام: المرجاس، وما يبني على البثر. والمرجاس حجر يُشد في حبل فيدلى في البئر، فتمخفض الجثة حتى
تثور ثم يستقى ذلك الماء، فتتقى البثر.
(٤) تيهاء: أرض يتاه فيها.
(٥) التهيام: التحير.
(٦) النشيج: الغصة في البكاء.
قوارع الأيام يعني نوائب الأيام.
(٧) الخطوب: المصائب، الواحد خطب. قوله: عضه الدهر: أي نكبه.
(٨) الشجون: الأحزان. طام: غامر، عال.

عجبا للقلوب، وهي دَوَامٍ
وتلهو ما بين سُودِ المَوَاسِي^(١)

عجبا للنفوس، وهي بَوَاكِ،
كيف تشدُّو وفي محاجرِها الدَّمْعُ،

قِي، وَتَحَطَّتْ مَحْجَتِي أَقْدَامِي
أَعْمَى، كَثِيرُ الضَّلَالِ وَالْأَوْهَامِ
مَا لِمُرْتَادِهِ مِنَ الْهَوْلِ حَامٍ
وَعَجِيجُ الْأَثَامِ وَالْآلَامِ^(٢)
الْأَمْلَاكُ لِلْمُسْتَعِيدِ بِالْإِهْلَامِ
وَسَبِيلُ الْحَيَاةِ جَمُّ الظَّلَامِ...^(٣)

يَا رَفِيقِي! لَقَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقَ
حُذْ بِكَفِي، فَإِنِّي تَائِهٌ،
وَأَنْفُخِ النَّايَ، فَالْحَيَاةُ ظَلَامٌ
يَلُءُ أَفَاقِهِ فَجِيجُ الْأَفَاعِي،
فَأَنْفُخِ النَّايَ، إِنَّهُ هِبَةٌ
وَإِغْذِ السَّيْرَ، فَالنَّهَارُ بَعِيدٌ،

قيود الأحلام^(٤)

[من الكمال]

فَأَرَى الْوُجُودَ يَضِيقُ عَنْ أَحْلَامِي
نِيَا وَعِشْتُ لِوَحْدَتِي وَظِلَامِي
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ، وَالْجَمَالُ السَّامِي^(٥)
مَا إِنْ تُدْنِسُهُ الْحَيَاةُ بِذَامٍ
عَنْهَا وَعَنْ بَطْشِ الْحَيَاةِ الدَّامِي
الْحَلْمُ الْجَمِيلُ، خَفِيفَةُ الْأَقْدَامِ
قُدْسِيَّةٌ، فِي يَمِّهَا الْمُتَرَامِي
لِلْفَنِّ لِلْأَحْلَامِ، لِلْإِهْلَامِ
أُمًّا، يَصُدُّ حَنَانُهَا أَوْهَامِي
فِي الْكَائِنَاتِ مُعَلَّقًا بِسَلَامِي

وَأَوَدُّ أَنْ أَحْيَا بِفِكْرَةِ شَاعِرٍ
إِلَّا إِذَا قَطَعْتُ أَسْبَابِي مَعَ الدُّ
فِي الْغَابِ، فِي الْجَبَلِ الْبَعِيدِ عَنِ الْوَرَى
وَأَعِيشْ عَيْشَةً زَاهِدٍ مَتَنَسِّكٍ
هَجَرَ الْجَمَاعَةَ لِلْجِبَالِ، تَوَرَّعًا
تَمْتَحِي حَوَالِيهِ الْحَيَاةُ كَأَنَّهَا
وَتَحْرُ أَمْوَاجُ الزَّمَانِ بِهَيْبَةٍ
فَأَعِيشْ فِي غَايِ حَيَاةٍ، كُلُّهَا
لِكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ، فَلِإِنْ لِي
وَصِغَارَ إِخْوَانٍ، يَرَوْنَ سَلَامَهُمْ

(١) المَوَاسِي: جمع المومة: القفلة.

(٢) الْأَثَام: جمع الإثم: الذنب.

(٣) الْإِغْذَاذُ فِي السَّيْرِ: الإِسْرَاعُ فِيهِ.

(٤) نَظَمَهَا فِي ٧ صَفَرِ ١٣٥٠ هـ / ٢٤ جَوَان - حَزِيرَانِ ١٩٣١ م.

(٥) الْوَرَى: الْخَلْقُ.

فَقَدُّوا الأبَّ الحَاني، فَكُنْتُ لَضَعِفٍ
وَيَقِيهِمْ وَهَجَ الحِياةِ، وَلَفَحَها
فأنا المَكْبَلُ في سَلاسلَ، حَيَّةِ،
وأنا الَّذي سَكَنَ المَدنيَّةَ، مُكْرَهاً
يُضْغِي إلى الدُّنيا السَّخيفَةِ رَاغِماً
وأنا الَّذي يَحيا بِأَرْضٍ، قَفْرَةٍ
هَجَمَتْ بِالدُّنيا على أَهْوالِها
من غيرِ إنذارٍ فَأَحْجَلَ عُدَّتِي
فَتَحَطَّمتْ نَفْسي على شُطانِهِ

هَمْ كَهْفاً يَضُدُّ غَوائِلَ الأيَّامِ^(١)
وَيَذودُ عَنْهُمْ شَرَّةَ الأَلامِ^(٢)
ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْيِي بِها أَحْلامِي
ومشي إلى الآتي بِقَلْبٍ دامٍ
ويعيشُ مِثْلَ النَّاسِ بِالأَوهامِ
مَذْحُوءَةً لَلشُّكِّ والأَلامِ...^(٣)
وَيَحْضُمُها الرُّحْبُ، العَميقِ الطَّامِي^(٤)
وأخْرَضَهُ كَالسَّابِحِ العَوامِ
وتأَجَّجَتْ في جَوْهِ آلامي

الويلُ في الدُّنيا التي في شَرْعِها فأسُ الطَّعامِ كَريشَةَ الرِّسامِ؟

متاعب العظمة^(٥)

[من الطويل]

إذا صَغُرَتْ نَفْسُ الفَتى كان شوقُهُ
وَمَنْ كان جَبَّارَ المِطامِعِ لم يَزَلْ
صَغيراً، فلم يَتعبْ، ولم يَتَجَشَّمِ^(٦)
يلاقِي في الدُّنيا ضَراوَةَ قَشْعَمِ^(٧)

(١) الغوائل: جمع الغائلة: الداهية، والأمر المنكر.

(٢) يذود: يدفع، ويحمي.

(٣) مذحوة: منبسطة.

(٤) الحِضَم: البحر. الطامي: العالي.

(٥) نظمها في ٢٣ شعبان ١٣٥٢ هـ / ١١ ديسمبر - كانون الأول ١٩٣٣ م.

(٦) تجشَّم: تكلف.

(٧) القشعم: الأسد.

قافية النون

المساء الحزين^(١)

[من المتقارب]

وَفِي كَفِّهِ مِغْرَفٌ لَا يُبِينُ^(٢)
وَفِي طَرْفِهِ حَسْرَاتُ السُّنَيْنِ^(٣)
وَفِي قَلْبِهِ صَعَقَاتُ النُّونِ
يَلْتَمُ الموتُ وَرَدَّ الغُصُونِ
وَسِرُّ الظُّلَامِ، وَلَحْنُ السُّكُونِ
فَنَنْتَ بِهَا فِي الظُّلَامِ الحُزُونَ^(٤)
وَيَقْضِي يَوْسَأُ لَدَيْهَا الحَنِينَ
وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلَافِ الشُّؤُونِ^(٥)
وَفِي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينٌ
شَجِيءٌ، لَعُوبٌ، كَزَهْرِ حَزِينِ
طُرُوبٌ، وَقَدْ ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونُ
وَتَحَضَّنُهُ شَهَقَاتُ الأَنِينِ
لِإِذَا مَا تَأَلَّقَ بَيْنَ الجُفُونِ
لَقَدْ حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السُّنَيْنِ^(٦)
وَعَادَتْ لَهَا خُطُواتُ الجُنُونِ

أَظْلُ الوُجُودِ الْمَسَاءُ الحَزِينُ،
وَفِي ثَغْرِهِ بَسَمَاتُ الشُّجُونِ،
وَفِي صَدْرِهِ لَوْعَةٌ لَا تَقِرُّ،
وَقَبْلَهُ قُبَلًا صَامِتَاتٍ، كَمَا
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِوَحْيِ النُّجُومِ،
وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَزَامِيرَهُ،
وَعَلَّمَهُ كَيْفَ تَأْسَى النُّفُوسُ،
وَأَسْمَعَهُ صَرَخَاتِ القُلُوبِ،
فَاغْضَى عَلَى صَدْرِهِ المِطْمَئِنِّ،
قَوِيٌّ، غَلُوبٌ، كَسِخْرِ الجُفُونِ،
ضَحُوكٌ، وَقَدْ بَلَلَتْهُ الدُّمُوعُ،
تَعَانَيْتُهُ سَكَرَاتُ الهَوَى،
يُشَابَهُ رُوحَ الشُّبَابِ الجَمِي
أَعَادَ لِنَفْسِي خَيَالًا جَمِيلًا...
فَطَافَتْ بِهَا هَجَسَاتُ الأَسَى،

(١) نظمها في ٢٧ رجب ١٣٤٦ هـ / ٢٠ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٨ م.

(٢) المِعْرَفُ: مَا يُعْرَفُ عَلَيْهِ مِنَ الآلَاتِ الموسيقية.

(٣) الشُّجُونُ: الأَحْزَانُ.

(٤) الحُزُونُ: جَمْعُ الحُزْنِ: الأَرْضُ الغليظة.

(٥) السُّلَافُ: الحُمْرَةُ، الشُّؤُونُ: مجاري الدمع إلى العين. أَنْهَلَهُ: مِنَ التَّهَلُّ وَهُوَ أَوَّلُ الشَّرْبِ.

(٦) الصُّرُوفُ: النَوَائِبُ.

فَالْقَى عَلَيْهِ جَمَالاً كَمِيبٍ
يُ، قَوِيَّ جَمِيلٍ، غُلُوبٍ
لَمَرَأَى الْمَسَاءِ الْحَزِينَ الرَّهِيْبِ
لَاوَكَارِهَا، فَرِحَاتِ الْقُلُوبِ^(١)
خِيَالِ السَّمَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحِيْبِ
يُزْجُونَهَا فِي صُمَاتِ الْغُرُوبِ^(٢)
وَتَقْطُفُ زَهْرَ الْمُرُوجِ الْخَصِيْبِ
تِ، يَهِيْجُ، فَرُوحٍ، طُرُوبٍ
فَتَمْنَحُهُمْ كُلَّ لَحْنٍ عَجِيْبٍ
إِلَى الشَّقَقِ الْمُسْتَطِيرِ الْخُلُوبِ^(٣)
أَنَاشِيْدَ عَهْدِ الشَّبَابِ الرُّطِيْبِ
أَمَلِي، الْمُسْتَطَارِ، الْغَرِيْبِ
وَسُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَاجِي الدُّرُوبِ^(٤)
يُغَالِبُ عُنْفَ الْحَيَاةِ الْعَصِيْبِ
يُرْفَرِفُ حَوْلَ فَوَادِي الْخَصِيْبِ

أَظْلَ الْفَضَاءِ جَنَاحُ الْغُرُوبِ،
وَالْبَسَهُ حُلَّةً مِنْ جَلَالٍ، شَجَدَ
فَنَامَتْ عَلَى الْعُثْبِ تِلْكَ الزُّهُورُ
وَأَبَتْ طُيُورُ الْفَضَاءِ الْجَمِيلِ
وَقَدْ أَضْمَرَتْ بِأَغَارِيدِهَا
وَوَلَّى رِعَاةَ السَّوَامِ إِلَى الْحَيِّ
فَتَنَفَّسُوا، حَنِيناً لِحِمْلَانِهَا،
وَهُمْ يُنْشِدُونَ أَهَازِيْمَهُمْ بِصَوِّ
وَيَسْتَمْنِحُونَ مَزَامِيرَهُمْ،
تَطِيرُ بِهِ نَسَمَاتُ الْغُرُوبِ
وَيُوحِي لَهُمْ نَظَرَاتُ الصُّبَايَا
وَأَقْبَلَ كُلُّ إِلَى أَهْلِهِ، سَوَى
فَقَدْ تَاهَ فِي مَغْسَبَاتِ الْحَيَاةِ،
وَوَظَلَ شَرِيداً، وَحِيداً، بَعِيداً،
وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ ذَا غَبْطَةٍ،



وَأَسْكَرَ بِالْحَزَنِ رُوحَ الْوُجُودِ
ي رَبِيعَ الْحَيَاةِ الشَّرُودِ؟
وَيَحْضُرُ فِرْدَوْسُ نَفْسِي الْخَصِيْدِ؟^(٥)
وَتَمْرَحُ نَشْوَى بِذَلِكَ النَّشِيْدِ؟
سَلَامُ الْفَوَادِ، الْجَمِيلِ الْعَمِيْدِ،^(٦)
وَالْقَيْنَةُ فِي ظِلَامِ اللَّحُودِ؟
وَحَاطَبَنِي مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدِ:

وَلَمَّا أَظْلَلَ الْمَسَاءُ السَّيَاءَ،
وَقَفْتُ، وَسَاءَ لَتُهُ: «هَلْ يَزُوبُ لِقَلْبِ
فَتَخَفْتُ فِيهِ أَغْنَايَ الْوُرُودِ
وَتَخْتَالُ فِيهِ عَرُوسُ الصُّبَاحِ،
وَيَرْجِعُ لِي مِنْ عِرَاصِ الْجَحِيمِ
وَفَقَدْ كَبَلَتْهُ بَنَاتُ الظَّلَامِ،
فَأَصْفَى إِلَى لَهْفِي الْمُسْتَمِرَّ،

(١) آبت: رجعت.

(٢) السوام: الماشية التي ترسل لترعى. يزجونها: يسوقونها.

(٣) الخلوب: الذي يخلب أي: يسلب.

(٤) قوله: معسبات الحياة يعني مصاعبها. والعسبة: الشق في الجبل.

(٥) الفردوس: البستان، فيه من كل البساتين.

(٦) العيراص: جمع العرصة: البقعة بين الدور الواسعة ليس فيها بناء. العهد: قديم العهد.

وَلَكِنْ سِحَرَ الْهَوَى لَا يَعُودُ^(١)
 وَسَخَطُ الْقُنُوطِ الْقَوِيُّ الْمُرِيدُ^(٢)
 فَمَادَتْ بِكُلِّ مَكِينٍ، عَتِيدُ^(٣)
 وَكَانَ مِنْ قَبْلِ جَلْدًا، شَدِيدُ:
 فَمَا فَازَ إِلَّا الصُّبُورُ، الْجَلِيدُ^(٤)
 فَخَلَفَ الدِّيَاجِيرُ فَجْرُ جَدِيدُ^(٥)
 لَمَّا نَضَدَ الرُّوْضُ تِلْكَ الْوُرُودُ^(٦)
 لَمَّا نَسَجَ الصُّبْحُ تِلْكَ الْبُرُودُ^(٧)

«تَعُودُ أَذْكَارَاتُ ذَاكَ الْهَوَى،
 فَجَاشَتْ بِنَفْسِي مَآسِي الْحَيَاةِ،
 وَلَمَّا طَغَتْ عَصَفَاتُ الْقُنُوطِ
 أَهَبْتُ بِقَلْبِي، الْهَلُوعِ، الْجَزُوعِ،
 «تَجِلَّدُ، وَلَا تَسْتَكِينُ لِلْيَالِي،
 «وَلَا تَأْسَ مِنْ حَادِثَاتِ الدُّهُورِ،
 «وَلَوْلَا غَيُومُ الشِّتَاءِ الْفِصَابُ
 «وَلَوْلَا ظِلَامُ الْحَيَاةِ الْعَبُوسُ

الذكري^(٧)

[من مجزوء الكامل]

فِي دَوْحَةِ الْحُبِّ الْأَمِينِ^(٨)
 بَيْنَ الْخَمَائِلِ وَالْقُصُودِ^(٩)
 السُّهُولِ وَفِي الْحَزُونِ^(١٠)
 لَنَا، وَشَعَشَعَهَا الْفُتُونُ^(١١)
 خَرَهَا، غَضِبَ الْمُنُونُ^(١٢)
 بَ، وَحَطَمَ الْجَامُ الثَّمِينُ^(١٣)

كُنَّا كَزَوْجِي طَائِرٍ،
 نَتَلُو أَنَاشِيدَ الْمَنَى
 مُتَفَرِّدِينَ مَعَ الْبَلَابِلِ فِي
 مَلَأَ الْهَوَى كَأْسَ الْحَيَاةِ
 حَتَّى إِذَا كِذْنَا نُرْشِفُ
 فَتَخَطَّفَ الْكَأْسَ الْخَلُوعُ

-
- (١) أذْكَارَاتُ: ذَكَرِيَّاتُ.
 (٢) الْقُنُوطُ: الْيَأْسُ.
 (٣) مَادَ: اضْطَرَبَ. الْعَتِيدُ: الْحَاضِرُ الْمَهِيَّ.
 (٤) الدِّيَاجِيرُ: جَمْعُ الدِّيَمُورِ: الظَّلَامُ. لَا تَأْسَ: لَا تَحْزَنْ.
 (٥) نَضَدَ: ضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ.
 (٦) الْبُرُودُ: جَمْعُ الْبُرْدِ: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ.
 (٧) نَظَمَهَا فِي ٢٩ جُمَادَى الْأُولَى ١٣٤٦ هـ / ٢٤ نَوَفَمْبَرِ ١٩٢٧ م.
 (٨) الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ.
 (٩) الْخَمَائِلُ: جَمْعُ الْخَمِيلَةِ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفِ.
 (١٠) الْحَزُونُ: جَمْعُ الْحَزْنِ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ.
 (١١) شَعَشَعَ: فَرَّقَ.
 (١٢) الْمُنُونُ: الْمَوْتُ.
 (١٣) الْجَامُ: إِنَاءٌ مِنْ فِصَّةٍ. الْخَلُوبُ: السَّلُوبُ.

وأراق خمر الحب في وادي الكأبة والأنين
وأهاب بالحب الوديع مع، فودّع العُش الأمين
وشدا يلحن الموت في الأفق الحزين المستكين
ثم اختفى خلف الغيوم، كأنه الطيف الحزين... (١)

يا أيها القلب الشج رُحماك قد عذبتني
يا أيها القلب الشج رُحماك قد عذبتني
مات الحبيب، وكل م
فاضير على سخط الزم
فلسوف ينقذك المنون،
يا أيها القلب الشج رُحماك قد عذبتني
بالصمت والدمع الهتون (٣)
ما قد كنت ترجو أن يكون
ل، وما نصرفه الشؤن
ويفرح الروح السجين...

ورّد الحياة مرثق، والموت مودّعه معين (٤)
ولربما شاق الردى الدأ جي، وأعماق المنون
قلبا، تروعه الحياة، ولا تهدئه السنون
ومشاعرا حصى، يسير بها القنوط إلى الجنون (٥)

الصباح الجديد (٦)

[من مجزوء الخفيف]

أسكني يا جراح واسكني يا شجون
مات عهد النواخ وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

(١) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٢) الشجون: الأحزان.

(٣) الهتون: الذي يسيل بغزارة.

(٤) مرثق: مكدر.

(٥) القنوط: اليأس.

(٦) نظمها في ١٣ ذي الحجة ١٣٥١ هـ / ٩ أبريل - نيسان ١٩٣٣ م.

في فجاج الردى	قد دفنت الأم ^(١)
ونشرت الدُمُوع	لِرِيَّاحِ الْعَذَمِ
وَأَتَّخَذْتُ الْحَيَاةَ	لِنُغَمِ
أَتَغْنِيْ عَلَيْهِ	فِي رِحَابِ الزَّمَانِ
وَأَذْبَتُ الْأَسَى	فِي جِمالِ الْوُجُودِ
وَدَحَّوْتُ الْفَزَادُ	وَاحَةً لِّلنَّشِيدِ ^(٢)
وَالضُّيَا وَالظُّلَالُ	وَالشَّدَى وَالْوَرُودُ
وَالشُّبَابُ وَالْمَنَى	وَالْحَنَانُ

اسْكُنِي يَا جِرَاحُ	وَاسْكُنِي يَا شُجُونُ
مَاتَ عَهْدُ النَّوَاحِ	وَزَمَانُ الْجَنُونِ
الصُّبْحِ	مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

فِي فَوَادِي الرِّحَابِ	مَغْبَدُ الْجَمَالِ
شَيْدَتُهُ الْحَيَاةَ	بِالرَّؤْيِ، وَالْخَيَالِ
فَتَلَوْتُ الصَّلَاةَ	فِي خَشْعِ الظُّلَالِ...
وَحَرَقْتُ الْبُخُورَ...	وَأَضَاتُ الشُّمُوعِ...

إِنْ سِحَرَ الْحَيَاةَ	خَالِدُ لَا يَزُولُ
فَعَلَامُ الشُّكَاةِ	مِنْ ظِلَامِ يَحُولُ ^(٣)
ثُمَّ يَأْتِي الصُّبْحُ	وَتَمُرُّ الْقُصُورُ...؟
سَوْفَ يَأْتِي رَبِيعُ	إِنْ تَقْضَى رَبِيعُ
أُسْكُنِي يَا جِرَاحُ	وَاسْكُنِي يَا شُجُونُ
مَاتَ عَهْدُ النَّوَاحِ	وَزَمَانُ الْجَنُونِ
الصُّبْحِ	مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

(١) الردى: الهلاك. الفجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.

(٢) دحوت: بسطت. الواحة: أي: الساحة.

(٣) الشكاة: الشكوى. يحول: يتحول ويتغير.

من وراء الظلام ومدير المياه
قد دعاني الصُّباح وَرَبِيعُ الحَيَاةِ
يا لَهُ مِنْ دُعَاءِ هَزَّ قلبي صَدَاءُ
لَمْ يَعُدْ لي بَقَاءُ فوق هذه البَقَاعِ



الْوَدَاعُ! يا جِبَالِ الهُمُومِ
يا ضُبابِ الأَسَى! يا فِجَاجِ الجَحِيمِ^(١)
قد جرى زُورَقِي في الخِضَمِّ العَظِيمِ...^(٢)
ونشرتُ القِلاَعُ... فالْوَدَاعُ! الوداع

تحت الغصون^(٣)

[من الخفيف]

هَهُنَا فِي خَمَائِلِ الْغَابِ، تَحْتَ الزَّأِ
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَهْوَى
مَا أَرَقَ الشَّبَابُ، فِي جَنْبِكَ الْغُضْ
وَأَدَقَّ الْجَمَالَ فِي طَرَفِكَ السَّاهِي،
وَالدُّ الْحَيَاةَ حِينَ تَغْنِي
وَأَرَى رُوحَكَ الْجَمِيلَةَ عِطْرًا
قَدْ تَغْنَيْتِ مِنْذُ حِينَ بِصُوتِ
نَغْمٍ كَالْحَيَاةِ عَذْبًا عَمِيقًا
فَإِذَا الْكَوْنُ قِطْعَةً مِنْ نَشِيدِ
فَلِمَنْ كُنْتَ تُنَشِّدِينَ؟ فَقَالَتْ:
«لِلضُّبَابِ الْمَوْرَدِ، الْمِتْلَاثِي
«لِلْمَسَاءِ الْمَطْلِّ لِلشَّفَقِ السَّاءِ

(١) الفجاج: جمع الفج: الشق بين الجبلين.

(٢) الخضم: البحر.

(٣) نظمها في جمادي الثانية ١٣٥٢ هـ / ٢١ سبتمبر - أيلول ١٩٣٣ م.

(٤) الخمائل: جمع الحميلة: الشجر الكثير الملتصق. الزان، والسنديان والزيتون: ضروب من الشجر.

(٥) الجيد: العنق.

(٦) ضايح: منتشر.

قِي وَيَفْنَى، مَثَلُ الْمَنَى، فِي سَكُونٍ
عِي بِمِزْمَارِهِ الصَّغِيرِ، الْأَمِينِ
نِيَا حَيَاةَ الْهَوَى، وَرُوحَ الْحَنِينِ
مِ وَالزُّهْرِ، وَالشَّدَى، وَاللُّحُونِ^(١)
عَلَى السَّهْلِ، وَالرُّبَى وَالْحُزُونِ^(٢)
لِهَذَا الثَّرَى، لَتَلَكَّ الْغُصُونِ
مِي بِعِطْرِ الْأَقْحَاقِ وَالْيَمُونِ^(٣)
نِيَا لِأَشْوَاقِ قَلْبِي الْمَشْجُونِ
مِي بِضَوْءِ الْمَنَى وَظِلِّ الشُّجُونِ
بُودَ، لِلْيَاسِ، لِلْأَسَى، لِلْمَنُونِ^(٤)

«لِلْعَبِيرِ الَّذِي يَرْفَرُ فِي الْأَفْ
لِلْأَغَانِي الَّتِي رَدَّدَهَا الرَّأ
لِلرَّبِيعِ الَّذِي يُوجِّجُ فِي الدُّ
«وَيُوشِي الْوُجُودَ بِالسُّخْرِ، وَالْأَحْلَا
«لِلْحَيَاةِ الَّتِي تَغْنِي حَوَالِي!
«لِلنَّابِيعِ، لِلْعَصَافِيرِ، لِلظَّلْ
«لِلنَّسِيمِ الَّذِي يَضْمَخُ أَحْلَا
«لِلجَمَالِ الَّذِي يَفِيضُ عَلَى الدُّ
«لِلزُّمَانِ الَّذِي يُوَشِّحُ أَيَّا
«لِلشُّبَابِ السُّكْرَانِ، لِلْأَمَلِ الْمَعْدِ



مَنْ يَغْنِيهِ؟ مَنْ يُبِيدُ شُجُونِي؟
قُبْلَا عِبْقَرِيَّةَ التَّلْحِينِ
وَأَنَارَتْ لَهُ ظِلَامَ السَّنِينِ
عَلَى لَحْنِهَا الْعَمِيقِ الرُّصِينِ

فَتَنَهَذْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: «وَقَلْبِي
قَالَتْ: «الْحُبُّ» ثُمَّ غَنَّتْ لِقَلْبِي
قُبْلَا، عَلِمْتُ فَوَادِي الْأَغَانِي،
قُبْلَا، تَرَقَّصُ السَّعَادَةُ، وَالْحُبُّ



حُورٍ: قَوْلِي، تَكَلَّمِي، خَبَّرْنِي
طَالَعَتْنِي فِي ضَوْءِ هَذِي الْعُيُونِ:
لِي «يُغْنُونِ فِي حُنُوِّ حُنُونِ»
نَ بِزَهْرِ التُّفَاحِ وَالْيَاسْمِينِ
وَ أَطَافَتْ بِهِ عَذَارَى الْفُنُونِ^(٥)
سَ كَأَحْلَامِ شَاعِرِ مَجْنُونِ^(٦)

.. وَأَفَقْنَا، فَقُلْتُ كَالْحَالِمِ الْمَسْدِ
«أَيُّ دُنْيَا مَسْحُورَةٍ، أَيُّ رُؤْيَا
«زُمَرُ مِنْ مَلَائِكِ الْمَلَأِ الْأَعْدِ
«وَصَبَايَا رَوَاقِصٍ، يَتَرَأَّشَقُ
«فِي فُضَاءٍ، مُورِدٍ حَالِمٍ سَا
«وَجَحِيمٍ تُوَجِّجُ تَحْتَ فَرَادِيدِ

(١) يوشى: يلون. الشدى: قوة ذكاء الرائحة.

(٢) الربى: جمع الرابية: التلة. الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.

(٣) يضمخ: يطلع بالطيب. الاقاصي: من النباتات البرية ذات زهر أحمر.

(٤) المنون: الموت.

(٥) أطافت: أحاطت.

(٦) توج: تتأجج أي تتوهج. الفردوس: البستان - يجمع كل ما يكون في البساتين.

«أي خمر مؤجج ولهب
 أي خمر رشفت، بل أي نار
 «وردتها الحياة في لب السحر
 أي إثم مقدس، قد لبسنا
 قَبْدا طيفُ بسمه، ساجر، عذ
 واجابت. وكلها فتنة تُغ
 أبدا! أنت حالم، فاسأل اللد
 وسكتنا، وغرّد الحب في الغا
 وبني الليل والربيع حواله
 معبدا للجمال، والحب شعريا،
 تحته يزخر الزمان، ويجري
 وتمر الأيام، والحزن، والمو
 معبدا، ساحرا، مباحرة الزه
 كل زهر يضوع منه أريج
 ونجوم السماء فيه شموع
 ومضت نعمة توشوس للغا
 وطقى السحر، والغرام بقلبي
 «طهري يا شقيقة الروح تغري
 «إن نار الحياة والكوتر المند
 «فهو كأس سخرية، لرحيق ال
 «قبلي، وأسكرني تغري الصا
 علي أستطيع أن أتغنى
 «آه ما أجمل الظلام! وأقوى
 «انظري الليل فهو حلة الأح

مُسكِر؟ أي نشوة، وجنون؟
 في شفاؤه، بديعة التكوين
 ر، ونور الهوى، وظل الهوى، وظل الشجون
 بُرْدَه في مسائنا الميمون؟^(١)
 ب، على ثغرها، قوي الفتون
 وي، وتغري بالحب، بل بالجنون :
 ل، فعند الظلام علم اليقين..
 ب، فأصغى حتى حفيف الغصون
 لنا من السحر والرؤى والسكون
 مَشِيداً على فجاج السنين^(٢)
 صامتا، في مسيله المحزون
 ت، بعيداً عن ظله المامون
 ر، على الصخر، والثرى، والغصون
 من بخور الربيع، جم الفتون
 أوقدتها للحب روح القرون
 ب، وتشدو في عمق ذاك السكون^(٣)
 فتوسلت ضارعا بجفوني:
 بلهب الحياة، بل قبلي
 شود، في ثغرك الشهي، الحزين^(٤)
 خلّد قد صاغها إله الفنون
 دي وقلبي، وفتنتي، وجنوني^(٥)
 لجمال الدجى بوحى الغيمون
 وحيه في فؤادي المفتون
 للام يمضي على الذرى والحزون^(٦)

(١) الإثم: الذنب. البرد: صرب من الثياب المخططة.

(٢) الفجاج: جمع الفخ: الشق بين جبلين.

(٣) توشوس من الوسوسة: حديث النفس بما لا خير فيه.

(٤) الكوتر: النهر، ونهر في الجنة.

(٥) الصادي: الشديد العطش.

(٦) اللرى: جمع اللروة: القمّة. الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.

نِ تَغْنِي لِحَبْنَا الْمِيمُونِ^(١)
بِ بَعِيدُ الْمَدَى، قَوِي الْفُتُونِ
لَامِ وَالْحُبِّ.. فَأَبْسِمِي، وَالْثُمْنِي^(٢)

رُنَّةَ اللَّثْمِ فِي خُشُوعِ السُّكُونِ!

«وَأَسْمَعِي الْغَابَ، فَهُوَ قِيَارَةُ الْكُو
إِنْ سِخَرَ الضُّبَابِ، وَاللَّيْلِ، وَالْفَا
«وَجَمَالَ الظَّلَامِ يَمْبِقُ بِالْأَحَدِ

أَوَا مَا أَعَذَّبَ الْفَرَامَ وَأَحْلَى



لَامِ تَحْتَ السَّمَاءِ، تَحْتَ الْغُصُونِ..
ه.. وَغَبْنَا فِي عَالَمِ مَفْتُونِ..
نَ وَمَا فِيهِ مِنْ مُنَى وَمَنْوُنِ^(٣)

وَسَكِرْنَا هُنَاكَ.. فِي عَالَمِ الْأَحَدِ
وَتَوَارَى الْوُجُودُ عَنَّا بِمَا فِيهِ
وَنَسِينَا الْحَيَاةَ، وَالْمَوْتَ، وَالسُّكُو

كهرباء الغرام^(٤)

[الخفيف]

وَتَيَّارَهَا بِسِلْكِ الْجَفُونِ^(٥)
فَإِذَا مَسَّهَا فَنَارُ الْمَنُونِ^(٦)
صَارَ حُبًّا، مَدْلَمًا، ذَا فُتُونِ^(٧)
وَيَصِيرُ الْخَبُورُ لَيْلَ شَجُونِ^(٨)

كهرباء الغرام في الأعين النُّجْلِ
يُرْسِلُ اللَّحْظَ لِلْقُلُوبِ كُنُورِ
فَإِذَا مَا انْجَلَى نِقَابُ الْأَمَانِي
يَقْرَعُ السُّنَّ حُرْقَةً وَابْتِهَالًا

(١) القيثارة: من الآلات الموسيقية.

(٢) اللثم: التقييل.

(٣) المنون: الموت.

(٤) ليست في أصول الديوان، هي من مجموعة زين الدين السنوسي في كتابه: «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر».

(٥) الأعين النُّجْلِ: الواسعة.

(٦) المنون: الموت.

(٧) النِّقَابُ: اللغطاء.

(٨) الخبور: الفرح. الشجون: الحزن.

أغنية الشاعر^(١)

[من البسيط]

فَقَدْ سَمْتُ وَجُومَ الْكَوْنِ، مِنْ جِينِ
بِالسُّخْرِ أَضَحْتُ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِ
قَلْباً عَطُوفاً يُسَلِّيهَا، فَعَزَّيْنِ
بَلَوَى الْحَيَاةَ، وَأَحْزَانُ الْمَسَاكِينِ^(٢)
فَمَنْ إِذَا مِتُّ يَبْكِيهَا وَيَبْكِيَنِي؟
نَفْسِي مِنَ النَّاسِ أَبْنَاءِ الشَّيَاطِينِ
فِي مِعْزَفِ الدَّهْرِ غَرِيدُ الْأَرَانِينِ^(٣)
وَعَادَةُ الْحُبِّ ثَكْلِي، لَا تَغْنِيَنِي^(٤)
أَسْلُو؟ وَمَا نَفْعُ مَحْزُونٍ لِمَحْزُونٍ؟^(٥)
عَدِمْتُ مَا أَرْغَمِي فِي الْعَالَمِ الدُّونِ
وَحَيَّ السَّاءِ، فَهَاتِيهَا، وَغْنِيَنِي
تَجَلَّوْا عَنِ النَّفْسِ أَحْوَانُ الْأَحَابِينِ^(٦)
فِيهِ الْأَمَانِي، فَمَا عَادَتْ تَنَاقِيَنِي
أَوْتَارَ رُوحِي أَصْوَاتُ الْأَفَانِينِ
لِي الْحَيَاةُ لَدَى غَصْرِ الرِّيَّاحِينِ
يُلَوِّنُ الْغَيْمَ هَوَاً أَيْ تَلْوِينِ
فَجَرَّ الْهَوَى فِي جَفُونِ الْحُرْدِ الْعَيْنِ^(٧)

يَا رَبَّةَ الشُّعْرِ وَالْأَحْلَامِ، غْنِيَنِي
إِنْ اللَّيَالِي اللَّوَاتِي ضَمَخْتُ كَبِيدِي
نَاحَتْ بِنَفْسِي مَاسِيَهَا، وَمَا وَجَدْتُ
وَهَذَا مِنْ خَلْدِي نَوْحُ، تُرْجِعُهُ
عَلَى الْحَيَاةِ أَنَا أَبْكِي لِشِقْوَتِهَا
يَا رَبَّةَ الشُّعْرِ، غْنِيَنِي، فَقَدْ ضَجِرْتُ
تَبَرَّمْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا، وَأَعْوَزَهَا
وَرَاةَ اللَّيْلِ مَلَأَى مِنْ مَذَامِيرِهِ
فَهَلْ إِذَا لُدْتُ بِالظُّلُمَاءِ، مُنْتَجِباً
يَا رَبَّةَ الشُّعْرِ إِنِّي بَاسِرٌ تَعِسُ
وَفِي يَدَيْكَ مَزَامِيرُ يُجَالِجُهَا
وَرَتَّلِي حَوْلَ بَيْتِ الْحُزْنِ أَغْنِيَةً
فَإِنَّ قَلْبِي قَبْرٌ، مُظْلِمٌ، قُبِرْتُ
لَوْلَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمَّا لَسْتُ
وَلَا تَغْنَيْتُ مَاخُوداً... وَلَا عَذْبْتُ
وَلَا أَزْدَهَمِي النَّفْسَ فِي أَشْجَانِهَا شَفَقُ
وَلَا اسْتَخَفْتُ حَيَاتِي، وَهِيَ هَائِمَةٌ

(١) نظمها في ١٦ رمضان ١٣٤٦ هـ / ٨ مارس - آذار ١٩٢٨ م.

(٢) الخلد: البال والنفس والقلب.

(٣) الأرانين: يعني الأصوات.

(٤) الثكل: التي فقدت.

(٥) لُدْتُ: التجأت. منتحب، من النحيب: شدة البكاء.

(٦) أحابين: جمع الجمع من أحيان أي أوقات.

(٧) الحرد: جمع الخريدة: الحفرة الطويلة السكون، أو البكر التي لم تمس.

الإعتراف^(١)

[من البسيط]

ما كنتُ أَحْسَبُ بعدَ موتِكَ يا أبي
أني سَأَظْمَأُ للحياة، وأحسِّي
وأعوذُ للدُّنيا بقلبِ خَافِقٍ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُورِ المني
تَحَرَّكَتُ السُّنُونُ، وأقبلتُ
فلِإِذَا أنا ما زلتُ طفلاً، مُولِعاً
وإذا التَّشَاؤُمُ بالحياة ورفضها
إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نَفْسِهِ
ومشاعري عمياء بالأحزانِ
مِنْ نَهَرِها المتوهِّجِ النَّشْوانِ
للحُبِّ، والأفراحِ، والألحانِ
وغرائبِ الأهواءِ والأشْجَانِ^(٢)
فِتْنُ الحياةِ بخرها الفَتانِ
بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ^(٣)
ضربُ من البُهْتَانِ والمُذْيَانِ^(٤)
عبدُ الحياةِ الصَّادِقُ الإيمانِ

الحياة^(٥)

[من الخفيف]

إنَّ هَذا الحَيَاةَ قِيَّاسَةً اللهُ،
نَقَمَ يَسْتَبِي المَشايرَ كَالسُّحَرِ،
وَالْيَالِي مَغَاوِرُ، تُلْجِدُ اللَّحْزَ
وَأَهْلُ الحَيَاةِ مِثْلُ اللَّحُونِ^(٦)
وَصَوْتُ يُجَلُّ بِالتَّلْجِينِ^(٧)
عَنْ وَتَقْضِي عَلَى الصَّدَى الْمُسْكِينِ^(٨)

(١) نظمها في ٣ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ / ١٧ فيفري - شباط ١٩٣٤ م.

(٢) الأشجان: الأحزان، الواحد شَجَن.

(٣) التَّعَقَّبُ: التَّيَبُّ.

(٤) البهتان: الكذب. المذيان: الكلام لا معنى له.

(٥) نظمها في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ / ٢١ ديسمبر - كانون الأول ١٩٢٥ م. وهي مما نشره الأستاذ السنوسي.

(٦) القيَّارة: من الآلات الموسيقية. اللحون: الألحان والأنغام.

(٧) يستبي: يستلب.

(٨) المغاور: جمع المغارة: الكهف. الصدى: ما يسمعه المصوت في المغارة أو في الوادي.

قافية الهاء

أنا أبكيك للحب^(١)

[من مجزوء الرمل]

لَسْتُ يَا أُنْسِي أَبْكِي كَ لِمَجْدٍ أَوْ لِحَاةٍ
فَسَلَبْتُهُ مِنِّي الدُّنْيَا، وَبَرَزْتَنِي رِدَاةً^(٢)
فَأَنَا أَحْتَقِرُ الْمَجْدَ لَدَى وَأَوْهَامَ الْحَيَاةِ

أَوْ لَعُمْرِي، بَلَغْتَ مَنْدُ لُ الْيَلَالِي مُنْتَهَاةٍ
وَتَلَاشْتُ فِي خِضَمِّ الْ زَمَنِ الطَّاعِي قِوَاةً^(٣)
فَأَنَا مَا زِلْتُ فِي فَجْ رِ شَبَابِي أَوْ ضُحَاةٍ
لَا، وَلَا أَبْكِيكَ يَا أَمْسَ يَ، إِذَا مَا قُلْتُ: «آه»
لِنَعِيمٍ، لَمْ يَنْلُقْ قَلْدُ جِي مِنْهُ مُشْتَهَاةٍ
فَبُنُو الْأَيَّامِ فِي الدُّ نْيَا كَمَا شَاءَ الْإِلَهَ

إِنَّمَا أَبْكِيكَ لِلْحُبِّ، الَّذِي كَانَ يَهَاةٍ
يَمْلَأُ الدُّنْيَا فَأَنِّي سِرْتُ فِي الدُّنْيَا أَرَاةٍ
فَلِذَا مَا لَاحَ فَجْرُ، كَانَ فِي الْفَجْرِ سَنَاءُ^(٤)
وَإِذَا غَرَدَ طَيْرٌ، كَانَ فِي الشَّدْوِ صَدَاةٍ

(١) نظمها في ٨ جمادي الأولى ١٣٥٠ هـ / ٢١ سبتمبر - أيلول ١٩٣١ م.

(٢) برزتني: غلبتني وسلبتني. الرداء: الثوب.

(٣) الخضم: البحر. تلاشت: توارت.

(٤) السناء: الضوء.

وَإِذَا مَا ضَاغَ عِطْرُ، كَانَ فِي الْعِطْرِ شَذَاةُ
وَإِذَا مَا رَفَّ زَهْرُ، كَانَ فِي الزَّهْرِ صِبَاةُ
فَنُورُ فِي الْكَوْنِ جَمَالُ، يَمْلَأُ الْأَفْقَ ضِيَاةُ
وَتُوْشِيْ هَذِهِ الْأَكْ، وَأَنَّ بِالسُّحْرِ رُؤَاةُ
وَهُوَ فِي قَلْبِي - الَّذِي عَانَقَهُ الْفَجْرُ - إِلَهَا
عَبَقْرِي السُّحْرِ، مِمَّا حَ وَدِيْعٌ فِي سَمَاءَا^(١)
يَنْسُجُ الْأَحْلَامَ فِي قَلْدِ بِي بِأَضْوَاءِ الْحَيَاةِ
وَيُغْنِيْنِي، فَانْسَ سِي فِي مَعْرَاتِ غِنَاةِ
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ حُزْنٍ وَأَفْرَاحِ، عَدَاةُ

يا ابن أُمِّي^(٢)

[من المتقارب]

خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطَيْفِ النُّسِيمِ، وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءَا^(٣)
تَغَرَّدَ كَالطَّيْرِ أَيْنَ انْدَفَعَتْ، وَتَشَدُّو بِمَا شَاءَ وَحْيُ الْإِلَهِ
وَتَمْرَحُ بَيْنَ وَرُودِ الصُّبَّاحِ، وَتَنْعَمُ بِالنُّورِ، أَنَّى تَرَاهِ
وَتَمُتِي - كَمَا شِئْتَ - بَيْنَ الْمُرُوجِ، وَتَقْطُفُ وَرْدَ الرَّبِّ فِي رُبَاهِ
كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ، يَا ابْنَ الْوُجُودِ، وَالْقَتْلُ فِي الْكَوْنِ هَذِي الْحَيَاةِ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذَلِكَ الْقِيُودِ، وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَلُوكَ الْجَبَاةِ؟
وَتُسْكِتُ فِي النَّفْسِ صَوْتَ الْحَيَاةِ الْقَوِيَّ إِذَا مَا تَغْنَى صَدَاةُ؟
وَتَطْبِقُ أَجْفَانَكَ النَّيْرَاتِ عَنِ الْفِءِ جَرٍ، وَالْفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاةِ
وَتَقْنَعُ بِالْعَيْشِ بَيْنَ الْكَهُوفِ، فَأَيْنَ النُّشِيدُ؟ وَأَيْنَ الْإِيَاةُ؟^(٤)
أَتَحْنِي نَشِيدَ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ؟ أَتَرْهَبُ نَوْرَ الْفَضَا فِي ضَحَاةِ؟
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ، فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ؟
وَلَا تَحْشُ مِمَّا وَرَاءَ السَّلَاعِ...

(١) فرس محراح: نشيط.

(٢) نظمها في ١٠ رمضان ١٣٤٧ هـ / ٢٠ فيفري - شباط ١٩٢٩ م.

(٣) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٤) الإيابة، يعني: الشعاع.

والأ ربيعُ الوجودِ الغريرُ، والأ أريجُ الزهورِ الصُّباحِ،
والأ حَمَامُ المروجِ الأنيقِ، إلى النورِ! فالنورُ عَذْبٌ جميلٌ،
يَطْرُقُ بالوردِ ضَافِي رِدَاةٍ...^(١)
ورقَصُ الأشعةِ بينَ المياهِ...
يغردُّ منطلقاً في غِنَاءِ...
إلى النورِ فالنورُ ظِلُّ الإلهِ

إلى طغاة العالم^(٢)

[من المتقارب]

ألا أيها الظالمُ المستبدُّ
سَخَرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ
وَسِزْتَ تُشَوِّهُ سِحْرُ الوجودِ
رُؤْيَاكَ! لا يَخْدَعُنكَ الربيعُ
ففي الأفقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلامِ
حَذَاراً! فَتَحَتِ الرُّمَادِ اللهبُ
تأمل! هنالك... أَنَّى حَصَدْتَ
وَرَوَيْتَ بِالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ
سَجَرُفَكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدَّمَاءِ
حَبِيبُ الظَّلامِ، عَدُوُّ الحَيَاةِ
وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دِمَاءِ^(٣)
وَتَبَذَرْتَ شَوْكَ الْأَسَى فِي رَبَاهِ
وَصَحَوُ الْفَضَاءِ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ
وَقَصْفُ الرُّعُودِ، وَعَصْفُ الرِّيَّاحِ
وَمَنْ يَبْذِرُ الشَّوْكَ يَحْنِ الْجِرَاحُ
رُؤُوسَ الْوَرَى، وَزَهْوَرَ الْأَمَلُ^(٤)
وَأَشْرَبَتْهُ الدَّمْعُ، حَتَّى ثَمِلَ^(٥)
وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمَشْتَعِلُ

تونس الجميلة^(٦)

[من الخفيف]

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَوِيلٍ،
أَوْ لِرَبْعِ غَدَا الْعَفَاءِ مَرَّاحَةٍ^(٧)

(١) الغرير من العيش: ما لا يفزع أهله، والغرير: الشاب لا تجربة له. ويريد هنا الحسن.

(٢) نظمها في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٢ هـ / ٨ أبريل - نيسان ١٩٣٤ م.

(٣) مخضوبة: مصطبغة.

(٤) الورى: الخلق.

(٥) ثَمِلَ: سكر.

(٦) نظمها في ١٠ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ / ٢ جوان - حزيران ١٩٢٥ م.

(٧) العسف بالليل: الخبط على غير هدى، والاعتساف يعني طلبه. المراح: ثلاث شِمَاب ينظر بعضها إلى

(٨) بعض. العفاء: الزوال.

قَدْ عَرَانَا، وَلَمْ نَجِدْ مَنْ إِزَاحَةً^(١)
 مُوقِظَ شَفْعِهِ يُرِيدُ صَلاَحَةً
 فَاتِكَ شَائِكَ يَرُدُّ جِمَاحَةً^(٢)
 أَمَانُوا صُدَاحَهُ وَتَوَاحَةً^(٣)
 هَاقِ تَوَا، وَمَا تَوَخَّوْا سَمَاحَةً^(٤)
 رَشَقَاتُ الرَّدَى إِلَيْهِمْ مُتَاحَةً^(٥)
 وَاسْتَبَاحَتْ جَمَانَا أَيْ اسْتَبَاحَةً^(٦)
 الْهَوَى قَدْ سَبَّخْتُ أَيْ سَبَّاحَةً^(٧)
 قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَّاحَةً^(٨)
 مَتَّ عَلَى شَبَابِي الْمَنَاحَةَ^(٩)
 قَدِمَاءُ الْعُشَّاقِ قَدُومًا مُبَاحَةً
 صَادِقُ الْحُبِّ وَالْوَلَا وَسَجَاحَةً^(١٠)
 مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شِمْتُ صَبَاحَةً^(١١)
 سَتَرْدُ الْحَيَاةِ يَوْمًا وَشَاحَةً

إِنَّمَا عَبَّرَ لِحُطْبِ ثَقِيلٍ،
 كُلَّمَا قَامَ فِي الْبِلَادِ خَطِيبٌ
 أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيصَ اضْطِهَادٍ
 اتَّخَذُوا صَوْتَهُ الْإِلَهِيَّ بِالْعَسْفِ،
 وَتَوَخَّوْا طَرَائِقَ الْعَسْفِ وَالْإِزْ
 هَكَذَا الْمُخْلِصُونَ فِي كُلِّ صَوْبٍ
 غَيْرِ أَنَا تَنَاوَبْتَنَا الرِّزَايَا
 أَنَا يَا تُؤْنِسُ الْجَمِيلَةَ فِي لُجٍّ
 شِرْعَتِي حُبُّكَ الْعَمِيقُ وَإِنِّي
 لَسْتُ أَنْصَاعَ لِلْوَاحِي وَلَسْتُ وَقَا
 لَا أَبَالِي.. وَإِنْ أُرِيقَتْ دِمَائِي
 وَيَطُولَ الْمَدَى تُرِيكَ الْإِلْيَا
 إِنْ ذَا عَصُرُ ظُلْمَةٍ غَيْرِ أَنِّي
 ضَمِعَ الدُّهْرُ تَجَدَّدَ شَفْعِي وَلَكِنْ

-
- (١) عرانا: غشنا.
 (٢) الجِمَاح والجُمُوح بمعنى التمرد: جمع الفرس: اعتز فارسه وغلبه.
 (٣) العَسْف: الظلم. الصُدَاح: رفع الصوت بغناء.
 (٤) تَوَخَّى: تعمد.
 (٥) الردى: الهلاك.
 (٦) الرزايا: جمع الرزية: المصيبة.
 (٧) اللج: معظم الماء.
 (٨) القراح: يعني الماء الخالص لا يخالطه ثقل.
 (٩) الواحي: بمعنى الوحي أي: الملك.
 (١٠) السجّاح: التجاه. والأسجج: الحسن المعتدل.
 (١١) شمت: نظرت.

من أغاني الرعاة^(١)

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم «من الشمال التونسي» مستشفياً،
وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة، والجبال
الشم المجللة بالسنديلان قضي عهداً شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر،
والسحر والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين
تلك الجبال، والأودية والغابات.

[من مجزوء الرمل]

أقبل الصُّبْحُ يُغْنِي	للحياة الناعسة
والربُّ تحلُّمٌ في ظل	القصون المائسة ^(٢)
والصُّبا تُرَقِّصُ أورا	ق الزهور اليابسة ^(٣)
وتهادى النور في ند	ك الفجاج الدامسة ^(٤)



أقبل الصُّبْحُ جيلاً،	بلا الأفق بهناه
فتمطى الزُّهرُ، والطيد	رُ، وأنواج المياه
قد أفاق العالم الحد	حي، وغنى للحياه
فأفريقي يا خرافي،	وهلُمي يا شياه ^(٥)



واتبعيني يا شياهي،	بين أسراب الطيور
واملاي الوادي ثغاء،	ومراحاً وحُبُور ^(٦)
واسمعي همس السواقي،	وانشقي عطر الزهور
وانظري الوادي، يُغشِب	ه الضباب المستنير



(١) نظمها في ١٠ شوال ١٣٥١ هـ / ٦ فيفري - شباط ١٩٣٣ م.

(٢) الرب: جمع الراية: التلة. المائسة: المتهايلة.

(٣) الصُّبا: ريع شرقية لينة.

(٤) تهدى: تمائل. الفجاج: جمع الفيج: الشق بين جبلين.

(٥) الشياه: جمع الشاة.

(٦) الثغاء: صوت الغنم. المراح والحبور: النشاط والسرور.

واقطفي من كلاً الأرض،
واسمعي شَبَابِي تَشْدُو،
نَغْمٌ يَضَعْدُ من قَد
ثَم يَسْمُو طائراً كال
وَمَرَعَاهَا الجَدِيدُ^(١)
بِمَسْجُولِ النُّشِيدِ^(٢)
جِي، كَأَنْفَاسِ الْوُرُودِ
بِلَبْلِ الشَّادِي السَّعِيدِ

إذا جئنا إلى الغَابِ،
فاقطفي ما شئتِ من
أَرْضِنَهُ الشَّمْسُ بِالضُّوَّةِ،
وَارْتَوَى من قَطَرَاتِ الطَّلِّ،
وَعَطَانَا الشُّجَرِ
عُشْبٍ، وَزَهْرٍ وَثَمَرِ
وَعَذَاهُ الْقَمَرِ
في وَقْتِ السُّحَرِ^(٣)

وَأَمْرَجِي مَا شِئْتِ في
وَارِبِي في ظِلِّهَا الْوَارِفِ،
وَأَمْضِي فِي الْأَعْشَابِ، وَالْأَفْ
وَأَسْمَعِي الرِّيحَ تُغْنِي،
الْوَدْيَانِ، أَوْ فَوْقَ التَّلَالِ
إِنْ خِفْتَ الْكَلالِ^(٤)
كَارَ في صَمْتِ الظَّلَالِ
في شَمَارِيخِ الْجِبَالِ^(٥)

إِنْ فِي الْغَابِ أَزَاهِيرًا،
يُنْشِدُ النُّحْلُ حَوَالِيهَا،
لَمْ تُدْنَسْ عِطْرُهَا الطَّاءِ
لَا، وَلَا طَافَ بِهَا الثُّغَرُ
وَأَعْشَابًا عَذَابِ
أَهَازِيحًا طِرَابِ^(٦)
هَرَّ أَنْفَاسُ الذُّثَابِ
لَبُّ فِي بَعْضِ الصُّحَابِ

وَشَدًّا حَلَوًا، وَسِخْرَ
وَنَسِيمًا سَاحَرَ الْخَطِّ
رَأَى، وَسَلَامًا، وَظِلَالِ
وَقَى، مَوْفُورَ الدَّلَالِ

(١) كلاً الأرض: مراعيها وأعشابها.

(٢) النُّشِيدَةُ: من الآلات الموسيقية، يحملها الرعاة.

(٣) الكل: الندى.

(٤) الْكَلال: الإعياء.

(٥) شَمَارِيخُ الْجِبَالِ: رؤوس الجبال.

(٦) الْأَهَازِيحُ: الأغاني.

وَعُصُونَا يَرْقُصُ النُّو رُ عَلَيْهَا، وَالْجَمَالَ
واخضراراً أبدياً، لَيْسَ تَمُحُوهُ اللَّيَالِ

لَنْ تَمْلِي، يَا خِرَافِي، فِي حَمَى الْقَابِ الظَّلِيلِ
فَزَمَانُ الْقَابِ طِفْلٌ، لَاعِبٌ، عَذْبٌ، جَمِيلٌ
وَزَمَانُ النَّاسِ شَيْخٌ، عَابِسُ الْوَجْهِ، ثَقِيلٌ
يَتَمَشَّى فِي مَلَالٍ، فَوْقَ هَاتِيكَ الشُّهُولِ^(١)

لَكَ فِي الْغَابَاتِ مَرْعَا لِكَ، وَمَسْعَاكِ الْجَمِيلِ
وَلِيَّ الْإِنْشَادِ، وَالْعَزْفِ إِلَى وَقْتِ الْأَصِيلِ
فَإِذَا طَالَتْ ظِلَالُ الْكَ لَا الْغَضِّ، الضُّئِيلِ^(٢)
فَهَلُمِّي نُرْجِعِ الْمَسْعَى إِلَى الْحَيِّ النَّبِيلِ

في فجاج الآلام^(٣)

[من المجتث]

يَا لَا يَسَامَةِ قَلْبَ مَطْلُوءَةٍ بِدَمْعَةٍ^(٤)
عَاصَتْ، فَلَمْ تُبْقِ إِلَّا الدُّمُوعَ بَيْنَ صُدُوعَةٍ^(٥)
فَظَلَّ يَهْتَفُ مِنْ شَجَرٍ وَهٍ، وَفَرَطٍ وَلُوعَةٍ^(٦)
«وَيْحَ الْحَيَاةِ! أَمَا تَنْدُ قَضِي لَدَيْهَا الرُّزَايَا؟!»^(٧)
«أَمَا يُكْفِكِفُ هَذَا الرُّزُ مَا نَ صَوَّبَ الْبَلَايَا؟!»^(٨)

(١) مَلَال: مَلَّلَ أَي ضَجَرَ.

(٢) الْكَلَا: الْمَرْعى وَالْعَشْب. الْغَضِّ: الطَّرِي.

(٣) نَظَمَهَا فِي ١٠ شَوَّالِ ١٣٤٦هـ/ غُرَّةِ أَفْرِيل - نَيْسَانَ ١٩٢٨ م.

(٤) مَطْلُوءَةٌ: أَصَابَهَا الطَّلُّ أَي النَّدى.

(٥) غَاضَ الْمَاءَ وَاللَّمَعَ: قَلَّ وَنَقَصَ. الصَّدُوعُ: الشَّقُوقُ.

(٦) الْفَرَطُ: الزِّيَادَةُ. الشَّجْوُ: الْحُزْنُ.

(٧) الرُّزَايَا: جَمْعُ الرِّزْيَةِ: الْمَصِيبَةِ.

(٨) يُكْفِكِفُ: يَدْفَعُ وَيَصْرِفُ.

«يا دهرًا رفقا! فإنَّ القُـلُوبُ أُمَسْتُ شَطَايَا»^(١)

يا قَلْبُ نَهْنَهْ دَمُوعُ الأَسَى، وَلَوَعَةُ رُوعُكَ
إِنَّ الدُّهُورَ البَوَاكِي غَنِيَّةٌ عَنِ دُمُوعِكَ
حَسْبُ الحَيَاةِ أَسَاها فَاطِرُ الأَسَى فِي صُدُوعِكَ
وَاحْلُمْ بِفَجْرِ اللَّيَالِي... فَفَجَّرَهَا فِي هُجُوعِكَ^(٢)
وإِنَّ غَفُوتَ فَإِنَّ الحَيَاةَ لَيْسَتْ تَرُوعُكَ
وَسَوْفَ يَمُضِي شِتَاءُ الأَسَى وَيَأْتِي رَبِيعُكَ

بَيْنَ القُبُورِ فَتَاةُ جَارَ الزَّمَانِ عَلَيْهَا
فَافْتَكْ مِنْهَا بِعُنفٍ كَفَّ الرَّدَى أَبْوْها^(٣)
تَقُولُ وَاللَّيْلِ سَاجٍ والقَبْرِ مُصْغِرٍ إِلَيْهَا:^(٤)
«يَا لَيْتَنِي مِتُّ مِنْ قَبْلُ لِمَ أَنْ تَسُوءَ حَيَاتِي!»
«وَيَنْضَبُ الدَّمْعُ مِنْ لَوْ عَنِّي، وَمِنْ حَرَاتِي!»
«مَنْ لِي بِحُفْرَةِ قَبْرٍ بِرِ تَضْمُنِي وَشَكَايِي»^(٥)
فِي الحَيِّ صَبٌّ يَعْانِي فِي الصُّدْرِ دَاءٌ دَفِيناً^(٦)
وَفِي القُفُودِ جَوَى كَا مِنْأُ وَجِئًا مَكِيناً^(٧)
حَتَّى دَهْتَهُ اللَّيَالِي وَجَرَّعَتْهُ مَنُونَةُ
فَقَشِيعَ المِيتَ جَمْعُ مِنْ حَبِيبِهِ، يَنْدُبُونَهُ
حَتَّى إِذَا مَا أَرَادُوا رَضَفَ الصَّفَائِحِ دُونَهُ^(٨)
نَاحَتْ عَلَيْهِ فَتَاةُ: «وَيْلِي، لِمَنْ تَرْكُونَهُ!»

(١) الشطايا: جمع الشظية: كل فِلَقَة مِنْ شَيْءٍ.

(٢) الهجوع: النوم.

(٣) الردى: الهلاك. قوله: افْتَكْ مِنْهَا، أَي انتَهَزَ مِنْهَا فَرْصَةً.

(٤) ساجي: هادىء ساكن.

(٥) الشكاة: الشكوى.

(٦) الصَّب: المتشوق. الداء: المرض.

(٧) الجوى: الهوى الباطن.

(٨) الصفائح: حجارة توضع على قبر الميت.

كَانَ الصَّبِيُّ يَصِيدُ الْفَرَّاشَ بَيْنَ الزُّهُورِ
 قَدَّاسَ زَهْرًا نَدِيًّا الْقَى بِهِ فِي الْغَدِيرِ
 فَأَخْرَجُوهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْقَضَاءِ الْآخِرِ...
 فَخَرَّتْ الْأُمُّ حَوْلَ الصَّبِيِّ حَيٍّ، تَصْرُخُ: «وَيْلِي،
 فَقُلْتُ - وَالْقَلْبُ دَامَ وَالنَّاسُ سُنْ يَبْكُونَ حَوْلِي -
 «مَا أَسْخَفَ الْعَيْشَ تَفْ ضِي عَلَيْهِ زَلَّةُ نَعْلٍ!»

شَيْخٌ، شَاءَ ذَفَرُ الْأَ سَيٍّ، وَجَيْدٌ شَتِيتٌ^(١)
 بَيْنَ الْخِرَائِبِ يَمِينِي عَلَى السُّطُورِ، وَيَبِيتُ^(٢)
 فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ قَاضَتْ عَلَى الْوُجُودِ حَيَاتُهُ
 وَطَرْفُهُ يَرْمُقُ النُّجُومَ مِلْؤُهُ عِبْرَاتُهُ
 وَمَا حَوَالِيهِ إِلَّا الْخِرَابُ بُ يُشْجِي صُمَاتُهُ
 فَمَا يَكَاهُ قَتَاهُ وَلَا يَكْتُهُ فَتَاهُ
 يَا زَهْرَةً سَامَهَا الْعَا يَرُونَ خُسْفًا وَهُونًا^(٣)
 لَوْ كُنْتُ شَوْكًا غَضُوضًا مَا دَاكَ الْعَابِرُونَ
 لِأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ الْوَحْدَ حَيِّ الَّذِي تُضْمِرُنَا
 هُمْ يَسْخَرُونَ بِهِنْسِ الزُّ هَوْرٍ، وَهُوَ بَدِيعُ
 وَيُنْصِتُونَ لِصَوْتِ الْأَشَدِّ حَوَاكٍ، وَهُوَ مُرِيغُ
 فَلَا تُبَالِي بِقَوْمٍ الْحَقُّ فِيهِمْ صَرِيغُ
 رَبَاهُ! كَمْ مِنْ فَتَاةٍ، تَشْكُو الْحَيَاةَ وَتَبْكِي،
 وَمُقَدِّمٍ، الدُّهُورُ مَقْعَدُ ضَنْكِ^(٤)
 وَيَأْتِسُ مَاتَ فِي لُبِّهِ الْمَرَامُ الْوَحِيدُ^(٥)
 وَتَائِهِ، ضَاعَ بَيْنَ الدِّ قِفَارٍ، وَهُوَ فَرِيدُ
 حَتَّى طَوْنَهُ مِنَ الْعَا صِفَاتٍ رِيحُ شَرُودُ

(١) شاء: سبقه.

(٢) السطوى: الجوع.

(٣) سامه: أذله: الهون: الذل.

(٤) بوائته: أنزلته. الضنك: الضيق من كل شيء.

(٥) المرام: الهدف.

رُبَاهَا رُحَاكَ إِنَّ الزُّمَانِ فَضٌّ شَدِيدٌ ^(١)

رَوْحٌ عَلَى الْحَيَاةِ الْكَثِيبَةِ	يَا طَائِرَ الشُّغْرِ!
قُلُوبٌ فَهِيَ غَرِيبَةٌ	وَأَمْسَحْ بِرَيْشِكَ دَمْعَ الدِّ
لَا فَقَدْ دَهَنَتْهَا الْمُصِيبَةُ	وَعَزَّهَا عَنْ أَسَاهِ
بَيْنَ الْهَضَابِ الْجَدِيدَةِ	وَأَنْتَ رَوْحٌ جَمِيلٌ،
سَمَاءٌ رُوحاً خَضِيبَةٌ ^(٢)	فَانْفِخْ بِهَا مِنْ لَهَبِ السُّ
بِهَا ضِرَامُ الشُّبُوبَةِ ^(٣)	وَابْعَثْ بِسُحْرِكَ فِي قَلْدِ

جدول الحب ^(٤)

بين الأمس واليوم

[من مجزوء الكامل]

يَا أَلَمْسَ قَدْ كَانَتْ حَيَا	يَا كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
وَالْيَوْمَ، قَدْ أَمْسَتْ كَأَنَّ	حَمَاقِ الْكُھُوفِ الْوَاجِمَةِ ^(٥)
قَدْ كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحَدٍ	لَا مِي الْجَمِيلَةِ جَذُولُ
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْحَبِّ	لَا طَاهِرًا يَتَسَلَّلُ
تَسْعَى بِهِ الْأَمْوَاجُ بَا	سِمَةً كَأَحْلَامِ الصُّبَا
بَيْضَاءَ، نَاصِعَةً ضَحْو	كَأَمْثَلِ أَزْهَارِ الرُّبَى ^(٦)
مِيَّاسَةً كَغَرَائِصِ الدِّ	فِرْدَوْسٍ بَيْنَ حُقُولِهِ ^(٧)

(١) فض، أي أنه يفرق.

(٢) خضبية أي مخضوبة: مصطبغة.

(٣) الضرام: الاشتعال، أو ما اشتعل من الخطب.

(٤) نظمها في ٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ / ٣٠ أوت - أغسطس آب ١٩٢٧ م.

(٥) الواجة: العابسة.

(٦) الرى: جمع الراية: التلة.

(٧) مياسة: ميالة، تختال في مشيتها. الفردوس: البستان يجمع كل ما يكون في البساتين.

تَنَلُو أَنَاشِيدَ الْمَنَى فِي مَدْوٍ وَقُفْرِهِ^(١)

هُوَ جَدُولُ الْحُبِّ الَّذِي	قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي الْخُضُلُ ^(٢)
بِمَرَاشِفِ الْأَحْلَامِ مُنْ	طَلَقًا، يَسِيرُ عَلَى مَهْلٍ ^(٣)
يَتَلَوُ عَلَى سَمْعِي أَغَا	رِيدَ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ
وَيُثِيرُ فِي قَلْبِي أَنَا	شَيْدَ الْخُلُودِ السَّاحِرَةِ
تَقِفُ الْعَذَارَى الْخَالِدَا	تُ... عَرَائِشُ الشَّعْرِ الْبَدِيعِ
فِي ضَفَّتَيْهِ، مُرَدِّدَا	بِ نَعْمَةِ الْحُلُمِ الْوَدِيعِ
يَلْمُسْنَ مِنْ قِيثَارَةِ الْأَ	خْلَامِ أَوْتَارَ الْغَزَلِ ^(٤)
فَتَفِيضُ الْحَانَ الصُّبَا	بَةِ عَذْبَةٍ، مِثْلَ الْأَمَلِ ^(٥)
وَتَطِيرُ بِالْبَسَمَاتِ وَالْأَ	نْعَامِ أَجْنَحَةِ الصَّدَى
فِي ذَلِكَ الْأَفْقِ الْجَمِيلِ،	وَذَلِكَ النَّسَمِ الرُّخَا ^(٦)
وَهَنَّاكَ حَيْثُ نَعَا	يَقُ الْبَسَمَاتُ أَنْعَامَ الْغَزَلِ
يَتَمَائِلُ الْحُلُمُ الْجَمِيلُ...	كَبَسَمَةِ الْقَلْبِ الثِّمِلِ ^(٧)

هُوَ جَدُولٌ، قَدْ فَجَّرَتْ	يَنْبُوْعُهُ فِي مَهَجَتِي ^(٨)
أَجْفَانُ قَاتِنَةٍ أَرَتْ	نِيهَا الْحَيَاةَ لِشَقْرِقِي
أَجْفَانُ قَاتِنَةٍ تَرَا	ءَتْ لِي عَلَى فَجْرِ الشَّبَابِ
كَعَرُوسَةٍ مِنْ غَانِيَا	بِ الشُّغْرِ، فِي شَفَقِ السُّحَابِ
ثُمَّ اخْتَفَتْ خَلْفَ السَّمَاءِ،	وَرَاءَ هَاتِيكَ الْغُيُومِ
حَيْثُ الْعَذَارَى الْخَالِدِ	اتُ، يَمْسُنَ مَا بَيْنَ النُّجُومِ ^(٩)

(١) القُفُول: العودة والرجوع.

(٢) الخُضُل: النُفْي.

(٣) المَرَاشِف: جمع المَرَشَف: ما يمتص به الماء.

(٤) القِيثَارَةُ: من الآلات الموسيقية، واستعملها مجازاً.

(٥) الصُّبَابَةُ: رَقَّة الشُّوقِ.

(٦) الرُّخَا: اللين.

(٧) الثِّمِل: السكران.

(٨) المهجعة: الروح، أو الدم، أو دم القلب.

(٩) يَمْسُن: يتمايلن، ويتخايلن.

ثُمَّ اخْتَفَتْ أَوَاهٍ طَا
 نَحْوَ السَّمَاءِ، وَهَذَا أَنَا
 قَدْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ
 وَالْأَمْسُ قَدْ جَرَفْتُهُ مَقْدُ
 قَدْ كَانَ ذَلِكَ تَحْتَ ظِ
 قَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي شُعْ
 وَالْيَوْمَ إِذْ زَالَتْ ظِلَالُ
 وَتَحَلَّبَ الزَّهْرُ الْجَمِيدُ
 ذُبُلْتُ مَرَّاشِفُهُ، فَاصْبِ
 وَهَوَى لَأَنَّ اللَّيْلَ أَسْدَ

ثَرَّةً بِأَجْنِحَةِ الْمُنُونِ^(١)
 فِي الْأَرْضِ تَمَثَّلُ الشُّجُونِ^(٢)
 بِالْأَمْسِ! بِالْأَمْسِ الْبَعِيدِ
 هَوْرًا يَدُ اللَّهِ الْمَوْتِ الْعَتِيدِ
 لُ الْأَمْسِ، وَالْمَاضِي الْجَمِيلِ
 عِ الْبَذْرِ مِنْ قَبْلِ الْأَقْوَلِ^(٣)
 الْأَمْسِ عَنْ زَهْرِي الْبَدِيعِ
 لُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْمُرِيعِ^(٤)
 حَ ذَاوِيًا نَضَوُ الْكُلُومِ^(٥)
 حَمَّةً أَنْشِيدَ الْوُجُومِ...^(٦)

بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَتْ حَيَا
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَمَسَتْ كَاعُ
 إِذْ أَصْبَحَ النَّبْعُ الْجَمِيدُ
 مُتَعَثِّرًا بَيْنَ الصُّخُورِ،
 جَفْتُ بِهِ أَمْوَاجَ ذِي
 فَتَدَقَّقْتُ فِيهِ الدُّمُورُ
 قَدْ حَجَبْتُهُ غُيُومُ أَحَدِ
 قَدْ أَخْرَسَتْهُ مَرَارَةُ الْقَدِ
 جَمَدَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ أَنْ
 وَقَضْتُ أَغْنِي الْحُبَّ،
 وَغَدَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ،

تِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
 مَقَاقِ الْكَهُوفِ الْوَاجِمَةِ
 عِ يَسِيرُ فِي وَادِي الْأَلَمِ
 يَغُورُ فِي تِلْكَ الظُّلَمِ
 كَ الْغَرَامِ الْآفَلِ
 عِ بِصُوبِهَا الْمُتَهَاطِلِ^(٧)
 زَايِ الْوُجُودِ الْقَائِمَةِ
 لُبِ التَّعْيِيسِ الظَّالِمَةِ
 غَامُ الصُّبَابَةِ وَالْهَوَى
 فِي أَعْمَاقِهِ لَمَّا هَوَى
 جَامِدَةً الْمَلَامِحِ، قَائِمَةً

- (١) المنون: الموت.
 (٢) الشجون: الأحزان.
 (٣) الأقول: الغياب.
 (٤) تحلب: ليس الجلباب: ثوب واسع تلبسه المرأة، وأراد أنه تغطى بالظلام. المريع: المخيف.
 (٥) مراشفه: جمع مرشف: ما يمتص به الماء. الداوي: الذابل. نضو: ضعيف. كلوم: جمع كلم: جرح.
 (٦) الوجوم: الغبوس.
 (٧) الصُوب: المطر.

قد أسكنتها لوعةً غاضت أمانيها، وغا
 ر بها الجمال الساحر^(١) فأصابها - لمفاً عليه
 - الإكتئاب الكافر في ضفتيه عرائس الأ
 شعار تنصب مائماً يهرقن فيه الدمع،
 حتى يظلم الدمع الدما^(٢) فيسبل ذاك المذمع الد
 امي لقلب الجدول حيث المرارة، والأسى،
 بين الزهور الذبل وينحن حتى يفجع الأ
 فاق صرت الانتحاب^(٣) فتسير أصداؤه النباح
 نحو أطباق الضباب وهناك ما بين الضبا
 ب الأقم الساجي الكثيب^(٤) تهر آلامي، وتخ
 تلج الكابة، بالنحيب

الساحرة^(٥)

[من الخفيف]

راعها منه صمته ووجوهه فأمرت كفاً على شغره العا
 ري برفقي، كأنها ستنيمة وأطلت بوجهها الباسم الخد
 و على خده وقالت تلومة: «أيها الطائر الكثيب تغرد
 إن شدو الطيور حلو رخيمة»^(٦) «وأجبنى فدنك نفسي - ماذا؟
 أمصاب؟ أم ذاك أمر ترومة؟»^(٨) «بل هو الفن واكتابه، والفن
 ان جم أحزانه وهومة»^(٩)

- (١) غاضت: نقصت.
- (٢) يهرق الدمع: يذرفه. والأصل: هراق الماء يهريقه، ويهريقه.
- (٣) يفجع: يملا. الانتحاب: البكاء الشديد.
- (٤) الأقم: القائم المائل إلى السواد. الساجي: الساكن. كثيب: حزين.
- (٥) نظمها في ١٥ ربيع الأول ١٣٥١ هـ / ١٩ جويلية - تموز ١٩٣٢ م.
- (٦) الوجوم: المبوس. شجاها: أحزنها. والشوم: المبوس.
- (٧) الرخيم: اللين السهل.
- (٨) ترومه: تطلبه.
- (٩) جم: كثير.

«أبدأً يحملُ الوجودَ بما فيه
 «خلَّ عبءَ الحياةِ عنكَ، وهَيَّا
 «فَكَثِيرٌ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمِلَ الدَّنْ
 «والوجودُ العظيمُ أَقْعَدُ في الما
 «وامشِ في روضةِ الشبابِ طَروباً
 «واتلُ للحُبِّ والحياةِ أغاني
 «واحتضني، فلأنني لك، حتى
 «وَدَعَ الحُبُّ يُنْشِدُ الشَّعْرَ لَلِـ
 «واقطفِ الورْدَ من خدودي، وجيدي
 «إنَّ لَلْبَيْتِ لهوَةً، النَّاعِمَ الحَلْوِ
 «وارتشف مِن فَمِي الأناشيدَ سَكْرَى،
 «وانسَ في الحياةِ... فالعمرُ قَفْرٌ،
 «وازمِ لِلَّيْلِ، والضُّبابَ بعيداً
 «فالهوى، والشُّبابَ والمرحَ المع
 «هي فنُ الحياةِ، يا شاعري الفنا
 «تلكَ يا فيلسوفَ، فلسفةَ الكو
 «وهي انجيلي الجَمِيلُ، فصَدَّقْ
 «فرماها بنظرةٍ، غَشِيَتْهَا
 «وتلاها بِبَسْمَةٍ، رَشَقَتْهَا
 «والتقتَ عندها الشِّفَاءُ... وغنَّتْ

«كَأَنَّ لَيْسَ لِلوُجُودِ زَعِيمَةً:»^(١)
 «بَحِيًّا، كَالصُّبْحِ، طَلَّقِي أَدِيمَةً»^(٢)
 «يا وتغني بِوقْرِها لا تَرِيْمَةً»^(٣)
 «ضي وما أنتَ رَبُّهُ فَتَقِيْمَةً
 «فحواليك وَرْدَةٌ وَكُروْمَةٌ
 «لَكَ وَخَلَّ الشَّقَاءُ تَدْمَى كُلُّوْمَةً»^(٤)
 «يتوارى هذا الدُّجَى ونجومه»^(٥)
 «لِ، فَكَمْ يُسَكِّرُ الظَّلَامَ رَبِيْمَةً...
 «وَنُهودي...، وافعلِ بِهِ ما تَرُوْمَةً
 «وللَّكونِ حَرْبُهُ وَهُوْمَةً
 «فالهوى ساحرُ الدَّلَالِ، وَسِيْمَةً»^(٦)
 «مرعبٌ إِنَّ دَوَى وجفَّ نَعِيْمَةً»^(٧)
 «فَنَكَ العَاسِ، الكَثِيرُ وَجُومَةً
 «سَوَّلُ تشدو أفنائه وَنَسِيْمَةً»^(٨)
 «نَ بَلَّ لُبُّ فَنها وَصِيْمَةً»^(٩)
 «نَ، وَوَحْيُ الوجودِ هذا قَدِيْمَةً
 «هـ والأ...، فَلِلْفَرَامِ جَجِيْمَةً...
 «سَكْرَةُ الحُبِّ، والأسى وَغِيوْمَةً
 «منهُ سَكْرَانَةُ الشُّبابِ، رُوْمَةً»^(١٠)
 «قُبَلُ، أَجْفَلْتُ لَدِيها هُومَةً

-
- (١) زعيم: كفيل.
 (٢) الأديم من الصبح: أوله.
 (٣) الورق: العبء والحمل الثقيل.
 (٤) كلومه: جروحه وواحد: كلم.
 (٥) الدجى: الظلام.
 (٦) الرشف والارتشاف: الامتصاص.
 (٧) ذوى: ذبل.
 (٨) الأفنان: الأغصان.
 (٩) اللب: القلب، والعقل.
 (١٠) أم رؤوم وشاة رؤوم: عطوف.

مَا تَرِيدُ الْمُصَوِّمُ مِنْ عَالَمٍ، ضَا تَ مَسَرَّاتِهِ، وَغَنَّتْ نَجْوَمُهُ؟

• • •

لَمَلَّةٌ أَسْبَلَ الْغُرَامَ عَلَيْهَا سِخْرَةُ النَّاعِمِ الطَّرِيرِ نَعِيمُهُ^(١)
وَتَفَقُّ فِي ظِلِّهَا الْفَرَجُ اللَّأ هِيَ فَجَفْتُ الْأَمَى وَخَرْتُ قَشِيمُهُ^(٢)
أَغْرَقَ الْفِيلَسُوفُ فِلَسَفَةَ الْآح زَانٍ فِي بَحْرِهَا... فَمَنْ ذَا يَلُومُهُ

• • •

إِنَّ فِي الْمِرَاةِ الْجَمَلَةَ سِخْرًا عِبْرِيًّا، يُذَكِّي الْأَمَى، وَيُنِيمُهُ

أَبْنَاءُ الشُّيْطَانِ^(٣)

[من الخفيف]

أَيُّ نَاسٍ هَذَا الْوَرَى؟ مَا أَرَى إِلَّا بَرَايَا، شَقِيَّةً، مَجْنُونَةً^(٤)
جَبَلَتْهَا الْحَيَاةُ فِي ثَوْرَةِ الْبَا مِّنْ مِّنَ الشَّرِّ، كَيْ تُجَنِّحَ جُنُونَهُ
فَأَقَامَتْ لَهُ الْمَعَابِدَ، فِي الْكُو بِنَ، وَصَلَتْ لَهُ وَشَادَتْ خُصُونَهُ

• • •

كَمْ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ، مَدَحُومَا وَتَفَنُّوْا بِهَا لَكُمِي يُنْقِطُومَا
فَلَمَّا صَانَتْ الْفَضِيلَةُ عَابُو هَا، وَإِنْ بَاعَتْ الْخَنَا عَبْدُومَا^(٥)
أَصْبَحَ الْحَسَنُ لَمَنَةً تَهْبِطُ الْأَر ضَر، لِيَفْقُوْا أَبْنَاؤَهَا وَفُومَا
وَشَقِي. طَافَ الْمَدِينَةَ، يَسْنَجُ لَدَى لِيَحْيَا، فَخَيَّبُوهُ احْتِقَارًا
أَبْقَطُوا فِيهِ نَزْعَةَ الشَّرِّ، فَانْقَضَ عَلَ النَّاسِ فَاتَكَأَ جُبَارًا
يَبْلُغُ الرَّعْبَ فِي الْقُلُوبِ، وَيُذَكِّي - حَيْثَا حَلَّ - فِي الْجَوَانِحِ نَارًا^(٦)

• • •

(١) أسبل: أرخى. السحر الطرير: أول طلوعه.

(٢) النعيم: الثبت اليابس المتكسر.

(٣) نظمها في ١٧ جلد في الأول ١٣٥٠ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ م.

(٤) الورى: الخلق. البرايا: المخلوقات.

(٥) الخنا: الفحش.

(٦) الجوانح: الجوانب، والأضلاع تحت القلاب، واحدة: جانحة.

ونبيّ قد جاء للنّاس بالحقّ،
وتنادوا به: «إلى النّار! فالنّا
ثمّ ألقوه في الهيب، وظلّوا

وشعوب ضعيفة، تنلّظي
والقويّ الظّلم يعصّر من
يتحساه ضاحكاً... لا يراها

وفتاة حسبتها معبد الحبّ.
ونبيل وجدته في ضياء الفجر
وزعيم أحله النّاس حقّ

وخبيث، يعيش كالقّاس. هذا
وقميء، يطاول الجبل العا
ودنيء، تاريخه في سحر

كان ظنيّ أنّ النفوس كبار
لوثنته الحياة ثمّ استمرت
فاحصدوا الشوك... يا بنيها وضجّوا

فوجدت النفوس شيئاً حقيراً
تبذّر العالم العريض شروراً
وأملأوا الأرض والنساء حُبوراً

-
- (١) المدام: الحمرة.
(٢) الماخور: بيت الرّيبة.
(٣) مدبّس: ملدوم.
(٤) القميء: الذليل.
(٥) الإفك: الكذب.

في ظلّ وادي الموت^(١)

[من الخفيف]

وإن تمشي...، لكن لأية غاية؟
سر، وهذا الربيع ينفخ نايه
ت ولكن ماذا جتأ الرواية
«سل ضمير الوجود: كيف البداية؟»
في ملال، مر: «إلى أين أمشي؟»^(٢)
«ما جنيئا، ترى، من السير أمس؟»
ضر وناديت: أين يا قلب رفثي؟^(٣)
«في سكون الدجى وأدفن نفسي»^(٤)
وضباب الأسى منيح عليا
ر، ولكن تحطمت في يديا^(٥)
ضي وخلي النحيب في شفتيا^(٦)
ن، نصوغ الحياة فنا شجيا...^(٧)

نحن نمشي، وحولنا هاته الأك
نحن نشدو مع العصافير للشند
نحن نتلو رواية الكون للمو
هكذا قلت للرياح فقالت:
وتغشى الضباب نفسي، فصاحت
قلت: «سيري مع الحياة...» فقالت:
فتهاقت كالمشميم - على الأر
هاتيه، علي أخط ضريحي
هاتيه فالظلام حولي كثيف
وكؤوس الغرام أترعها الفج
والشباب الغرير ولي إلى الما
هاته، يا فؤاد إنا غريبا



وشدونا مع الشباب سنيئا
«في شعاب الحياة حتى دميننا...»^(٨)
«وشربنا الدموع، حتى رويننا
م والياس، والأسى، حيث شينا

قد رقصنا مع الحياة طويلا
وعذونا مع الليالي خفاة
وأكلنا التراب حتى مللنا
ونزنا الأحلام والحب والآلا



-
- (١) نظمها في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ / ٥ أفريل - نيسان ١٩٣٢ م.
(٢) الملل: الملل والضجر.
(٣) المشيم: النبات اليابس. الرفش: المجرة.
(٤) الدجى: الظلام.
(٥) أترعها، أي: ملأها.
(٦) النحيب: شدة البكاء.
(٧) الشجي: الحزين.
(٨) الشعاب الحياة يعني: مصاعبها. والواحد الشعب: الطريق في الجبل.

يا بعيداً عن لهُوِها وغَنَاها
مي، ولا أَسْتَطِيعُ حتَّى يَكْأَها؟
«عَزِين، مُضْجِر، عَلى قَلمِيَا،
كي، «فَهِيا، نُجَرِّبُ المَوتَ... هَيا...!

نم ماذا؟ هذا أنا. صرْتُ في الدُّنْ
في ظَلامِ الفَناءِ، أدْفُنْ أيا
وزهُورُ الحَياةِ تَهوي، بِصَنَمَتِ
جَفْتُ سِخْرُ الحَياةِ، يا قَلبِي البَا

الزنبقة الذّاوية^(١)

[من المتقارب]

تُعَايَنُكَ اللُّوعَةُ القَّاسِيَةُ
يَرْتَلُ أَنْشُودَةَ الهَاوِيَةِ؟^(٢)
أَرَشَفَكَ الفَجْرُ كَأْسِ الأَسَى^(٣)
نَجِيعَ الحَياةِ، وَدَمَعُ المَسا
رُ نَوْحِ الحَياةِ صُدُوعِ الصُّدُورِ؟^(٤)
رَهِيباً، وَيَخْفِقُ حُزْنُ الدَّهْوَ؟
فَقَدْ عَذَّبْتَنِي أَغَانِي الوُجُومِ^(٥)
فَقَدْ عَانَقْتَنِي بَنَاتِ الجَحِيمِ^(٦)
نَجِيبِ الدُّجَعَى، وَأَنِينِ الأَمَلِ
شُؤَاطِ مِنَ الحَزَنِ المُشْتَعِلِ^(٧)
رُضَابِ الأَسَى، وَرَحِيقِ الأَلَمِ^(٨)
كُؤُوساً، مُؤَجَّجَةً، تَضْطَرِمُ^(٩)

أَزْنَبَقَةُ السَّفْحِ؟ مَا لي أَرَاكَ
أَفِي قَلْبِكَ الغَضُّ صَوْتُ اللَّهِيبِ،
أَسْمَعُكَ اللَّيْلُ نَذْبُ القُلُوبِ
أَصَبَّ عَلَيْكَ شُعَاعُ الغُرُوبِ
أَأَوْقَفَكَ الدُّهْرُ حَيْثُ يُفْجُ
وَيَنْبَثِقُ اللَّيْلُ طَيْفَاً، كَثِيبَاً
إِذَا أَضْجَرَّتْكَ أَغَانِي الظُّلَامِ
وَأَنْ هَجَرَّتْكَ بَنَاتُ الغَيُومِ،
وَأَنْ سَكَبَ الدَّرُّ فِي مِسمَعِيكَ
فَقَدْ أَجَجَ الدُّهْرُ فِي مَهْجَتِي
وَأَنْ أَرَشَفْتَكَ شِفَاؤِ الحَياةِ
فَلِنِي تَجَمَّرَتْ مِنْ كَفِّهَا



(١) نظمها في ٩ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ / ١٥ نوفمبر - تشرين الأول ١٩٢٦ م، ويبدو أن الشاعر قد حذف منها أربعة أبيات، كانت قد نشرت قبل طبع الديوان، وأثبتها في نهاية القصيدة.

(٢) الغض: الطري.

(٣) أرشفه: جعله يمتص.

(٤) الصدوع: الشقوق. وصدوع الصدور يعني: همومها.

(٥) الوجوم: العبوس.

(٦) بنات الغيوم، يعني الأمطار، وبنات الجحيم، يعني العذاب.

(٧) المهجة: القلب، دم القلب، الدم.

(٨) الرضاب: الريق. الرحيق: الخمرة.

(٩) مؤججة: ملتهبة. تضطرم: تشتعل.

يَرِفُ صَدَى نَوْجِكَ الْخَافِتِ ^(١)
جَنَاحَيْهِ صَوْتُ الْأَسَى الْمَائِتِ ^(٢)
وَشَغَشَعَهَا بِلَهَيْبِ الْحَيَاةِ ^(٣)
مَرَارَةُ حُزْنٍ، تُذِيبُ الصَّفَاةَ ^(٤)
قَسَاوَةً هَذَا الزَّمَانِ الظَّلُومِ
كَمَا فَجَّرَتْ فِيكَ تِلْكَ الْكُلُومَ ^(٥)

أَصِيخِي! فَمَا بَيْنَ أَعْشَارِ قَلْبِي
مُعِيداً عَلَى مُهْجَتِي بِحَفِيفِ
وَقَدْ أَتَرَعَ اللَّيْلُ بِالْحُبِّ كَأْسِي
وَجَرَعَنِي مِنْ ثَمَلَاتِهِ
إِلَى! فَقَدْ وَحَدَتْ بَيْنَنَا
فَقَدْ فَجَّرَتْ فِي هَذَا الْكُلُومِ

إِلَى اللَّحْدِ، سَحَقْتَكَ الْخُطُوبُ ^(٦)
إِلْيَفَيْنِ رَغَمَ الزَّمَانِ الْعَصِيبِ
إِذَا شَمَلَ الْكَوْنُ رَوْحَ السَّحَرِ ^(٧)
تَطَايَرَ مِنْ خَفَقَاتِ الْوَتْرِ
فَعَلَى قَبْرِنَا، الصَّامِتِ الْمَطْمَنِ
جَمِيعاً عَلَى نَغَمَاتِ الْحَزَنِ
إِذَا نَسِيتْنَا غَذَارَى السَّحَرِ
تَطَايَرَ مِنْ خَفَقَاتِ الْوَتْرِ
الْقَبْرِ، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَسَا
جَمِيعاً، عَلَى نَغَمَاتِ الْأَسَى

وَأِنْ جَرَفْتَنِي أَكْفُ الْمَنُونِ
فَحُزْنِي وَحُزْنُكَ لَا يَبْرَحَانِ
وَتَحْتَ رَوَاقِ الظَّلَامِ الْكَثِيبِ
سَيَسْمَعُ صَوْتِي، كَلَخْنِ شَجِي
يُرَدِّدُهُ حُزْنُنَا فِي سَكُونِ
فَنَرُقْدُ تَحْتَ التُّرَابِ الْأَصَمِ
فَيَصْدَحُ عِنْدَ سَكُونِ الدُّجَى
صَدَى يَتَهَادَى، كَنَغَمِ شَجِي
يَبْرُنْجُهُ شُجُونَا الْمُسْتَكِينِ لَدَى
فَتَهْجَعُ تَحْتَ الثَّرَى الْهَاجِعِ

صفحة من كتاب الدُمُوع ^(٨)

[من المتدارك]

غَنَاءُ الْأَمْسِ، وَأَطْرَبُهُ وَشَجَاهُ الْيَوْمُ، فَمَا غَدُهُ؟

(١) أصاخ: استمع. أعشار القلب: قطعه وعشوره، وقلب أعشار أي مكرّر على عشر قطع.

(٢) المهجة: الروح. والدم، ودم القلب.

(٣) أترع: ملأ.

(٤) شغشع: فرق.

(٥) الكلوم: جمع الكلم: الجرح.

(٦) المنون: الموت. اللحد: القبر. الخطوب: جمع الخطب: المصيبة.

(٧) الرواق: مقدّم البيت. رواق الظلام: يعني أوله.

(٨) نظمها في ١٠ محرم ١٣٤٩ هـ / ٧ جوان - تموز ١٩٣٠ م.

يَدُ الْأَحْلَامِ تَهْدِيهِدُهُ^(١)
 جَمِيلُ الطَّلَعَةِ، يَعْبِيْدُهُ
 وَأَمَامَ الْفَجْرِ، يُمَجِّدُهُ
 آيَاتِ الْحُبِّ، وَيُنْشِدُهُ
 الْكَوْنِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ
 حَيِّ مَشَاعِرُهُ وَقَصَائِدُهُ
 أَفْرَاحِ الْحُبِّ، وَتَنْشِدُهُ
 زُمْرًا فِي النُّورِ، تُرَاصِدُهُ^(٢)
 أَحْلَامَ الْحُبِّ تُغَرِّدُهُ
 بِسَمَاتِ الْحُبِّ تُوَادِدُهُ^(٣)
 وَجَمَالَ الْعَالَمِ يُسْعِدُهُ!
 وَنَسِيمَ الْغَابِ يُطَارِدُهُ!
 فَرَحًا، فَتَعَابِيْهِ يَدُهُ...
 وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَجْمَعُهُ
 نَسَمَاتِ الْغَابِ تُرَدِّدُهُ
 بَيْنَ الْأَشْجَارِ تُشَاهِدُهُ^(٤)
 فَيَجْلُ «الْحُبِّ» وَيَحْمَدُهُ

قَدْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، كَالطُّفْلِ،
 مُذْ كَانَ لَهُ مَلَكٌ فِي الْكَوْنِ
 فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، يُنَاجِيهِ
 وَعَلَى الْمَضِيبَاتِ، يَغْنِيهِ
 لَوْلَاهُ لَمَا عَذَّبَتْ فِي
 وَلَمَّا فَاضَتْ بِالشُّعْرِ الْحِ
 تَمَشَّى فِي الْغَابِ لَتَتَبِعَهُ
 وَيَرَى الْأَفَاقَ فَيُبْصِرُهَا
 وَيَرَى الْأَطْيَارَ، فَيَحْسِبُهَا
 وَيَرَى الْأَزْهَارَ، فَيَحْسِبُهَا
 فَيَخَالُ الْكَوْنَ يَنَاجِيهِ!
 وَتَجُومُ اللَّيْلِ تُضَاجِكُهُ!
 وَيَخَالُ الْوَرْدَ يَدَاعِبُهُ
 وَيَرَى الْيُنْبُوعَ، وَنَظَرَتْهُ،
 وَخَرِيرُ الْمَاءِ لَهُ نَغَمٌ
 وَيَرَى الْأَعْشَابَ وَقَدْ سَمَقَتْ
 وَنَطَاقُ الطُّفْلِ تَنْمُقُهَا

قَلْبًا فِي النَّاسِ لِيَتَكَمِّدُهُ^(٥)
 تَسْقِيهِ الْخَمْرَ... وَتَنْظُرُهُ!
 كَالشَّهْدِ، لَيْسَلِبَهَا عَدُوهُ!
 وَيَضَاجِعُهَا، فَتُوسِّدُهُ^(٦)
 أَضْنَاهُ الْحَزْنَ، وَتَكْدُهُ^(٧)

يَا لَلْأَيَّامِ! فَكَمْ سَرَتْ
 هِيَ مِثْلَ الْعَاهِرِ، عَاشِقُهَا
 يُغْطِيكَ الْيَوْمَ حُلَاوَتَهَا
 بِالْأَمْسِ يَغَانِقُهَا فَرَحًا
 وَالْيَوْمَ، يُسَاطِرُهَا شَبَحًا

(١) تهديه: تحركه.

(٢) تراصده: تراقبه.

(٣) توادده: تولاه وتلاطفه.

(٤) سمقت: ارتفعت.

(٥) تكمده: تحزنه.

(٦) يتوسد: يتخذ الوسادة: المتكأ.

(٧) التكد: خشونة العيش.

يَتَلَوُ فِي الْغَابِ مَرَاثِيَهُ وَجُدُوْغُ السُّرُو تَسَانِيْدُهُ
وَمُتَاشِي النَّاسِ، وَمَا أَحَدُ مِنْهُمْ يَشْجِيهِ تَفَرُّدُهُ
فِي لَيْلِ الْوَحْشَةِ مَسْرَاهُ وَبِكَهْفِ الْوَحْدَةِ مَرْقَدُهُ
أَصْوَاتُ الْأَمْسِ تُعَذِّبُهُ وَخِيَالُ الْمَوْتِ يَهْدُدُهُ

بِالْأَمْسِ لَهُ شَفَقٌ فِي الْكَوْنِ يَضِيءُ الْأَفَقَ تَوَرُّدُهُ
وَالْيَوْمَ، لَقَدْ غَشَّاهُ اللَّيْلُ فَمَا فِي الْعَالَمِ يُسَعِدُهُ
غَنَاهُ الْأَمْسِ وَأَطْرَبَهُ وَشَجَاهُ الْيَوْمَ، فَمَا غَدُهُ؟

إِلَى اللَّهِ^(١)

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية ثائرة، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة، وتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال، فيشعر المرء كأنما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقرى، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب الملل الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء. ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تكدر صفاءه، وتحيل جماله إلى شناعة، وأنغامه إلى عويل، وانسجامه إلى فوضى، ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية، وألحانه المتزنة، وجماله الساحر الأبدي. ونحت تأثير هذه الحالة النفسية الجائعة نظمت القصيد التالي، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وألمها المتشحة باللهيب.

[من الخفيف]

يَا إِلَهَ الْوُجُودِ! هَذَا جِرَاحُ فِي فَوَادِي، تَشْكُو إِلَيْكَ الدَّوَاهِي^(٢)
هَذَا زَفَرَةٌ يُصْعِدُهَا الْهَمُّ إِلَى مَسْمَعِ الْفَضَاءِ السَّاهِي
هَذِهِ مُهْجَةٌ الشَّقَاءِ تُنَاجِيكَ فَهَلْ أَنْتَ سَامِعٌ يَا إِلَهِي؟^(٣)
أَنْتَ أَنْزَلْتَنِي إِلَى ظُلْمَةِ الْأَرْضِ وَقَدْ كُنْتُ فِي صَبَاحِ زَاهٍ

(١) نظمها في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ / ٢٩ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٢٩ م.

(٢) الدواهي: جمع الداهية: المصيبة.

(٣) المهجة: الروح، الدم، أودم القلب.

وأضغي إلى خريبر المياهِ
 وأشدو كالبلبل التياهِ
 وهذه كثيرة الإشتباهِ
 بين داعٍ من الرياحِ ونأهِ
 وَجَرَعْتَنِي مَرَارَةً (١) وآه! (٢)
 بين قومي، في تشوقي وانتباهي
 وحُبَّتَنِي جُودَ السَّاهِي
 سَرْمَدِي الشُّعُورِ وَالإِنْتَبَاهِ (٣)
 وتعمَّقْتَنِي بِكُلِّ الدَّوَاهِي
 وباليأس، بالشُّقَا المتناهي
 وتذوي عاجري، وشفاهي (٤)
 تافه، مِنْ تَرَائِبِ وَجِبَاهِ (٥)
 ضَرَبَ مِنْ الغَمِّ الزَّاهِي
 جِمْ كَالْمَهْدِ مُزِيدَ الْأَمَوَاهِ... (٦)
 لِحُزْنِ الْمَعَذِبِ الْأَوَاهِ؟
 ثُمَّ أَطْبَقْتُ فِي الصُّبْحِ شِفَاهِي
 بَّ، وَغَنَيْتُ كَالشُّعْبِ الدَّاهِي
 مي، وَحَوَّطْتُهَا بِكُلِّ انْتِبَاهِي
 الشُّوْكَ، مَا تُرَى فَعَلْتُ؟ إلهي!

كَالشُّعَاعِ الْجَمِيلِ، اسْتَبَحُ فِي الْأَفْقِ
 وَأَغْنِي بَيْنَ الْيَنَابِيعِ لِلْفَجْرِ
 أَنْتَ أَوْصَلْتَنِي إِلَى سُبُلِ الدُّنْيَا
 ثُمَّ خَلَقْتَنِي وَحِيداً، فَرِيداً
 أَنْتَ أَوْقَفْتَنِي عَلَى لُجَّةِ الْحُزْنِ
 أَنْتَ أَنْشَأْتَنِي غَرِيباً بِنَفْسِي
 أَنْتَ كَرِهْتَنِي الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا
 أَنْتَ جَبَلْتَ بَيْنَ جَنْبِي قَلْباً
 أَنْتَ عَذَّبْتَنِي بِدِقَّةِ حَيٍّ
 بِالْأَسَى، بِالسَّقَامِ، بِالْهَمِّ، بِالْوَحْشَةِ،
 بِالْمَنَايَا تَفْتَالِ أَشْهَى أَمَانِي
 فَلِذَا مَنْ أَحْبَبَ حَفَنَةً تُرْبٍ
 وَإِذَا فِتْنَةُ الْحَيَاةِ وَسِحْرُ الْكَوْنِ
 يَتَلَاثِي فَوْقَ الْخِصَمِّ وَيَبْقَى الـ
 يَا إِلَهَ الْوُجُودِ! مَا لَكَ لَا تَرْنِي
 قَدْ تَأَوَّهْتُ فِي سَكُونِ اللَّيَالِي
 وَتَغَزَّلْتُ بِالْحَيَاةِ، وَبِالْحـ
 وَزَرَعْتُ الْأَحْلَامَ فِي قَلْبِي الدَّاهِي
 ثُمَّ لَمَّا حَصَدْتُ لَمْ أَجِدْ إِلَّا



وتغني بصوتك الأواه (٦)
 لَغُ صَوْتِي آذَانَ هَذَا الْإِلَهِ
 فِي لَصُوتٍ بَيْنَ الْعَوَاصِفِ وَاهِ (٧)

يَا رِيَّاحَ الْوُجُودِ! سِيرِي بِعَنْفٍ
 وَانْفَحْنِي مِنْ رُوحِكَ الْفَخْمِ مَا يُبْ
 فَهوَ يُصْغِي إِلَى الْقَوِيِّ، وَلَا يُصْـ

(١) لجة الحزن: معظمه.

(٢) السَّرْمَدِي: الأبدِي، الدائم.

(٣) المنايا: جمع المنيّة: الموت. تفتال: تهللك. تذوي: تذبل.

(٤) الحفنة: ملء الكف. والحفرة.

(٥) أمواه: جمع مياه. الخِصَمُّ: البحر.

(٦) الأواه: الذي يكثر الدعاه.

(٧) الواهي: الضميف. وفي البيت تشكيك بالمدل الإلهي، فليحذرا!

واصعقي كلَّ بُلبُلٍ تَيْبَاهُ^(١)
بالأغاني، وبالجمال الزَّاهي
قبل أن تنتهي أذلَّ تَنَاهِ
سوى للبناء تَحْتَ الدَّواهي

وانثري الوُرْدَ للشُّلُوجِ بَدَاداً
فالوجودُ الشَّقِيُّ غيرُ جديرٍ
واسحقي الكائناتِ كَوْناً يَكُونُ،
فالإلهُ العظيمُ لم يَخْلُقِ الدُّنْيَا

ح! يا أَيُّهَا الفضاءُ السَّاهي!
فاق في التُّرْبِ، في قرارِ المياه!
راحم - مِثْلُ زَغَمِهِمْ - أوَاهِ
هم، ويرنو لهم بعطفٍ إلهي
سامي، وآياتُ فَنِّهِ المتناهي
جيا، فَهَلْ خَلَفَ أَفْقُهَا من إِلَهٍ؟
كي؟! وماذا قد قَلَّتِهُ يا شفاهي
بالذي كان...، فاعتصر يا إلهي!
قلبي المتعب، الغريب، الواهي
ه...، فَسَامِخْ قُتُوطَهُ المتناهي^(٢)
والإيمان والنُّورَ والنِّقَاءَ الإلهي
سلام، لكن قد حَطَّمَتْهُ الدَّواهي

يا ضميرَ الوجود! يا عالمَ الأروا
يا خَضَمَ الحياة، يَزْخَرُ في الآ
خبروني، هل للورى من إله،
يَخْلُقُ النَّاسَ باسمًا، ويواسي
ويرى في وجودهم رُوحَهُ السُّ
إنني لم أجده في هاتهِ الدُّنْ
ما الذي قد أتيت يا قلبي البا
يا إلهي! قد أَتَقَّ الهَمُّ قلبي
قَدَمُ اليأس والكآبة داسَتْ
فتشظى، وتلك بعضُ شَطَايَا
فَهُوَ يا رَبِّ مَعْبُدُ الحقِّ،
وهو نايُّ الجمال، والحبِّ، والأخ

قالت الأيام^(٣)

[من السريع]

يا واقفاً فَوْقَ حُطَامِ الحياة^(٤)!
صوتُ رهيبٍ سوفَ يَذُوي صَدَاة...
في كهفِهِ الدَّاجي، وطالت رُؤَاة^(٥)
ففي الغدِ الحيِّ صَبَاحُ الحياة

يا أَيُّهَا السَّادِرُ في غَيْبِهِ
مهلاً! ففي أناتٍ من دُسَّتْهُمْ
لا تَأْمَنَنَّ الدُّهْرَ، إمَّا غَفَا
فإن قَضَى اليومَ وما قَبْلَهُ

(١) يداد: متفرق.

(٢) تشظى: تقطع. القنوط: اليأس.

(٣) نظمها في ١٥ رجب ١٣٤٦ هـ / ٨ جانفي - كانون الثاني ١٩٢٨ م.

(٤) السادر: الحائر.

(٥) الكهف الداجي: الكهف المظلم.

يا أيها الجبار! لا تزدي فالحق جبار، طويل الأناة^(١)
 يغفَى، وفي أجفانه بقطة ترنو إلى الفجر الذي لا تراه...^(٢)

سرّ النهوض^(٣)

[من البسيط]

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه عزم الحياة، إذا ما استيقظت فيه
 والحب يشرق القبراء، مندفعاً إلى السماء، إذا هبت تناديه^(٤)
 والقيد بألفه الأموات، ما لبثوا أما الحياة فيبليها وتبليه

(١) تزدي: محقر. الأناة: الحلم.

(٢) ترنو: تلميم النظر بسكون طرف.

(٣) نظمها في ١ رجب ١٣٥٠ هـ / ١٢ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٣١ م.

(٤) القبراء: يعني الأرض.

فهرس

قافية الحاء	٣	المقدمة
٤٥ اغنية الأحزان	٥	أبو القاسم الشابي: مولده ونشأته
٤٨ جمال الحياة		قافية الهمزة
قافية الدال	١١	نشيد الجبار
٥٠ حديث المقبرة	١٣	أيها الحب
٥٤ إلى الموت		قافية الباء
٥٦ قلب الشاعر	١٥	يا شعر
٥٧ رثاء فجري	٢٢	نشيد الأسي
٥٧ صيحة الحب	٢٥	في سكون الليل
٥٩ الأديب	٢٦	الكأبة المجهولة
٥٩ المجد	٢٧	السأمة
٦٠ صلوات في هيكل الحب	٢٨	قبضة من ضباب
٦٣ قلت للشعر	٢٩	من حديث الشيوخ
٦٥ طريق الهاوية	٢٩	أيها الليل
٦٦ الجمال المنشود	٣٣	فلسفة الثعبان المقدس
٦٧ أحلام شاعر	٣٥	الدنيا الميتة
٦٨ آيتها الحاملة بين العواصف	٣٦	صوت من السماء
٦٨ قال قلبي للآله	٣٧	للتاريخ
قافية الراء	٣٧	وعود الغواني
٧٠ إرادة الحياة	٣٧	ليلة عند الحبيب
٧٣ إياك		قافية التاء
٧٤ الجنة الضائعة	٣٩	إلى قلبي التائه
٧٧ مأتم الحب	٤١	الطفولة
٧٩ النجوى	٤٢	الفتنة الساحرة
٨٠ الصبيحة	٤٢	الرواية الغريبة
٨١ شكوى ضائعة	٤٣	دموع الألم
٨٢ أنسيم سيب؟		قافية الشام
٨٣ مناجاة عصفور	٤٤	سر مع الدهر

١٣١	الأبد الصغير
١٣٥	زئير العاصفة
١٣٦	إلى الطاغية
١٣٧	يا حماة الدين
١٣٨	السعادة
١٣٨	الناس
١٣٩	الغاب
١٤٣	يا رفيقي
١٤٥	قيود الأحلام
١٤٦	متاعب العظمة

قافية التّون

١٤٧	المساء الحزين
١٤٩	التذكرى
١٥٠	الصباح الجديد
١٥٢	تحت الغصون
١٥٥	كهرباء الغرام
١٥٦	أغنية الشاعر
١٥٧	الاعتراف
١٥٧	الحياة

قافية الهاء

١٥٨	أنا أبكيك للحب
١٥٩	يا ابن أُمّي
١٦٠	إلى طغاة العالم
١٦٠	تونس الجميلة
١٦٢	من أغاني الرّعاة
١٦٤	في فجاج الآلام
١٦٧	جدول الحب بين الأمس واليوم
١٧٠	الساحرة
١٧٢	أبناء الشيطان
١٧٤	في ظل وادي الموت
١٧٥	الزنبقة الدّاوية
١٧٦	صفحة من كتاب الدّموع
١٧٨	إلى الله
١٨٠	قالت الأيّام
١٨١	سيرّ التّهوّض

٨٥	يا موت
٨٧	بشعري
٨٩	فكرة الفنان

قافية السين

٩١	نظرة في الحياة
٩٢	شكوى اليتيم
٩٣	حرم الأمومة
٩٣	النبي المجهول
٩٦	الدموع
٩٧	شجون

قافية العين

٩٩	أنشودة الرّعد
١٠٠	إلى البلبل

قافية الفاء

١٠٤	بقايا الخريف
-----	--------------

قافية القاف

١٠٧	الغزال القاتن
١٠٨	الحب

قافية الكاف

١١٠	الحاني السّكّري
١١٢	الأسواق التّائّهة

قافية اللام

١١٤	قلب الأم
١١٨	أراك
١١٩	زوبعة في ظلام
١٢٠	غرفة من يَمّ
١٢١	ذكرى صباح
١٢٣	خله للموت

قافية الميم

١٢٤	أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟
١٢٥	إلى عازف أعمى
١٢٦	أغاني التّائه
١٢٧	ليت شعري
١٢٨	في الظلام
١٢٩	صوت تائه
١٣٠	إلى الشعب